

جامعة الأزهر الشريف
كلية أصول الدين
قسم : التوحيد والفلسفة

شيخ الإسلام

عبدالله الأنصاري الهزوي

مبادئه وآراؤه الكلامية والروحية

٣٩٦ - ٤٨١ هـ

رسالة دكتوراه

في العقيدة والفلسفة

تأليف

دكتور محمد سعيد عبد المجيد سعيد الأفغاني

Ketabton.com

بمسب من

دار الكتب الحديثة

١٤ شارع الجمهورية بعباديا

ت : ٩١٦١٠٧

مطبعة دار التأليف
٨ شارع بفرط بالية بمصر ١٨٩٥

شكر وتقدير

أشكر جميع أحبائي الذين ساعدوني في تأليف هذه الرسالة وطبعها وخاصة : السيد صاحب الفضيلة الدكتور « عبد الحليم محمود » المشرف على الرسالة .

فقد أحسست في أعماله حسن النية والإخلاص الصادق .

والسيد الأخ العزيز مولوى نقيب الله « نقيب » عضو التفتيش لـ « ستوه محكمة » في أفغانستان ، لأنه أرسل إلى بعض مراجع الرسالة من أفغانستان وساعدني في خدمة العلم أحسن مساعدة .

والسيد موسى محمد علي ، حيث قام بتصحيح طروقات طبع الرسالة .

وأقول في الختام : إن رجائي من الله - جل شأنه - أن ينفع بهذه الرسالة عامة المسلمين ويجعلها وسيلة لنجاحي في الدنيا والآخرة ، عليه توكلت وإليه أنيب .

دكتور محمد - عبد الحليم محمود
« سعيد الأفغان »

الإثنين في ٢ جمادى الثانية سنة ١٣٨٨ هـ
٢٦ أغسطس سنة ١٩٦٨ م

تقدير

بقلم الدكتور

عبد الحليم محمود

عميد كلية أصول الدين سابقاً
ورئيس قسم العقيدة والفلسفة حالياً

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين

بدأ شيخ الإسلام أبو اسماعيل عبد الله بن محمد الأنصارى ، يأخذ في الدراسات الحديثة مكانته التي تليق به ، لقد بدأ الدارسون يهتمون به من حيث طبع كتبه ، أو الكتب التي تشرح كتبه ، ومن حيث دراسة حياته وآرائه مقدمين لذلك بدراسة يفتته المادية والاجتماعية والعلمية :

ولقد عقدت أفغانستان مؤتمراً عالمياً بمناسبة مرور (٩٠٠) عام على وفاته ، ودعت إليه كبار العلماء من مختلف الأقطار فتناولوا الزوايا المختلفة من حياته وآرائه بالشرح والتحليل .

وأهمية الأنصارى ترجع إلى أنه حاول طيلة حياته أن يعود بالمسلمين إلى ما اعتقد أنه الطريق الحق ، وإلى ما آمن بأنه سلوك الأسلاف الصالحين .

لقد رأى الأنصارى أن الثقافة اليونانية والثقافات الدخيلة تحاول

— ٤ —

أن تغلغل شيئاً فشيئاً في البيئة الإسلامية، ورأى أنها إذا استمرت على ذلك فإن ذاتية الإسلام وشخصيته لا تكون في نصاعتها كما كانت في عهوده الأولى : عهود العزة والكرامة والتقوى ، ورأى المسلمين انحرفوا عن طريق السلوك العملي متجهين إلى الجدل والمراء أكثر من اتجاههم إلى الروح السلوكية العملية .

وشمر أبو اسماعيل عن ساعد الجد وأخذ يعمل في ميدانين :

١ - ميدان تخليص الذاتية الإسلامية مما علق بها من آثار غبار الثقافات الدخيلة وهذه الآثار كانت ظاهرة على الخصوص في مجالين : -
(١) مجال المنهج . وهو يتمثل - في الثقافات الدخيلة - في المنطق الأرسطي .

والمنطق الأرسطي منهج يوناني ، إنه منهج هؤلاء الذين لا يعتمدون على كتاب مقدس . ولا على سنة نبي مرسل ولا على تطبيق رعييل صالح لكتابهم المقدس ولسنة نبيهم ، أنه منهج اخترعه أرسطو لأنه ما كان يدين بدين وما كان يرجع إلى كتاب . أما من يدينون بدين ويرجعون إلى كتاب ويشهدون برسول . فإنهم يرجعون إلى كتابهم ورسولهم :

إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم .

« فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً . »

ومنهج المسلمين إذن إنما هو الاتباع :

« اتبعوا ولا تبدعوا فقد كفيتم ، »

وجاهد الأنصارى جهاد المستميت لرد المسلمين في المنهج إلى الإتياع

وكان من أثر ذلك أن رفض هذا السراب الخادع الذى يسمونه المنطق القديم وأن قام بنشر فكرة الانبعاث بكل ما يستطيع من وسائل : بقلبه وبلسانه وبمسلكه .

(ب) والمجال الثانى الذى علق به غبار من أثار الثقافات الدخيلة هو مجال المراء فى الدين ، وهو المجال الذى سمي بعلم الكلام ، وفى هذا المجال سار الأنصارى على نسق كبار الأئمة : أحمد بن حنبل ، ومالك ، والشافعى ، وغيرهم .

ودولاء لم يزوجوا بأنفسهم فى هذا النوع من المراء بين المسلمين الذى يسمونه علم الكلام وهم لم يروا فيه إلا نوعا من الأسباب والوسائل التى تفرق بين المسلمين ولا تنتهى بهم إلى الاتفاق أو الوئام .

وحاول الأنصارى أن يرد المسلمين عن هذا الجدل والمراء فألف كتابه : « ذم الكلام » ، ولكن الأمر لم يقتصر على هذا الكتاب : وإنما تعداه إلى التدريس ، وإلى هذه الفقرات التى يكتبها فى كتبه الأخرى إذا جاءت المناسبة ، وإلى أسلوبه هو فى حياته الفكرية .

أما الميدان الثانى الذى عمل فيه الأنصارى فإنه صرف المسلمين عن التورط والتعمق فى المجالات النظرية العقيمة المجردة ، إلى العمل المثمر الذى يتمثل فى العبادة ، وفى طبع جميع أعمال الحياة بطابع العبادة . وكانت وسيلته فى هذا المجال هو توجيه المسلمين إلى التقوى الحقيقية النابعة من قلب تطهر وصفا وذلك هو التصوف .

وكان الأنصارى صوفياً بقوله وصوفياً بقلبه وصوفياً بمسلكه فكان دعوة إلى التصوف بكل مظاهره : حالا وعملا وتعبيراً .

عن كل هذه الجوانب يتحدث الأستاذ سعيد الأفغانى فى رسالته-
للدكتوراه ، التى أسعدنى الحظ بأن كنت مشرفاً عليها ، وبأن كنت
فى اللجنة التى ناقشتها ، وقد استحق بمجهوده الموفق أن ينال مرتبة
الشرف الثانية بعد ما نوقشت فى ١٥/٧/١٩٦٨ بجامعة الأزهر .

ومن توفيق الله أن الأستاذ سعيد الأفغانى كتب عن الأنصارى
بعد ماض طويل فى الكتابة والجهاد . لقد ألف الأستاذ سعيد
الأفغانى فى كثير من مجالات الدين واقتنى أثر الأنصارى فى الجهاد
والنضال سنوات طويلة من حياته قضاها فى التدريس والبحث .

ومن توفيق الله أن الأستاذ سعيد الأفغانى من بيئة الأنصارى ، لقد
تنسم الهواء الذى كان يتنسمه الأنصارى ، وشرب من شراب الأنصارى
وعاش فى جوه المادى ، كما عاش فترة طويلة فى جوه الروحى .

ومن توفيق الله أن الأستاذ سعيد الأفغانى متمكن من اللغات التى
كتب بها الأنصارى كتبه ورسائله ، وذلك أن الأنصارى لم يكتب بلغة
واحدة وإنما كتب بعدة لغات .

ودرس الأستاذ سعيد الأفغانى الأنصارى فى هذه اللغات المختلفة
وأطال الدرس والتحقيق فى غير ملل ولا ضجر .

ولكل هذه العوامل والأسباب كانت كتابته كتاباً العالم المثبت-
المحقق فجزاه الله عن الأنصارى وعن الثقافة والفكر خير الجزاء .
وأرجو من الله - جل شأنه - أن ينتفع بهذه الرسالة بعد طبعها
ونشرها عامة المسلمين .

دكتور عبد الحليم محمود

عميد كلية أصول الدين سابقاً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

نحمدك يا رب العالمين يا رحمن يا رحيم .
يا مالك الملك في الدنيا ، وفي يوم لا ملك فيه إلا الله الواحد القهار .
إياك نعبد وإياك نستعين .

نسألك أن تهدينا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم
غير المغضوب عليهم ، ولا الضالين . آمين .

ونصلي ونسلم على سيدنا محمد سيد الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله
وصحبه وأوليائه أجمعين .

أما بعد ، فلما كانت الحياة الروحية هي قوام الحياة المادية ، حتى أن
الحياة المادية لا يمكن أن تحصل وتستقيم وتطمئن إلا بالحياة الروحية
لزم أن ندرس أولا الحياة الروحية وأن نعرف حقيقتها وكيفيةها ، ثم
نرجع إلى الحياة المادية ، فنصلحها وفق ما جاء في الحياة الروحية ،
لكي نسير في طريق الرشاد ، ولكن لما كان درس الحياة الروحية
والعمل بقيمها يحتاجان إلى توجيه من له خبرة في هذا السبيل ، لزم
أن نأخذ من تجارب الذين ساروا في هذا الطريق وتوجيهاتهم نبراساً
ومشعلاً لسيرنا ، لكي لا نتصادم بالعوائق ، ولا نقع في المهالك .

نعم إن هجوم الأغراض المادية على العقل والفكر ، وتلاطم الاقتضامات الشهوانية ووساوس النفس الأماراة بالسوء ، ومشكلات الحياة المدنية ، لها تأثيرها في حياة الإنسان ، وإنها لتجعل الحياة مضطربة .

فلا مناص إذن ولا مفر إلا بالرجوع إلى الحياة الروحية النقية .

ومن فاحية أخرى قد ثبت عندى أن الطريق الموصل إلى الحق هو السير على أثر أقدام الروحانيين الذين وصلوا بالعبادة والزهد والمعرفة إلى الحق واليقين ، وأن التصوف الحقيقى هو الوسيلة الوحيدة للوصول إلى المعارف الحقة ، ومن أجل ذلك صممت من أمد بعيد على أن أدرس أولاً ما جاء به الصوفيون العظام ؛ ثم أطبق سلوكى بما قالوا ، وبما فعلوا ، وبما حكى عنهم مستمداً من القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة ، وبما لا شك فيه هو أن فى بث أرائهم ونشرها خيراً وفلاحاً للبشر عامه وللمسلمين خاصة .

لقد درست كثيراً من كتب الصوفية العظام . وها أنا ذا أقوم الآن بدراسة الآراء الروحية والفكرية للصوفى الكبير شيخ الإسلام . أبى اسماعيل عبد الله بن محمد الأنصارى ، وذلك لأن آراءه الروحية قد جذبتنى من أول الشباب نحوها ، وكان كثيراً من الأحيان تعجبنى مناجاته ونصائحه ، وطالما كنت أفكر فى أن أنعم النظر فى آرائه الكلامية والروحية ، لكن مع الأسف كانت تعوقى مشاغل الحياة إلى أن وجدت الفرصة وبدأت بدراسة التصوف لهذا الصوفى الكبير بدقة وإمعان ، والآن وقد قطعت فيها شوطاً بعيداً صممت على أن أكتب تحت عنوان :

« الصوفي الكبير شيخ الإسلام أبو اسماعيل عبد الله بن محمد
الأنصاري الهروي ، .

رسالة تشتمل على حياته وآرائه التي تتعلق بعلم الكلام ، وتصوفه
وحياته الروحية ، وأستعين بالله العظيم أن يتممها بالخير ، وأن يهدينا
سواء السبيل .

الدكتور

محمد سعيد عبد المجيد سعيد الألفاني ،

العصر الذي ولد ونشأ فيه الصوفي الكبير

شيخ الاسلام . عبد الله الأنصاري ، الهروي

ولد عبد الله الأنصاري ، في إحدى ولايات أفغانستان التي تسمى
بـ « هراة » ، في العصر الذي كان فيه مركز الإسلام والمسلمين مدينة
« بغداد » ، ويتولى الخلافة الخليفة « القادر بالله » ، من الخلفاء
العباسيين ، ويتصرف في أمور الناس في « خراسان » ، (١) السلطان
محمد بن سبكتجین ، وكان زمام السلطة في مصر بيد « الفاطميين » .

ويمتاز عصر ولادة عبد الله الأنصاري في خراسان بأنه « عصر
الاختلافات السياسية بين السلاجقة والأتراك والغزنويين والغوريين
حيث حارب فيه بعضهم البعض » ، وأنه عصر اشتدت فيه الاختلافات
بين المعتزلة والأشاعرة والماتريدية والحنابلة والأحناف والشافعية .

(١) « خراسان » ، بلاد قديمة في آسيا تقع بين نهر « آمو » ، شمالا وشرقا وجبال
« هندوكسن » ، جنوبا ، وتتصل غربا بمناطق « فارس » ، وامتدت إلى بلاد « ماوراء
النهر » ، و « سجنستان » ، جنوبا . تتقاسمها التغيرات السياسية اليوم بين « إيران »
فأخذت الجهة الشرقية الشمالية منها التي تقع فيها مدينة « نيسابور » ، وبين « أفغانستان »
فأخذت الجهة الشمالية منها التي تقع فيها « هراة » ، و « بلخ » ، وبين مقاطعة « تركمانيا »
السوفياتية التي تقع فيها مدينة « مرو » وقد غزاها « الضحاک » ، سنة (٦٥٦ م)
وحشد فيها « أبو مسلم الخراساني » ، ودعاة العباسيين سنة (٧٤٨ م) الجيوش التي قضت
على الخلافة الأموية في الشرق . وكلمة « خراسان » ، مركبة من « خور » ، أي شمس
و « أسان » ، أي مشرق . مأخوذ .

من كتاب « المنجد » ، في الأدب والعلوم ص (١٧٤) .

والجبرية والقدرية والملاحدين ، حتى وصلت اختلافات الآراء والمذاهب إلى حد أن نسب بعضهم إلى بعض الآخر الكفر والالحاد .

ومن ناحية أخرى كانت اختلافات طرق الصوفية في معرفة الحق والسير إلى الله وفي الله ، وفي الكشف والمكاشفة ، قد حيرت الأوهام والأفكار ، ووصلت إلى أقصى درجات الشدة ، حتى فقد كثير من الناس صوابهم .

وبما لا شك فيه أن هذه الاختلافات بين المسلمين في عصر ولادة عبد الله الأنصارى ونشأته قد وصلت إلى درجة بدأت تشتت شمل المسلمين ، وتفرق وحدة كلمتهم ؛ لأن المسالك والمذاهب والمنهاج والخطط وطرق الصوفية كانت كثيرة ، وصارت المنافرة والمفارقة بين معتققيها من الخصائص الذاتية لهم ، حتى أصبح كل عالم ومتصوف يتصرف في أعماله كأنه كون برأسه وبحسب أنه يجب على الناس أن يطيعوه فيما يأمرهم به وينهاهم عنه .

وعلى كل حال فقد ثبت أن عصر ولادة عبد الله الأنصارى ونشأته كان عصر المؤامرات والدسائس الدينية والسياسية التي تموج كأمواج البحر .

ولا شك أن هذه الأوضاع كان لها أثرها في اضطراب أكثر الصالحين إلى أن يختار الحياة المنزوية ؛ لكي لا يقع في الفتنة والمعصية والانحراف وإن كانت الحياة المنزوية في دين الإسلام قد نهى عنها وأن دين الإسلام يقول : « لا رهبانية في الإسلام » .

لكن مع كل هذه المشكلات استطاع عبد الله الأنصارى وسط

أمواج الاضطرابات الدينية والسياسية ، ومع شدة الظروف ، وكثرة العوائق أن يشق طريقه إلى الإصلاح والفلاح ، كما وفقه الله فيما بعد إلى هداية الناس سواء السبيل .

مدينة « هراة » التي ولد ونشأ فيها عبد الله الأنصاري

مدينة « هراة » (١) في تاريخنا المعاصر عبارة عن إحدى ولايات أفغانستان الواقعة في الغرب من عاصمة أفغانستان ، كابل ، بقرب الحدود بين أفغانستان وإيران .

كتب عبد الرحمن « جامي » في كتابه « نفحات الأنس : أن عبد الله الأنصاري قال : « ولدت في « قهندز » (٢) ونشأت فيها » .
ويعر بقرب مدينة « هراة » النهر الذي يسمى بـ « هري رود » وينبع هذا النهر من جبال « غور » .

وقد كتب كثير من علماء العرب في علم الجغرافيا بعد عصر عبد الله الأنصاري « عن مدينة « هراة » شروحا كثيرة ، ووصفوها

(١) هراة : مدينة من إحدى المدن الأربع المشهورة من « خراسان » القديمة فيسابور ، مرو ، بلخ ، هراة . وبلغ سكانها يوما ما ٨٥٠٠٠ نسمة وينسب بناؤها إلى « الاسكندر » وكانت لمدينة « هراة » شهرة كبيرة في القرن الخامس عشر من ناحية العلم والفن والأدب . وقد اجتمع فيها العلماء والشعراء والفلاسفة والمتصوفون والمؤلفون . واتجه إليها الطلاب من أوطان بعيدة ، وقد حدث فيها كثير من الحوادث السياسية والمذهبية والاجتماعية .

(٢) قهندز : عبارة عن الحصار القديم من مدينة « هراة » ويسكن فيه في عصرنا هذا المتعلقون بعبد الله الأنصاري ، والمريدون له قدس الله سره .

بأنها مدينة عظيمة ، كما أنه كتب « حمد الله مستوفى قزويني » في كتاب « نزهة القلوب » ، لو يسأل السائل أى المدن أحسن وأحب ؟ فالجواب الصحيح أن يقال : « هراة » ، وقال أيضاً أن الدنيا مثلها كمثل البحر و « خراسان » فيها كمثل الصدف وأن مدينة « هراة » في « خراسان » مثلها كمثل الجواهر في الصدف .

ولا شك أن مدينة « هراة » مدينة جميلة وجوها لطيف وفيها من الفواكه والثمار والخيرات الكثير .

وكانت هذه المدينة محاطة بجدار عظيم وشديد ، ولها أربعة أبواب إلى أربع جهات : شرق وغرب وجنوب وشمال ، كما أنها تتصل من ناحية الشمال بولاية « بلخ » .

ومن ناحية الغرب بولاية « نيسابور » ، ومن طرف الجنوب بولاية « سجستان » ، ومن جانب الشرق بولاية « كشك » ، وجبال « غور » ، وقد صنعت ثلاثة من هذه الأبواب الأربعة من الخشب ، والباب الرابع الشمالى منها صنع من الحديد . وتتصل ناحية الشمال من مدينة « هراة » بالمناطق الجبلية التى كان الناس يستفيدون من أحجارها فى البناء واصطلاح الطرق ، كما يجعلون من بعض أحجارها أحجار الطواحين .

وقد دخل الاسلام مدينة « هراة » فى عصر خلافة « عثمان بن عفان » - رضى الله تعالى عنه - وفتحها فاتح « خراسان » ، الاحنف بن قيس - رضى الله تعالى عنه - فى سنة ٣١ أو سنة ٢٢ هـ وقد كتب بعض الناس : أنه كان بالطرف الشمالى من مدينة « هراة » ، قرب المناطق الجبلية منها معبد « زردشتى » ، قديم يسمى بـ « سرشك » ،

يزوره « زردشتيون » ، حتى القرن الرابع ، وأيضاً كانت في طريق هذا المعبد « كنيسة » للمسيحيين .

وتتصل مدينة « هراة » من الطرف الجنوبي بمناطق خصبة . ويشتهر كثير من أنواع الفراكة في هذه المنطقة وخاصة العنب ؛ لان عنبها يمتاز نوعاً وطعماً ولذة (١) .

بجمل المذاهب والاتجاهات الموجودة في مدينة « هراة »

في عصر عبد الله الأنصارى

من الحقائق المسلم بها أن الاختلافات المذهبية والاتجاهات السياسية في عصر عبد الله الأنصارى - كما أشرنا إليها سابقاً - وصلت إلى أقصى درجة من التشتت وذلك لأنه .

كان يوجد في هذه المدينة مذاهب المسيحيين ، والزردشتين ، والخوارج ، والكرامية ، والجبرية ، والقدرية ، والمعتزلة ، وأهل التشيع ، إلا أن الأكثرية فيها لـ « السنى والحنفى » ، كما توجد فيها فرقة من الشافعية والحنابلة .

ومن ناحية أخرى كانت مدينة « هراة » في أوائل عصر عبد الله الأنصارى تحت سلطة « الغزنويين » ثم انتقلت الحكومة في عصره إلى « السلاجقة » وحدث فيها كثير من الاختلافات السياسية .

(١) من كتاب « زندكى » خواجه عبد الله الأنصارى « بالفارسية ص (١٦-٢٠) .

أحوال والد عبد الله الأنصارى وأمه

وما يتعلق بعبد الله قبل ولادته

ولقد ثبت أن والد عبد الله الأنصارى ، الذى يسمى بـ « أبى منصور » محمد كان من نسل الصحابة الأنصارى ، أبى أيوب خالد بن زيد الأنصارى الخزرجى ، النجارى الأزدي صاحب رحل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والذى نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيته بالمدينة حينما وصل إليها مهاجرا ، ومات بالروم غازيا ، فدفن بقرب سور القسطنطينية — رحمه الله تعالى — ولما توجه « الأحنف بن قيس » رضى الله عنه إلى « خراسان » وفتحها فى عصر خلافة عثمان « رضى الله تعالى عنه — كان معه أحد أولاد أبى أيوب خالد بن زيد الخزرجى هو « أبو منصور » مت ، ، فدخل مدينة « هراة » وأقام فيها .

وروى عن عبد الله الأنصارى « أن أباه أبا منصور محمد كان قارئاً للقرآن الكريم ، صادقا فى الكلام ، متقيا فى أعماله ، ومن رجال التصوف وأهل الله .

وحكى عبد الله الأنصارى « عن ، الشيخ أحمد كوفانى ، الذى سافر إلى البلاد العديدة ، وزار أكثر الصوفيين أنه قال : مارأيت أحدا مثل أبى منصور فى التقوى والورع . وروى عن « أبى منصور » ، أنه كان لا يقتل الحيوانات المؤذية (١) مثل العقرب والحية ... ، وأنه تعلم هذه الصفة والخاصية من مرشده « أميرجه سقال فروش » ،

(١) هذا لا يتفق مع ما جاء فى دين الإسلام لأن دين الإسلام يأمر بأن يقتل المؤذى قبل الإيذاء لدفع ضرره .

حتى حكى عنه أنه إذا كان رأى العقرى فى دكانه لا يقتله ولكن يدفع ضرره عن نفسه فيرسله بعيدا عنه .

وكان أجداد أبى منصور قد جاءوا إلى مدينة « هراة » واستوطنوها من ثلاثة قرون وعلى الأغلب ولد أبو منصور فى مدينة « هراة » لكن لأسباب غير معروفة سافر إلى مدينة « بلخ » وقرأ هناك عن عالم حنبلى يسمى بـ « أبى المظفر حبال بن أحمد » . وكان يعلم هذا الأستاذ الجليل تلاميذه الزهد والمورع والتقوى ، وأثر تعليمه وتلقيه على أبى منصور كثيرا . ويعرف درجة فضل أبى منصور وأستاذه أنه حكى لابنه عبد الله الأنصارى « فى مدينة « هراة » عن « أبى المظفر » وصيغتين : -

الأولى : لاتطرد الذباب عنك عندما يكون أحد من المسلمين جالسا عندك لأنه يحتمل أن ينتقل الذباب إلى وجهه .

الثانية : كل من يحسن إليك فهو (فى الحقيقة) قد قيدك بقيود إحسانه ، وكل من يتعدى عليك فهو (فى الحقيقة) قد حررك من قيود نفسه ، فإذا الحرية (عن ربة عبوديته) أولى وأفضل لك من أن تكون مقيدا فى قيوده (١) .

ولما توفى « أبو المظفر » أخذ « أبو منصور » يحضر إلى مجلس الشيخ « شريف حمزة العقيل » وحصل على الإجازة منه « وقد كان ،

(١) ليس غرض « أبى المظفر » رحمه الله تعالى عدم الاعتراف بإحسان الناس وكفران النعمة بل مقصوده أن يتسلى المصابون بالأضرار من أعدائهم ، حتى لا يضيق قلوبهم بالأضرار التى وصلت إليهم من معاصريهم فتختل أفكارهم ويأسوا من المصالح الاجتماعية وينضى ذلك إلى أن ينتقموا من أعدائهم الانتقام الشديد .

• شريف حمزة العقيلي ، في الأصل من مدينة • هراة • ، ولكنه جئته إلى مدينة • بلخ • ، وأقام في • رباط كرمانكان • ، وكان له شهرة في التصوف والكرامات .

وكان من متعلقيه ومريديه : -

(١) يسير فارسي . (٢) أبو القاسم الحنابلة .

(٣) الحسن الطبري . (٤) العارف عيار .

(٥) عبد الملك الاسكاف الذي كان من آخر تلاميذ حسين ابن منصور البيضاوي الحلاج (١) وبلغ عمره أكثر من مائة سنة .

ويحكى أنه في يوم من الأيام قالت واحدة من السيدات لـ • شريف حمزة العقيلي • ، أنها تريد الزواج من أبي منصور • فلما عرف • أبو منصور • ، هذا الأمر أظهر عدم رضائه وقال : أنه لا يريد ان يتزوج أبدا ، فأنكر عليه شيخه • شريف حمزة العقيلي • وقال له : ستزوج امرأة ويولد لك منها ولد • لكن هل تعرف ماذا سيكون حال هذا الولد ؟ (أي لا يكون ولدا عاديا بل سيكون نابغة

(١) ولد الحلاج في سنة (٨٥٨ م) وتوفي سنة (٩٢٢ م) وكانت ولادته في • الطور • قرب • البيضاء • (فارس) ، وتوفي في • بغداد • ، وهو عالم وصوفي ، قضى السنوات في خلوات الصوفية لاسيما مع التستري والجنيد ، ثم طاف البلدان داعيا إلى الزهد . اتهمه المعتزلة بالشعوذة ، فحكم عليه ، وسجن في بغداد ، ثم عذب وصلب . أنشأ الحلاج مذهباً في الفقه وعلم الكلام والتصوف ، وأثار حوله الجدل ، فقصده البعض وكفروه غيرهم . ولم يبق من مؤلفاته باللغة العربية الا كتاب • الطواسين • ، طبعه ماسينيون . هذا ما جاء في المنجد ص (١٦٣) في الأدب والعلوم - وقد ذكر عنه • شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري • ، في كتاب • طبقات الصوفية • ، بالفارسية المطبوع في كابل سنة (١٣٤١ هـ) من ص (٣١٥ - ٣٢٩) حكايات كثيرة إلا أنه قال في حق الحلاج • أنه لا يقبله ولا يرده • . أي توقف شيخ الإسلام في كفره وإسلامه وصلاحه وفسقه . والعلاقة بين • شيخ =

عصره (١) . ثم سافر أبو منصور من مدينة « بلخ » ورجع إلى مدينة « هراة » وتزوج في مدينة « هراة » من امرأة وولد له منها « عبد الله الأنصارى » كما استقر « أبو منصور » في مدينة « هراة » وفتح فيها متجرا ، -

وقام بتربية ولده « عبد الله الأنصارى » ، وكان في كثير من الأحيان يذكر لولده الأيام التي قضاها في مدينة « بلخ » ، وظل هكذا يذكر له توجيهات أساتذته وعرشديه ومن قصص العلاقات الأخوية بينه وبين رفاقه ومعارفه ، وبالتالي يفكر أبو منصور في انطباعات ولده من القراءة والمطالعة والسماع من الأساتذة ، حتى أن في يوم من أيام طفولة « عبد الله الأنصارى » حينما ذكر عبد الله الأنصارى من أوصاف الفضيل بن عياض وإبراهيم بن أدهم قال له والده :

« إلى متى تتكلم عن ، الفضيل ، وإبراهيم بن أدهم ، ؟ والحال أنه يحب منك رائحة ، الفضيل ، و « إبراهيم بن أدهم » ، وظل الحال على هذا المنوال بين عبد الله الأنصارى ووالده ، حتى جاءت في يوم من الأيام على أبي منصور جذباته السلوكية ، ووصلت مواسمه إلى درجة لم يستطع معها أن يستقر في مكان ، فوثب من متجره فورا وقال : « سبحانك اللهم ، وأغلق متجره وترك جميع

= (الإسلام ، والحلاج هي أن واحدا من تلاميذ الحلاج عبد الملك الاسكاف كان صديقا لوالده ، فحكى والد شيخ الإسلام عن الحلاج كثيرا من الحكايات بواسطة .

(٢) لو صح هذا فأقول : أن دين الإسلام لا يابى كرامة الأولياء ، بل قد ذكر كتب العقائد : « إن كرامة الولي هي في الحقيقة مظهر لمعجزة الرسول ، .

ما كان له من المال والأولاد (١) ، وسافر بانفراده إلى مدينة « بلخ » (٢) ولما وصل إليها التحق بمدرسته « شريف حمزة العقيلي » ، وبقي هناك ولم يرجع بعد هذا إلى مدينة « هراة » ، حتى توفي في مدينة « بلخ » سنة (٤٣٠ هـ - ١٠٣٩ م) ودفن في مدينة « بلخ » (٣) .

ومما يؤلمني هو أن صادف عبد الله الأنصاري وأسرته المشقة والعسرة بعد ما تركهم أبوه ولكن يسرني أن أفكر في أن المشكلات والأزمات تنمي في الإنسان بذور استعداداته ، وأن الوصول إلى الغاية يتطلب الجهد والاجتهاد .

وأيضاً مما يسرني أن أذكره هو أن أقارب عبد الله الأنصاري وبعض أسانذته وبعض أصدقاء أبيه ساعدوه مساعدة الكفاف بعد ما تركه أبوه في حفظ الله سبحانه وتعالى .

وروى أن أم « عبد الله الأنصاري » كانت سيدة صالحة تعبد الله وتساعد ابنها « عبد الله الأنصاري » في تحصيل العلوم ، حتى أنها حينما كان ابنها يشتغل في كتابة الأحاديث ويترك أكله كانت تدخل لقمة الطعام في فم ولدها ، لكي لا يضره الجوع .

(١) لم تتضح عندي الظروف والأسباب التي تسببت في أن يضطر أبو منصور إلى سفره هذا لكن الذي أعرف وثبت عندي هو أن دين الإسلام بأبي أن يترك الحر العاقل البالغ باسم الدين والتصوف أولاده وعماله في المشقة ، اذ قد ثبت في دين الإسلام أن الأولاد والزوجة حقوقهم ونفقتهم على ذمة الأب والزوج .

(٢) لم يعرف تاريخ سفره بالضبط .

(٣) من كتاب « زندكي خواجه عبد الله الأنصاري » المطبوع في « كابل » ،

سنة (١٣٤١ هـ ش) ص (٢١ - ٢٥)

ويكفي أن أقول: أن كل هذه الظروف والأسباب التي كانت محيطة بـ « عبد الله الأنصارى » لها دخل في مصير حياته ، ولها تأثير في تكوين شخصيته .

حياة عبد الله الأنصارى

هو عبد الله بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن علي بن جعفر ابن منصور بن مت الأنصارى الهروى ، الفقيه ، الحافظ ، الواعظ ، شيخ الإسلام أبو اسماعيل .

وقد سبق لنا القول أنه من ولد أبي أيوب زيد بن خالد الأنصارى الخزرجى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الذى أقام النبي صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة فى بيته .

وجاء إلى مدينة « هراة » من أجداد « عبد الله الأنصارى » جده الذى يسمى بـ « أبى منصورمت » فى عصر عثمان رضى الله تعالى عنه — مع فاتح « خراسان » الأحنف بن قيس ، واستوطن فيها .

ولد عبد الأنصارى يوم الجمعة وقت غروب الشمس فى الثانى من شعبان فى فصل الربيع من سنة ست وتسعين وثلاثمائة الموافق ٤ من مايو سنة (١٠٠٦ م) وكانت الشمس فى درجة سبعة عشر من شهر ثور فى أيام شم النسيم والزهور والاعتدال (١) .

(١) أيد عبد الرحمن « جامى » فى كتابه « نفحات الأنس » التاريخ المذكور من لسان « عبد الله الأنصارى » وأيده أيضا عبد القادر الرهاوى فى كتابه « المادح والممدوح » الذى يتضمن مناقب شيخ الإسلام الأنصارى وما يتعلق به =

عصر طفولة عبد الله الأنصارى

كتب عبد الرحمن د جامى ، فى كتابه د نفحات الأنس ، عن
عبد الله الأنصارى ، أن كثيراً من العظماء أخبروا فى أيام طفولة
عبد الله الأنصارى ، عن مستقبله المشرق اللامع .

وقد قال الشيخ د شريف حمزة العقيلي ، يوماً لأصحابه فى مدينة
« بلخ » سيقب فى يوم من الأيام ابن د أبى منصور ، بشيخ الإسلام .

وروى عن إحدى السيدات العجائز المشهورة بالذكاء والعلم : د أن
الخضر عليه السلام قال لها : (١) سيملاً العالم من المشرق إلى المغرب
صوت عظمة هذا الطفل وشهرته (٢) وهكذا ذكرت روايات أخرى
يثبت من جميعها أن عبد الله الأنصارى شوهد عليه فى أيام طفولته
ما ينهى عن مستقبله مثل قوة الذكاء والاستعداد ، والنبوغ ، وحسن
القريحة ، وموازنة التصرفات وغيرها مما يخبر بأن هذا الطفل سيكون
فى المستقبل من كبار الرجال ، فعلى هذا كان كل من العلماء والصالحين

بها ، وكذا ذكر عبد الغافر ابن إسماعيل الفارسى فى ذيل تاريخ د نيسابور ،
أنه ولد فى سنة ثلاثمائة وست وتسعين ، فإذن هذا أصح مما ذكره د ابن قيم
الجوزية ، فى كتابه د مدارج السالكين شرح منازل السائرين ، أنه ولد فى
ذى الحجة سنة خمس وتسعين وثلاثمائة هجرية .

(١) لعله فى المنام أو على قول من يقول : إن الخضر عليه السلام حى إلى
الآن ، ويلقى من أراد الله - تعالى - أن يلاقه .

(٢) لو صح هذا فلا يتنافى مع ما جاء فى التعاليم الإسلامية لأن كرامة الأولياء
كما قلنا مظهر لمعجزة الرسول .

الذين لهم التعلق والتعارف مع والد « عبد الله الأنصارى » ، ينظرون إلى « عبد الله الأنصارى » ، فى أوان طفولته بنظرة الشفقة والاحترام ، ويساعدونه فى حياته ، ويوجهونه حسن توجيه .

روى أن أبا منصور كان يأخذ معه ولده « عبد الله الأنصارى » ، إلى صلاة الجمعة ويلتمس من الرجال الصالحين أن يدعوا له دعاء ويمسحوا بأيديهم على رأسه تبركا .

وكان يحس « عبد الله الأنصارى » ، فى نفسه أن معارف أبيه وأن الرجال الصالحين يحبونه مثل أبيه .

وقد كان والد « عبد الله الأنصارى » ، من الرجال الصالحين ، ويتعامل مع العلماء الصالحين والأتقياء ، وكان بينهم الترابط والعلاق الوطيدة ، وكانوا يعقدون المجالس العلمية والروحية والندوات السلوكية ، وتمت بينهم لقاءات خاصة . ، كما حكى عن « عبد الله الأنصارى » ، أنه ذكر عن أيام طفولته ، فقال : إنه رأى فى بيته كثيراً من الرجال الأتقياء والصالحين . لكن لم يبق فى حافظته من أسمائهم وأحوالهم سوى أن يخطر فى باله عنهم بعض الملامح ، ويحكى « عبد الله الأنصارى » ، عن أيام طفولته أيضاً - أنه رأى يوماً الشيخ أبا على كيال ، وأحمد نصر ، وأبا سعيد مالينى جالسين جنباً إلى جنب .

هذا كله يدل على أن القدر هياً لعبد الله الأنصارى وسائل العلم والمعرفة والخير والصلاح .

كيف بدأت دراسات « عبد الله الأنصاري »

كتب عبد الرحمن « جامي » في كتابه « نفحات الأنس » عن « عبد الله الأنصاري » : أصل النص باللغة الفارسية : « أول مرا درد برستان زنی کردند گفتند : زبان دارد چون چهار ساله شدم مرا درد بیرستان مالینی کردند و چون نه ساله شدم إملا نوشتم از قاضی آبا منصور واز جارودی و چهارده ساله بودم که مرا به مجلس بنشانند و من درد برستان ادیب خرد بودم که شعر میگفتم چنانچه دکران را ازمن حسد می آمد »

« ستاصل ترجمة هذا النص »

« هم أدخلوني أولاً في مدرسة للسيدة وقالوا : له لسان (أى يستطيع التعلم) ، وحينما وصلت سننى إلى الرابعة أدخلوني في مدرسة للمالينى ، وعندما وصلت سننى إلى التاسعة تعلمت الاملاء عن القاضى أبى منصور ، ومن « جارودى » - وفي سن الرابعة عشرة أجلسونى فى المجالس وكنت حينئذ أدبياً صغيراً فى المدرسة أنشد الشعر وهذا ما سبب لى حسد الآخرين .

حكى : أن يوماً من الأيام حينما كان « عبد الله الأنصاري » فى المدرسة مع زملائه طلب منه واحد من أصدقائه أن ينشد الشعر العربى فى وصف جمال وجه زميله الذى هو موجود معهم فى الصف فأنشد « عبد الله الأنصاري » بالبداهة ما يأتى : -

لأبى أحمد وجه قمر الليل غلامه وله لحظة غزال رشق القلب سهامه

أقول : يظهر من هذا أن «أبا منصور» توجه سريعاً أبان طفولته ابنه إلى تربيته وتوجيهه من الناحية العلمية والأخلاقية ، كما ثبت أن «عبد الله الأنصارى» كان له فى طفولته وصغره قوة الذكاء والاستعداد الفطرى السليم ، فلأجل هذا استطاع أن يستفيد من دراسة القراءة ، والكتابة ، والإملاء والأدب حينما كان طفلاً .

وأقر بأن السيدة التى علمت «عبد الله الأنصارى» القراءة أولاً لم أجد المعلومات عنها ، وأيضاً لم أجد المعلومات عن أستاذه فى مدرسة «مالينى» .

لكن وجدت المعلومات عن أستاذه الذين تعلم «عبد الله الأنصارى» عنهما الكتابة والإملاء فى سن التاسعة الموافقة لسنة (٤٠٥ هـ - ١٠١٥ م) هما القاضى «أبو منصور» و «جارودى» ، وسأذكر عنهما هذه المعلومات فيما يأتى لأنهما قد أثرا فى تكوين شخصية «عبد الله الأنصارى» تأثيراً كبيراً .

١ - القاضى أبو منصور «الأزدى»

روى : أن سن القاضى «أبى منصور» قد زادت عن ثمانين سنة حينما تعلم «عبد الله الأنصارى» عنه ، وقد كان رجلاً فاضلاً وفقهاً ومحدثاً ، وجلس على كرسى القضاء حوالى ثلاثين سنة ، وكان هو شيخ جميع الشافعية الذين يسكنون فى «هراة» وله شهرة كبيرة فى الديار . يتجه إليه الطلاب المخلصون من كل النواحي ويسألونه فى الأحاديث النبوية .

ويحكى : أن السلطان محمود «الغزنوى» كان يحترمه كما يحكى أن خليفة الفاطميين أرسل رسولا إلى «القاضى» «أبى منصور» فى شهر

خى القعدة سنة ٤٠٣ هـ (١٠١٣ م) يطلب منه خفية أن يدخل فى مذهب الباطنية ، ولما وصل رسوله إلى خراسان ، أخذه السلطان محمود ، وقتله ، ثم أرسل مركبته (بنلة) إلى القاضى ، أب منصور هدية وكتب السلطان محمود ، إليه الخطاب الآتى :

« كان يركب رئيس الملحدى على هذا الحيوان حتى الآن وسيركب رئيس الموحدين عليه بعد هذا اليوم . »

ومما ثبت أن القاضى « أب منصور » كان رجلا عالما وأنه كان حساما فى الاستدلال على أهل البدع . ولما أصدر السلطان محمود ، الغزنوى أوامره فى سنة ٤٠٨ هـ (١٠١٨ م) بمجازاة المعتزلة فرح القاضى « أب منصور » بإصدار هذه الأوامر واشترك معه فى هذه الفرحة تلميذه « عبد الله الأنصارى » الذى وصلت سنة إلى الثانية عشرة ، وكان فى ذلك العصر يسكن فى مدينة « هراة » كثير من المعتزلة .

٢ - « جارودى » : -

كان حافظا للقرآن الكريم والأحاديث النبوية وقد وصل فى العلم إلى درجة بأن أصبح أهلا للحضور إلى محاضرات الأساتذة الكثرين فى مدينة « نيسابور » ، « همذان » ، « أصفهان » ، « البصرة » ، وكان رجلا ذا تقوى وورع وقناعة ،

وكان لا يكتفى فى تعليم الأحاديث بقراءة متن الحديث فقط ، بل كان يتكلم فى صحة الرواية أيضا . ومما يكفى فى إثبات علمه وفضله أن « عبد الله الأنصارى » حين يروى عن أستاذه جارودى يقول :

« إمام أهل الشرق جارودى » ، هذه هي المعلومات الوجيزة عن
أستاذة « شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى » فى أيام طفولته . لكن
فى عصر طفولته ترك أبوه الأهل والأموال بسبب ما حدث له من
الجدب الروحى .

وقد كتب « عبد الرحمن » ، « جامى » ، فى كتابه « نفحات الأنس »
عن « عبد الله الأنصارى » أنه قال :

« كنت لا أزال صغيراً (١) حينما ترك والدى الدنيا ونثر كل ما فيها ،
فأوقعنا فى العسر وأول فقرنا ومشقتنا بدأ من ذلك الوقت » .

يظهر من هذا أن « عبد الله الأنصارى » قد صادفته مشكلات
الحياة فى أوان طفولته وبدأ بكفاح الحياة قبل الشباب .

ومما يسرنى ذكره أن أصدقاء والده وبعض الرجال الصالحين قد
ساعدوه مادياً ومعنوياً وبخاصة الشيخ « يحيى بن عمار الشيبان » و « الشيخ
أبو اسماعيل أحمد بن محمد بن حمزة » الملقب بشيخ عمرو (٢) .

ولما كان هذان الأستاذان الجليلان لـ « عبد الله الأنصارى » قد
ساهما فى حسن تربيته إسهاماً كبيراً ، فعلينا أن نعرف نبذه من أحوالهما
فيما يأتى : —

(١) ثبت من النص الذى قاله « عبد الله الأنصارى » حينما كنت فى سن
(الرابعة عشرة) أجلسونى فى المجالس ، ومن الدلائل الأخرى أن والد « عبد الله
الأنصارى » ترك ماله وأولاده فى سنة ١٠٤٠ هـ أى فى عصر قد وصلت سن عبد الله
الأنصارى (الرابعة عشرة) لا كما قال « سرزبوركوى » ، « راهب دومينيكي » ، أنه
وصلت سنه إلى عشر سنوات .

(٢) عمرو : بسكون الميم والواو المتواضع ولقبه شيخ « نهاوندى » بهذا اللقب
لأنه لا يفتقر بأصله ونسبه ، ويفتح الميمين وضم الميم بمعنى أخى الأب وهذا ليس
مراداً هنا .

١ - يحيى بن عمار الشيباني :

كان هو في الأصل من مدينة « سجستان » ، وعالم بعلم التفسير والحديث وله في الشعر والأدب قوة اليد ، وكان واعظا مشهورا ومرشدا في مدينة « هراة » ، وصاحب الأموال الكثيرة . وقد درس « عبد الله الأنصاري » عليه علم التفسير بعد ما أتم قراءة القرآن الكريم ، ثم بعد مدة قليلة لما ظهرت لياقته تحدث أستاذه بصوت عال عن حسن درايتيه ، فقد قال الشيخ « يحيى بن عمار » يوما في سنة ٤١٠ هـ لأهل محله « قهندز » في مدينة « هراة » ، « ساعدوا عبد الله الأنصاري وتلطفوا معه لأنه يخرج منه رائحة الإمام » وقد أثر قوله هذا على الناس كثيرا ، فأخذوا يترددون عليه ويستمعون إليه .

وحكى أن الشيخ يحيى بن عمار لما صح من مرضه الذي أصابه وجلس على منبره قال : لما توفي المصطفى - صلى الله عليه وسلم - أقام الناس « أبا بكر الصديق » - رضى الله تعالى عنه - مقامه ، فأنا إذا مت فليقم « عبد الله الأنصاري » في مقامى وأنه ليضرب على رأس الملحدن والمبتدعين (١) وذكر عبد الله الأنصاري في حق أستاذه هذا :

(١) الغرض من التشبيه ليس إلا الانبعاث ما حصل بعد وفاة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وهو أن الصحابة أقاموا « أبا بكر الصديق » - رضى الله تعالى عنه - مقام النبي - صلى الله عليه وسلم - لفضله ، ووجه التشبيه خدمة مصالح الناس والدفاع عن الحق ، ولم يكن عند يحيى بن عمار « في التشبيه غير هذا الغرض ، لأنه كان رجلا صالحا لم يكن عنده الانانية ولا سوء الأدب في تشبيهه مقام نفسه بمقام الرسول - صلى الله عليه وسلم - ومقام صديقه وتلميذه الفاضل « عبد الله الأنصاري » بمقام « أبي بكر الصديق » - رضى الله عنه - .

• لو أنى مارأيته لما استطعت أن أطلق لسانى (فى مجالس التذكير والتفسير) وقد تعلم • عبد الله الأنصارى ، طريقة تفسيره للقرآن الكريم بالتفصيل والشرح والتأنى من أستاذة الكبير هذا . وقال :
• عبد الله الأنصارى ، فى بيان أوصافه القول الآنى : -

- يحيى بن عمار كان سلطاناً فى لباس عالم . .
- وروى عن • يحيى بن عمار ، أنه قسم العلوم إلى ما يأتى : -
- ١ - علم يحيى الدين (علم التوحيد والتصوف) .
- ٢ - علم يقوى الدين (علم الوعظ والتلقين) .
- ٣ - علم يداوى به الدين (علم الفقه) :
- ٤ - علم يمرض به الدين (علم الأخبار عما وقع من الخلافات والمنازعات بين السلف) .
- ٥ - علم يهلك به الدين (علم الكلام الذى حاول به بعض الناس أن يحل كل المسائل الإيمانية بعقل الإنسان) .

٢ - الشيخ • عمو ، :

ولد الشيخ ، عمو ، فى سنة ٣٤٩ هـ (٩٦٠ م) وحضر إلى مجالس كبار الصوفيين وزار البلاد الإسلامية المتمدة ، كما أنه غادر فى سنة عشرين مدينة • هراة ، قاصداً أداء الحج . لكن لما وصل إلى مجالس • أبى بكر ، فى مدينة • نيسابور ، واستمع إليه أطاعه فيما نصحه فرجع إلى خدمة أبيه .

وهو كان فى سنة ٣٧٠ هـ (٩٨٠ م) فى مدينة • بخارى ، يستفيد هناك من مجالس الصوفى الشهير • أبى بكر فاليزبان ، (الذى زار الشيخ

« الجنيد البغدادي ، واستفاد منه السلوك) ، واستفاد أيضاً من صحبة الصوفي المشهور « أحمد نصر تالقاني ، إلى مكة المكرمة وقد زار هناك الأساتذة العظام مثل « علي بن جعفر الشبرواني ، و « أبي الحسن بن جهضم » ، وزار في جملة الصوفيين أيضاً « أبا العباس النسائي » و « أبا العباس الآملي » و « أبا علي الدقاق » و « أبا بكر المفيد » و « أبو بكر المفيد » هذا هو الذي استفاد السلوك من مجالس « الجنيد » ودرس من « نهاوندي » أيضاً (١) . وكان للشيخ « عمو » في مدينة « هراة » خانقاه (تسكية) للمسافرين والمساكين .

ثم لما وجد الشيخ « عمو » في « عبد الله الأنصاري » حسن اللياقة والذكاء اتخذه ولداً وعامله معاملة الأب لأولاده ، وكان يجلسه بجواره ويأكل معه وينصحه ويحكي معه وينصحه ويحكي له حكايات حياته ويروي له أخلاق أسانذته ، ومرشديه كما تحمل أيضاً جزءاً من نفقة « عبد الله الأنصاري » ، ولا شك أن الشيخ « عمو » ساعده مادياً ومعنوياً (٢) .

يظهر من كل هذا أن حسن توجيه « أبي منصور » لولده « عبد الله الأنصاري » ، ومعاملته وروابطه مع العلماء والصالحين

(١) « نهاوندي » كان تلميذاً لـ « جعفر الخلدي » الذي كانت له الشهرة في التصوف وكان مخالفاً للنصوري الحلاج .

(٢) من كتاب « زندكي » خواجه عبد الله الأنصاري « بالفارسية » ص (٣٦ - ٣٤) .

والإتقياء قد أثر في حياة « عبد الله الأنصارى » وهياًه للعلم والصلاح والتقوى ، وحرك استعداده ومشاعره حركة شديدة في طريق العلم والعمل ، وطبعه بالأخلاق الحسنة من أول أمره .

ويثبت من هذا أيضاً أن « أبا منصور » قد أحسن توجيه ابنه لأنه بدأ بتعليمه القراءة والكتابة ، ثم بتعليمه الأدب الفارسي والعربي ، وانتخب له الأساتذة العظام ، ومن جانب آخر كان يحكى « أبو منصور » لولده من تجاربه ومن حكايات العلماء والصالحين وكان يأخذه معه إلى مجالس الأساتذة ، والإتقياء ، وإلى أداء الصلاة .

ولاشك أن « عبد الله الأنصارى » كان أيضاً له قوة الاستعداد والذكاء ، وقوة الحفظ والنشاط فاستفاد من المجالس وحلقات الدروس أكثر وأدق وأسرع إفادة .

أوائل شباب « عبد الله الأنصارى »

بدأت مرحلة جديدة في حياة « عبد الله الأنصارى » حينما وصلت سنه إلى الرابعة عشر أى في سنة (٤١٠ هـ - ١٠٢٠ م) لأن أساتذته في هذه المرحلة لم يعدوه من الأطفال ، بل أصبحوا يجلسونه في ندواتهم ومحافلهم إلى جوارهم .

لكن - مع الأسف - توفي أستاذه الكبير القاضى « أبو منصور » في شهر محرم من هذه السنة وكانت سنه تقارب التسعين .

من أجل هذا ذهب عبد الله الأنصارى إلى أستاذه الجليل الآخر

عبد الجبار بن عبد الله بن أبي الجراح المرزباني^(١) الذي كان يدرس كتاب
 « أبي عيسى الترمذى » ، فقرأ عليه في حوالى سنتين وأعجب به ،
 حتى كان « عبد الله الأنصارى » ، يفضل كتاب « أبي عيسى الترمذى »
 على كتابي « البخارى » و « مسلم » ، كما جاء في كتاب الذيل على
 على طبقات الحنابلة^(٢) ما يأتى : « قال ابن طاهر الحافظ : « سمعت
 أبا اسماعيل يقول : كتاب أبي عيسى الترمذى عندى أفيد من كتاب
 البخارى ومسلم ، فقلت لم ؟ قال : لأن كتاب البخارى ومسلم لا يصل
 إلى الفائدة المرجوة منهما إلا من يكون من أهل المعرفة التامة ، وهذا
 كتاب قد شرح الأحاديث وبينها ، فيصل إلى الفائدة منه كل واحد
 من الناس من الفقهاء والمحدثين وغيرهم (ممن لهم بعض الخبرة والدراية) » .

وقد التقى « عبد الله الأنصارى » ، بالصوفى الحنبلى الكبير « أبي عبد الله
 محمد الفضل الطائى السجستانى »^(٣) الذى كانت له هيئة عظيمة فى الجسم
 وفى إلقاء النظرة ، فقد أثر هذا الصوفى فى حياة « عبد الله الأنصارى »
 « تأثيراً عميقاً » ، وأعجب هذا الصوفى أيضاً بـ « عبد الله الأنصارى » ،

(١) كان الأستاذ « عبد الجبار » فى الأصل من « مرو » ، جاء إلى مدينة « هراة »
 وأقام فيها وتعلم كتاب الترمذى عن « أبي العباس محمد التاجر المحبوبي » ، الذى توفى
 سنة ٣٤٦ هـ) وكان « أبو العباس » ، تلميذاً للإمام الترمذى الذى كان مؤلفاً لكتاب
 الترمذى ، فعلى هذا كان عهد الله الأنصارى فى الحقيقة تلميذاً للإمام الترمذى
 بواسطتين هكذا ذكر فى المجلد الثالث من كتاب « شذرات » لابن المهاد . وفى كتاب
 « زندكى خواجه عبد الله الأنصارى » .

(٢) الجزء الأول ص (٥٩) .

(٣) هذا اللقاء قد تم على الراجح فى سنة (٤١٠ هـ — ١٠٢٠) .

كما أنه حدث في يوم من الأيام أن قال الشيخ ، الطاقى ، لـ عبد الله الأنصارى ، : « سبحان الله ما هذا النور الذى أودعه الله - تعالى - فى قلبك ! » .

فقد حكى عن « عبد الله الأنصارى » أنه قال : « أثر كلامه هذا على قلبي وكنت أحس أن هذا الكلام قد نور قلبي » ، فتعلم عبد الله الأنصارى من هذا الشيخ إرشادات الصوفية وعقيدة الحنابلة كما قال عبد الله الأنصارى فى حقه :

« لو أنى ما رأيته ما عرفت عقيدة الحنابلة » . وقد هيا الشيخ ، الطاقى ، تلميذه « عبد الله الأنصارى » للجدالة مقابل أهل البدعة والملاحدة أكثر مما هياه من قبل أستاذه القاضى « أبو منصور » ، و « يحيى بن عمار » لهذا الأمر .

ومن جملة أساتذة « عبد الله الأنصارى » الذين أثروا فى حياته ، ويحترمهم كثيراً ؛ أستاذه « أبو الحسن البشرى السجزى » .

قائمة بأسماء أكثر أساتذة عبد الله الأنصارى

فى هذه المرحلة إلى سنة (٤١٧ هـ)

- ١ - الشيخ « عمرو » ،
- ٢ - الشيخ « يحيى بن عمار » ،
- ٣ - الشيخ « الطاقى السجستانى » ،
- ٤ - الشيخ « البشرى السجزى » ،

— ٣٦ —

- ٥ - الشيخ « الجراحى » ،
- ٦ - الشيخ « محمد الباشانى » ،
- ٧ - الشيخ « أحمد الحاجى » ،
- ٨ - الشيخ « أبوسلمة الباوردى » ،
- ٩ - الشيخ « أبوعلی زرکر » ،
- ١٠ - الشيخ « أبوعلی بوته کر » ،
- ١١ - الشيخ إسماعیل الدباس
- ١٢ - الشيخ « محمد أبو حفص الـکورنى » ،

وقد استفاد أيضاً فى شهر رجب سنة (٤١٤ هـ) بعدد من أشعار « النورى » من لسان « أب القاسم الأیوردى » الذى كان واعظاً سياراً يمر فى هذا العصر على مدينة « هراة » ،

ومن جملة ما أحزن « عبد الله الأنصارى » فى هذه المدة هو وفاة أستاذه القاضى « أبى منصور الأزدى » فى شهر المحرم سنة (٤١٠ هـ) ووفاته أستاذه « الجراحى » فى سنة (٤١٢ هـ) ، ثم وفاة أستاذه « الجاوردى » فى ٢٣ من شهر شوال سنة (٤١٣ هـ) وحصل فى سنة (٤١٤) أن توفى أستاذه « محمد الباشانى » ،

وفى أول شهر صفر سنة (٤١٦ هـ) توفى مرشده الكبير الشيخ « الطاقى السجستانى » ،

وقد أثرت هذه الحوادث على حياة عبد الله الأنصارى تأثيراً

كبيراً ، فعزم على أن يسافر إلى مدينة « نيسابور »^(١) . في سنة (٤١٧ هـ) لينسى الأحزان والمصائب التي ألمت به وليستفيد علم القال والحال — أكثر مما عنده — من الأساتذة العظماء في مدينة « نيسابور » التي كانت مركزاً للعلوم والفنون في ذلك التاريخ^(٢) .

سفر « عبد الله الأنصاري » إلى مدينة « نيسابور »

سنة (٤١٧ هـ - ١٠٢٦ م) وما حدث له هناك

جاء في الكتاب المسمى بـ « الذيل على طبقات الحنابلة » لابن رجب أن شيخ الإسلام الأنصاري سافر إلى « نيسابور » سنة سبع عشر وأربعمائة طالباً للحديث والفقه ومجالسة المشايخ والاستفادة منهم والتبرك بصحبته ، ورجع في نفس تلك السنة^(٣) .

(١) مدينة « نيسابور » واقعة في الطرف الشمال الغربي من مدينة « هراة » والمسافة بين هاتين المدينتين عشرة أيام وكانت مدينة « نيسابور » في عصرها أهم مدن « خراسان » وكانت لها ٤٢ محلة وتوابع كثيرة أخرى ، وبها المسجد الجامع الذي بنى فيها في عصر « صفاريان » الذي له عظمة وشهرة كبيرة في البلاد . وكانت لمدينة « نيسابور » أربع طرق شمالاً وجوباً وشرقاً وغرباً مثل مدينة « هراة » ويعيش فيها الكثير من أساتذة علم الحديث والتفسير والفقه والتصوف والعلوم الأخرى ، وفيها العديد من المدارس للدرس والمحاضرة والمناظرة .

وروى أن « الخطيب البغدادي » حينما كان طالباً للعلم استشار « البرقاني » في السفر لطلب العلم ، فأشار عليه بقوله : « إذا ذهبت إلى « نيسابور » فإنك ستري فيها جماعة من الأساتذة ، فإن لم تستطع أن تصل إلى أحدهم ، فستصل إلى الآخر ، فقبل « الخطيب البغدادي » نصيحته وسافر إلى « خراسان » وتعلم في « نيسابور » من الأساتذة الذين قد زارهم « عبد الله الأنصاري » أيضاً بعده .

(٢) من كتاب زندكي ، خواجه عبد الله الأنصاري « بالفارسية » ص (٣٥ - ٤١)

(٣) الجزء الأول من كتاب الذيل على طبقات الحنابلة ص (٦٠)

وحينما وصل « عبد الله الأنصارى » إلى مدينة « نيسابور » بدأ
بجمع الأحاديث وكان يذهب ، ويقرأ ، ويكتب بسرعة ، ويستفيد
فى يوم واحد من المجالس الكثير ولا يضيع وقته ، ويكتب فى الليل
ما حصل فى النهار .

وتعلم « عبد الله الأنصارى » فى مدينة « نيسابور » من تلاميذ
المحدث الكبير الشهير (فى القرن الرابع) - « أبى العباس محمد بن
يعقوب الأصم » الذى توفى بعد أن عاش ما يقرب من مائة سنة
فى يوم الإثنين ٢٣ من شهر ربيع الثانى سنة (٥٣٤٣ - ٢٤ من يوليو
سنة ٩٥٧ م) وكان من جملة تلاميذ الشيخ الأصم « أبو سعيد الصيرافى
(الذى خدم أستاذه « الأصم » فى عمره الأخير وتحمل نفقته ، وقد
سمع هو من لسانه أحاديث كثيرة) و « أبو الحسن على الطرازى ،
(الذى كان أديبا ومحدثا وحنبليا ، وكان يعتمد عليه « عبد الله الأنصارى »
اعتمادا كبيرا) و « أبو نصر منصور » (مفسر القرآن الكريم)
و « أبو الحسن أحمد السابطى » (الذى كان عالما لعلم الصرف والنحو)
و « القاضى الشهير « أبو بكر الحيرى » الذى قال « عبد الله الأنصارى »
فى حقه : « وجدت فى نيسابور » القاضى أبا بكر الحيرى ، لكن
ما كتبت عنه الحديث ؛ لأنه كان متكلما وأشعرى المذهب وإن كانت
عنده الأسانيد العالية فى الأحاديث .

وما يلزم أن أذكره أن « عبد الله الأنصارى » لم يكن فى مدينة
« نيسابور » طالبا للعلم فى الدرجة الابتدائية ، بل كانت منزلته فى
مدينة « نيسابور » مثل منزلة الطالب الذى كان فى الدراسات العليا
لأنه تعلم قبل سفره فى مدينة « هراة » كثيرا من العلوم ، فيستطيع

أن يبحث في مدينة نيسابور ، مع أساتذته في المسائل الغامضة ، كما أن الإمام أبا الفتح ناصر القرشي المروزي ، أقر بفضله ، وجاء أيضاً في كتاب الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب (١) ، عن الرهاوي ، أنه قال :

سمعت عبد الله الأنصاري بنيسابور ، يقول : دخلت على الإمام ناصر المروزي بنيسابور ، وكان مجلسه غاصاً بتلاميذه ، واحتف به الفقهاء ، وكان يدرس ويقول : روى عن أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - أنه كان يقرأ في الركعة الثالثة من صلاة المغرب : (رب زدني علماً) ، فقلت - أيد الله الشيخ الإمام - : أحديث عهد أنت بهذا الحديث وهو على ذكرك ؟ ، فقال : لا ، فقلت : كان يقرأ في الركعة الثالثة من صلاة المغرب : (ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا) ، فقال صدقت ورجع إلى قولي ، وحث القوم على إثباته وتعليقه ، ثم بكرت إليه من غد هذا اليوم ، فرحب بي ، وأعلى محلي ، وأجلسني فوق جماعة زهاء سبعين والذين كنت بالأمس جالساَ دونهم ، ومدحتم بقصيدة ، وواظبت على الاختلاف إليه وكنت آخذ الفقه عنه مدة (٢) .

وقال الرهاوي ، وأيضاً لقي الشيخ بنيسابور ، الشيخ أبا عبد الله بن باكويه الشيرازي (٣) ، وتكلم بين يديه فرضي

(١) المجلد الأول ص (٦١ - ٦٢) .

(٢) تعلم عنه فقه الإمام الشافعي رحمه الله تعالى .

(٣) المعروف باسم بابا كوهي ، تعلم في نيسابور ، من القشيري و أبي سعيد بن أبي الخير ، وزار أبا العباس نهاوندي ، الذي كتب في سنة (٤١٦ هـ) رسالة باسمه بداية حال الحلاج ونهايته ، وتوفي في سنة (٤٢٧ هـ) .

ابن باكويه قوله ، واستحسن في الحقيقة كلامه ، وبشر بأيامه ، فلما عزم على الخروج من عنده قال : إلى أين ؟ قال نويت سفرا . قال : لست من باب السفر ، بل بابك أن تعقد حلقة تكلمهم على الحق .

وروى أنه كان يعيش في مدينة « نيسابور » الإمام المشهور إبراهيم الاسفرائيني^(١) ، و « أبو محمد الجويني » و « شيخ الإسلام » اسماعيل الصابوني^(٢) ، وآخرون غيرهم ، لكن لم يحضر « عبد الله الأنصاري » إلى صحبتهم وحلقة درسهم لزعمه أن مذهب الأشعري قد أثر عليهم .

وحكى أنه كان من أحد أهداف « عبد الله الأنصاري » في سفره إلى مدينة « نيسابور » أن يستفيد من مجالس الأساتذة الصوفية لكنه لم يدرك في مدينة « نيسابور » هذه المرة من يعجبه وإن كان الشيخ « أبو القاسم القشيري » يعيش في مدينة « نيسابور » وكان كبير السن ولكن لأنه يعتقد بعقيدة الأشاعرة لم يحضر « عبد الله الأنصاري » إلى مجلسه .

وذكر « عبد الله الأنصاري » صحبته مع « ابن باكويه »^(٣) ،

(١) الاسفرائيني كان تلميذاً للأشعري ، توفي في سنة (٤١٨ هـ) هذا ، ماجاء في المجلد الثالث من « طبقات السبكي » .

(٢) اسماعيل الصابوني : كان واعظاً ومفسراً ، ومحدثاً ، وعنده قوة ذكاء واشتهر بشيخ الإسلام ، وتوفي في سنة (٤٤٤ هـ) .

(٣) ذكر « عبد الرحمن جامي » في كتابه « نفحات الأنس » عن « عبد الله الأنصاري » أنه كتب عن الشيخ « ابن باكويه » ثلاثين ألف كلمة وثلاثين ألف حديث .

ومع أصدقائه . أبي الفرج ، و . الرثاني ، و . أبي الترشيرزي ، ،
ومعاشرته لهم ، وأخذ المعلومات عن حياة شيوخهم .

وذكر عن مشكلاته في طلب علم الحديث ، وعن مشكلاته في
سفره إلى مدينة « نيسابور » وفي رجوعه عنها ، وفي حفظ مخطوطاته
التي كتبها في علم الحديث .

وروى أنه بعد عدة شهور وصل « عبد الله الأنصاري » إلى
مدينة « هراة » وحضر إلى « خانقاه » (تكيه) للشيخ « عمرو »
وإلى محضر المجالس العلمية لـ « يحيى بن عمار » .

وأنه كان يروى بعد ذلك في المجالس الأحاديث عن الأساتذة
العظماء ويذكر عن تجارب سفره وعن معلوماته ، فكان سفره إلى
مدينة « نيسابور » رفعة لمنزلته ، وطلبة في دور حياته الجديدة .

حياة « عبد الله الأنصاري »

بين سنة ٤١٧ هـ وبين سنة ٤٢٨ هـ

ولما رجع « عبد الله الأنصاري » من مدينة « نيسابور » إلى مدينة
« هراة » كان يتردد في هذه المرحلة أيضاً على خانقاه (تكيه) للشيخ
« عمرو » ، كما سلم إليه « الشيخ عمرو » بعد مدة تصرف (خانقاه)
« تكيه » لأنه يجب أن يزور البلاد كما يشاء ويخلف بعده من كان
أهلاً للخلافة .

وكان عبد الله الأنصاري يحضر إلى مجالس دروس « يحيى بن عمار »
والمحدثين ، ويستفيد من ندوات الصوفيين ، ففي هذه المرحلة كان

يستفيد من جانب لكمال نفسه ومن جانب آخر كان يفيد الناس ويعالج النفوس ؛ لأداء وظائفها الاجتماعية .

وكان من سيرته في هذه المدة أنه يسلك سلوك الأنقياء ، وأنه يطابق أعماله بالسنة النبوية وإرشادات أهل الحق ، فلذلك أخذ الناس يحترمونه أكثر من قبل .

أساتذة « عبد الله الأنصارى في هذا العصر

- ١ - الشيخ « شعيب البوشنجى » . { وهما كانا تلميذين لـ
- ٢ - الشيخ « أبو طاهر أحمد الضبي » . { « أبي علي الرفاع ،
- ٣ - الشيخ « أبو الفضل عمر بن إبراهيم الهروى » الذى كان فقيهاً وعابداً .

وذكر « عبد الله الأنصارى » أيضاً أسماء الصوفيين الآخرين في هذه المدة لكن لم يذكرهم في درجة الأساتذة مثل « أبي الحسن النجار » (الذى كان نجاراً وحج وزار خادم « الحصرى » الذى يسمى بـ « هلال » ، و « أبي النهر القباني » ، (الذى زار في رحلاته العديدة شيوخاً كثيرة) و « أبي منصور كازر » ، و « محمد كشور » ، (الذى كان رجلاً عابداً وتقياً) و « أبي سعيد المعلم » الذى كان ذا قلب طيب ويلبس اللباس المرقع الأبيض) و « أبي منصور السوخته » ، (الذى كان رجلاً صادقاً ومتمسكاً بدين الإسلام) و « أبي اسماعيل نصر أبادى » ، (ابن الشيخ أبي القاسم) و « أحمد كوفانى » ، (الذى كانت بينه وبين « عبد الله الأنصارى » علاقة الود والمحبة) ، فكل

هؤلاء الأسانذة والصوفيين كانوا في عصره ولا شك أنهم من الرجال الصالحين فارتباطه بهم قد أثر في نضج حياته .

وفي سنة (٤٢٠ هـ) فتح السلطان محمود ، مدينة ري ، وأراد أن ينظفها من الملحدين ، فقتل عساكره فيها عدداً من الباطنيين وفر المعتزلة إلى خراسان ، وأحرقت كتب الفلسفة وعلم النجوم ، ثم خلف السلطان محمود على هذه البلاد ابنه الأمير مسعود ، ؛ لكي يستحكم فتوحاته ، ففتح الأمير مسعود ، بعده مدينة أصفهان ، وخلصها من أهل بويه ، وظلت الأوضاع على هذا المنوال إلى أن جاء الخبر بوفاة السلطان محمود ، في مدينة غزنة ، في يوم الخميس ٢٣ من شهر ربيع الثاني سنة (٤٢١ هـ) ٣٠ من شهر أبريل سنة (١٠٣٠ م) ، فحدث ما حدث بعده من الاختلافات بين أولاد السلطان محمود ، إلى أن استقرت السلطنة لابنه مسعود .

ولا شك أن كل هذه الحوادث قد أثرت على حياة عبد الله الأنصاري ، بسطاً ، وانقباضاً ، كما ضاق صدره من أوضاع الأمير مسعود ومن مظلّم رجال الحكومة وفسقهم وفجورهم حتى أثر أن يكون بعيداً عن أهل السلطة ورجال الحكومة :

وفي أواخر سنة (٤٢٢ هـ) توفي يحيى بن عمار ، - رحمه الله - وكانت سنه تناهز التسعين . وجلس عبد الله الأنصاري ، على كرسيه حسب وصيته .

وفي أواخر سنة (٤٢٢ هـ) توفي الخليفة العباسي ، القادر بالله ، في مدينة بغداد ، يوم الإثنين من شهر ذي الحجة عن أكثر من ست وثمانين سنة ، وكان لأهل مدينة هراة ، علاقة ود قوية مع

الخليفة ؛ لأن الخليفة وهو في سن شبابه قد تعلم من أحد أساتذة « هراة » المسمى به « أبي شير أحمد الهروي » ، فقه الإمام الشافعي وكان الخليفة المتوفى مشهوراً بالتقوى والمجاهدة والدفاع عن السنة ، وحارب طول حياته الباطنيين ، والمعنزة ، كما أنه ألف رسالة باسم « الإسلام الأصيل » .

من أجل هذا كان « عبد الله الأنصاري » والمتعلقون به ومعارفه من مدينة « هراة » يحبون الخليفة « القادر بالله » ، فقد حزنوا كثيراً لوفاة (١) .

أول سفر « عبد الله الأنصاري »

بقصد الحج ووصوله إلى مدينة « بغداد »

ورجعه منها إلى مدينة « هراة »

وما حدث له بين سنة (٤٢٣ هـ) وبين سنة (٤٢٤ هـ)

لما توفي الخليفة العباسي « القادر بالله » ، وقام « القائم بأمر الله » في مقامه خليفة المسلمين أرسل الخليفة الجديد الرسول إلى السلطان « مسعود » ليخبره — بأنه الخليفة السابق قد توفي وقام الخليفة الجديد مقامه ، فوصل الرسول إلى مجلس السلطان « مسعود » وأعز السلطان رسول الخليفة وأهدى له هدية وسلم إليه مكتوباً ببيعته ورجع الرسول من مدينة « بلخ » يوم الخميس ٢٢ من شهر محرم سنة (٤٢٣ هـ) . ومما يلزم أن أذكره أنه كان في مكتوب السلطان « مسعود » إلى الخليفة ضمن سائر المطالب أن يساعد الخليفة حجاج

(١) من كتاب « زندكي » ، خواجة عبدالله الأنصاري بالفارسية ص (٤٢ - ٥٣) .

« خراسان » ، ويهيء لهم طريقهم إلى زيارة بيت الله ، فأرسل الجواب سريعاً من دار الخلافة إلى السلطان « مسعود » ، بأن الخليفة أمر « آل بويه » ، أن يعمرُوا طريق الحج ، ويرفعوا الموانع ، فلم تبق هناك موانع لحجاج « خراسان » ، و « ماوراء النهر » ؛ فأمر السلطان « مسعود » ، أن يتهيأ للحج من يريد الحج ، وجعل « على ميكائيل » ، أميراً للحج ، فسر من كان يرغب في الحج من أهل « خراسان » وعزم الرجال المتدينون من مدينة « هراة » ، على الحج ، ومن بينهم الإمام « أبو الفضل بن أبي سعد (خال شيخ الإسلام « أبي عثمان الصابوني النيسابوري ») الذي وصلت سنه إل ثمانين سنة في ذلك الحين ، فلكبر سنه أراد أن يكون معه في هذا السفر شاب رشيد ، فقبل « عبد الله الأنصاري » ، مرافقته وارتحلت قافلة الحجاج قاصدة بيت الله الحرام ، وبعد عشرة أيام وصلا مع سائر الحجاج إلى مدينة « نيسابور » ، فسر « عبد الله الأنصاري » ، عندما رأى — مدينة « نيسابور » ، التي كان طالباً فيها منذ ست سنوات .

ولما وصل الإمام « أبو الفضل بن أبي سعد » ، مع رفيقه الرشيد « عبد الله الأنصاري » ، إلى مدينة « نيسابور » ، أخرج الإمام « أبو عثمان الصابوني » لحاله الإمام « أبي الفضل بن أبي سعد الزاهد » مجلساً في الحديث ليمليه — « بنيسابور »^(١) فنظر فيه الأنصاري ونبه على الخلل في رجال الحديث الذي وقع فيه ، فقبل الصابوني ، قوله ، وعاد إلى

(١) المقصود هو أن الإمام الصابوني « عقد لحاله في مدينة نيسابور » مجلساً لتوضيح الحديث الخاص الذي ذكر سنه أيضاً ، لكي يكتب الناس من كلام الإمام « أبي الفضل » ، في توضيح الحديث والتعليق عليه .

ما قال ، وأحسن الثناء عليه ، وأظهر السرور به ، وهذا أهل العصر بمكانه ، وقال : لنا جمال ، ولأهل السنة مكانة ، وانتفاع المسلمين بعلمه ووعظه . وكان ذلك بمشهد من مشايخ فيهم كثرة وشهرة وبصيرة (١) .

ثم تحركت قافلة الحجاج من مدينة نيسابور ، فوصلت فيما بين شهر ذى القعدة سنة (٤٢٣ هـ) إلى مدينة بغداد ، (دار الخلافة) واستقبلت القافلة استقبالا حسناً وكانت في مدينة بغداد ، مراسم لدفن الخليفة المتوفى ، القادر بالله ، وإنما أخرت هذه المراسم لكي يشارك أهل خراسان ، في مراسم دفن الخليفة المتوفى .

فبعد ما قرت قافلة الحجاج في مدينة بغداد ، جاء الخبر من البصرة ، أن طريق - الحج غير مأمون ومن جانب آخر كان في هذه السنة مرضا الحصبة والجدرى شائعين في كل الشرق حتى مات بسبب هذين المرضين فقط في «أصفهان» ما يقرب من أربعين ألف شخص . وعلى كل حال فقد حاول الخليفة بكل الوسائل أن يهيء الظروف لحجاج خراسان . لكن لم يقدر الله لهم الحج في تلك السنة ، فرجعت قافلة حجاج خراسان ، من مدينة بغداد ، إلى خراسان ، ووصل عبد الله الأنصارى ، مع القافلة إلى مدينة نيسابور ، ففي هذا السفر وإن كانت مدة إقامته في مدينة بغداد ، قليلة إلا أن عبد الله الأنصارى استفاد من المحدث الشهير ، أبي محمد ، الذي وصلت سنه إلى واحد وسبعين سنة ، وزار

(١) من كتاب الذيل على طبقات الحنابلة - لابن رجب - المجلد الأول

في الطريق مدن « بسطام » و « طوس » وبعض المحدثين (١) .

السفر الثاني لـ « عبد الله الأنصاري

بقصد الحج وملاقاته للصوفي الشهير « الخرقاني » ،

في سنة (٤٢٤ هـ - ١٠٣٣ م)

وعودته إلى مدينة هراة في هذه السنة نفسها

سافر « عبد الله الأنصاري » إلى الحج مرة ثانية في سنة (٤٢٤ هـ) . لكن في هذه المرة أيضاً حدثت الموانع في طريق مدينة « الري » ، ولم يستطع أن يصل إلى بيت الله الحرام ، ففي هذه الرحلة رأى « عبد الله الأنصاري » في مدينة « نيسابور » في خانقاه (تكية) لـ « ابن باكويه » الصوفي الشهير « أباسعيد بن أبي الخير » وهو الذي زار في تلك الأيام الصوفي المجذوب « الخرقاني » ، فذكر عند « عبد الله الأنصاري » من حكاياته وزار في الطريق أيضاً الشيخ « محمد القصاب الأملی » - الذي كان تلميذاً لـ « أبي العباس القصاب » - و « ابراهيم دهستاني » الذي كان مرشداً روحانياً ، فأخبر عبد الله الأنصاري أنه برىء من أهل الكلام .

وكان من أهم ما حدث لـ « عبد الله الأنصاري » هو أنه زار في هذا السفر الصوفي المجذوب « الخرقاني » زيارة قصيرة لكن أثرت زيارته فيه تأثيراً عميقاً طول حياته ، كما كتب « عبد الرحمن جامي » في كتابه « نفحات الأنس » ، عن « عبد الله الأنصاري » ، أنه قال :

(١) من كتاب « زندگی و خواجه عبد الله الأنصاري بالفارسية ص (٥٤ - ٥٧)

عزمت على الحج وذهبت إلى مدينة د رى ، . لكن قافلة الحج لم يكن لديها الاستطاعة والزاد في تلك السنة وفي العودة وصلت إلى مجلس د الخرقانى (١) ، ، فرآنى وقال : تعال أنا معشوقك قد جئت من البحر ثم حكى د عبد الله الأنصارى ، عن هذه الصحبة ، فقال : لا يعلم إلا الله ما قال من الغيب ، ويكفى لكراماته أن قال لى : قد جئت من البحر ، وقال د عبد الله الأنصارى أيضاً ، لما سمعت منه ما قال صرت خرقانى (٢) ، وذكر أنه يعظمه كثيراً ولا يعظم سائر الناس مثله . وقد قال له الخرقانى فى ضمن كلامه : ، لا تعمل المناظرة معى ، لأنك عالم وأنا جاهل قال د عبد الله الأنصارى ، قلت له : د يا شيخ عندى سؤال ، قال : فاسأل د يا من أنا معشوقك ، ، فسألته خمس أسئلة :

ثلاثة منها باللسان واثنين منها بالقلب ، فأجاب على كل الأسئلة

(١) كتب د نيكولسن ، فى كتابه عن الصوفيين المسلمين الذى طبع فى لندن سنة ١٩١٤ م أقوال د الخرقانى ، وترجم باللغة الإنجليزية كلمات د الخرقانى ، لكن ظن نيكولسن بأن د الخرقانى ، كان من القائلين بوحدة الوجود خطأ لأن البسطامى و د الخرقانى ، و د عبد الله الأنصارى ، لم يكونوا من المعتقدين بوحدة الوجود . من كتاب د زندكى خواجه عبد الله الأنصارى المروى ، ص (١٧٥) .

(٢) قوله : د صرت خرقانى ، يظهر منه أن د عبد الله الأنصارى ، كان فى ذلك الحين يعتقد بعقيدة الفناء والحلول وهى أن المريد يصل فى مدارج سلوكه أولاً إلى مرتبة يصير وجوده عين وجود مرشده ، لكن الأرجح أنه عبر عن شدة تأثير د الخرقانى ، عليه ، وقول الخرقانى : د أنا معشوقك ، دلل على أن د الخرقانى ، عليه بأن مرتبة المرشد هي مرتبة المعشوق فقط .

ثم أخذ بيدي في نغذه وصوت صوتا هائلا وكان الماء يجري من عينيه
مثل النهر وهو يتكلم معي (١) .

وروى عن « عبد الله الأنصارى » أنه قال . لو أنى ما رأيت
الخرقانى لما عرفت الحقيقة واختلط على هذه بتلك ، يعنى النفس
بالحقيقة .

وذكر « عبد الله الأنصارى » فيما يتعلق بـ « الخرقانى » ، أن
الخرقانى كان يقول : أنه اقتدى بـ « البسطامى » الذى توفى قبله
بقرن واحد (٢) .

وفى الحقيقة أنه كانت بينهما مشاركة فى كثير من الأفكار
والأوصاف منها :

أن الخرقانى والبسطامى كلاهما وصلا إلى الحق بالمجاهدة واتباع
الحق من غير المرشد ، وكلاهما يعتقدان بأن الوصول إلى الحق باتباع

(١) روى : أن « الخرقانى » كان من أهل الحال ولم يكن من المفكرين الذين
شروا الطريقة والسلوك فى الرسائل أو الكتب ، فإذن ما طرحه « عبد الله
الأنصارى » عنه كان أكثره عبارة عما فهم أو عرف من حاله .

(٢) بسطام : قرية من قرى « خراسان » ، والشيخ « أبا يزيد البسطامى »
« هو العارف الشهير الذى تداولت جوامع كلبه المأثورة عنه بين أهل السلوك وبين
عامة الناس ، لكن ثبت أن أكثر ما اشتهر عن « البسطامى » من الأقوال التى
لا تناسب مقام الألوهية هى فى الحقيقة ليست من « بسطامى » ، وأن بعضها من قبيل
الرمزيات التى لا يفهمها إلا من كانت له معرفة بالرمزيات ، وتوفى « أبا يزيد
البسطامى » فى ١٥ من شهر شعبان سنة (٢٦٠ هـ) .

٤ - الصوفى الكبير

السنة ، ومجاهدة النفس ، وبفضل الله تعالى ، ومنها أنهما يعتقدان بأن الناس لا يمكن أن يصلوا إلى كنهه مقام الألوهية لكن لطف الله باتباع الحق يأخذ الناس ، فيصلهم إلى معرفته .

وما يعتقد « الخرقاني » ما يأتي (١) :

١ - من حصل عنده الأمل في الوصول إلى الله ، فأثره أن يحترز من كل آمله فيما سواه .

٢ - إذا وصل حب الله أعماق قلب إنسان فأثره أن لا يفكر في شيء سواه حتى الجنة ولا يخاف من شيء سواه حتى النار .

٣ - إن السعي للكشف والمكاشفة لا فائدة منه ، والمطلوب الحقيقي هو رضا الله « تعالى » .

٤ - أن السلوك الحقيقي هو التطابق الكامل بين الشريعة والحقيقة ، فمن ترك الشريعة فقد ترك الحقيقة .

٥ - يلزم على السالك في أي مرتبة كان أن يعتقد بعجزه ويهتم بدوام السعي في طلب رضا المولى أينما كان .

روى عن « الخرقاني » أن رب العالمين كما هو موجود في الحجاز هو موجود في « خراسان » أيضا (٢) (يعني أنه يريد أن يقول أن

(١) من كتاب « زندكي خواجه عبد الله الأنصاري » ، ص (٦٢) .

(٢) قول « الخرقاني » ، هذا ليس إنكاراً لبركة بيت الله ومدفن النبي — صلى الله عليه وسلم — ، بل مقصوده هو أن يعرف الناس أن الله — تعالى — موجود في كل مكان ، فمن لم يستطع أن يصل إلى بيت الله والأماكن المباركة لا ييأس من رحمة الله سبحانه — وتعالى — ومن وصل إلى الأماكن المباركة يلزم عليه أن لا يتصور أنه وصل إلى الهدف الأصلي ، لأن الهدف الأصلي هو الرجوع الخالص إلى الله — جل شأنه —

الهدف الأساسى هو الارتباط القلبي مع الله ، تعالى ، والانقياد له
أينما كان الإنسان ، .

ولا شك أن بين ، البسطامى ، وبين ، الخرقانى ، مناسبات
كثيرة لأن كلاهما من منطقة واحدة ولكليهما رمزيات متقاربة
وعبارات مسجعة ، وكلاهما يعبد الله حق عبادته ويهدى الناس إلى
الرابطة القوية مع الله ، تعالى ، ومع دين الإسلام ، ويعالج قلوب
الناس من الأمراض الروحية ، فهما فى الحقيقة أطباء مجربون فى
معالجة ما يعرض للقلوب والأفكار والخواطر من العلل والضعف
والجرائم المضرة بالروح ،

فيثبت من هذا أن تأثير ، الخرقانى ، على ، عبد الله الأنصارى ،
هو تأثير روحى ، وتأثير ربانى ، فآثر فى قلبه وفكره وخواطره
تأثيرا عميقا ، حتى لا يستطيع ، عبد الله أن يشرحه ، ويعبر عنه .
وحينما زار ، عبد الله الأنصارى ، الشيخ الخرقانى ، كان ، الخرقانى ،
كبير السن وقد توفى بعد مدة قليلة فى العاشر من شهر المحرم سنة
(٤٢٥ هـ) .

وقد فارق ، عبد الله الأنصارى ، مرشده الروحى ، الخرقانى ،
مفارقة العاشق والمعشوق ، ولعل هذه المفارقة باجازه ، الخرقانى ،
لمصلحة عامة الناس .

ولما فارق ، عبد الله الأنصارى ، مرشده أراد أن يزور ، أبا حاتم
ابن خاموش ، كما جاء فى كتاب ، الذيل على طبقات الخنابلة ، لابن
رجب ، (١) ما يأتى : -

(١) المجلد الأول صفحة (٥١ - ٥٢) .

« قال محمد بن طاهر الحافظ في كتابه « المنشور من الحكايات والسؤالات » سمعت « عبد الله بن محمد الأنصاري » يقول : لما زرت الشيخ « أبا الحسن الجركاني » الصوفي الشهير وعزمت على الرجوع وقع في نفسي أن أقصد « أبا حاتم بن خاموش » الحافظ بـ « رى » ، والتقي به ، وكان مقدم أهل السنة بـ « رى » .

وذلك لأن السلطان محمود بن سبكتكين لما دخل « رى » قتل بها الباطنية ومنع سائر الفرق من الكلام على المنابر غير « أبي حاتم » وكان كل من يدخل « رى » من سائر الفرق يعرض اعتقاده عليه ، فإن رضىه أذن له في الكلام على الناس وإلا منعه ، فلما قربت من « رى » كان معي في الطريق رجل من أهلها ، فسألني عن مذهبي قلت : أنا حنبلي ، فقال : هذا مذهب ما سمعت به ، وهذه بدعة ، وأخذ بثوبي ، وقال : لا أفارقك ، حتى أذهب بك إلى الشيخ « أبي حاتم » فقلت : خيرة ؛ لأنني كنت أتعجب إلى أن ألتقي به ، فذهب بي إلى داره ، وكان له في ذلك اليوم مجلس عظيم ، فقال : أيها الشيخ هذا الرجل الغريب سألته عن مذهبه ، فذكر مذهباً لم أسمع به قط . قال : ما قال ؟ قال أنا حنبلي . فقال : دعه لأن كل من لم يكن حنبلياً ليس بمسلم^(١) ، فقلت في نفسي الرجل (أي أبو الحاتم) كما وصف لي ولزمته أياماً .

ثم عاد « عبد الله الأنصاري » في طريق عودته — مرة ثانية إلى « نيسابور » وأقام فيها عند صديقه « ابن باكويه » ولما رأى الشيخ

(١) كان مقصود « أبي حاتم » أن أساس مذهب الحنبلي لإتباع القرآن الكريم والسنة ، فلا شك أن من لم يعتقد اتباع القرآن والسنة فهو ليس بمسلم .

١٠ ابن باكوته ، عبد الله الأنصاري ، نادى مهيئاً إلى خادمه ، أبي الفرج ، فلما حضر قال له : ماذا قلت لك حينما غادرنا ، عبد الله الأنصاري ، ؟ ، فأشهد ، أبو الفرج ، أن الشيخ ، ابن باكوته ، قال له في حقك : أنه يريد السفر . لكنه ليس مصنوعاً للسفر ولا يناسبه ، بل يناسبه ، أن تدور حوله حلقة ويتكلم هو معهم من الله .

ثم ذهب ، عبد الله الأنصاري ، مرة ثانية إلى مجلس ، أبي سعيد أبي الخير ، ، فاستقبله واحترمه احتراماً كبيراً وانعقدت بينهما اجتماعات ودارت بينهما المناظرة واشتد البحث ، كما تكلم ، عبد الله الأنصاري ، معه بصراحة وأظهر رأيه واضحاً بشأن بعض عقائده في التصوف وفي طريقة بعض مشايخ عصره .

وقد جاء في كتاب ، نفحات الأنس ، لـ ، عبد الرحمن جامي ، عن ، عبد الله الأنصاري ، أنه قال : كنت مع ، أبي سعيد أبي الخير ، مرتين (فحدث يوماً) أنه أنزل عمامته من رأسه وأعطى له سجادته ووضع ، اللفت ، المغلى في فيه ، . هذا مجمل ما حدث لـ ، عبد الله الأنصاري ، في سفره هذا ، فرجع في آخر سنة (٤٢٥ هـ) إلى مدينة ، هراة ، .

فلما استقر بها بدأ في سنة (٤٢٥ هـ) بالدرس^(١) وإصلاح النفوس ، واجتمع عليه كثير من الناس ، فانتشر صوت تعليمه إلى كل مكان كما سمع ، اسماعيل جشتي ، أو ، خشتي ، صيت تدرسه

(١) كان يدرس في هذه المرحلة من حياته الحديث ولم ير نفسه مهيئاً لدرس التفسير .

وإرشاده ، فطلبه عنده ووضع كل أمواله في تصرفه وخدمته .
وقد ثبت أنه في هذه المرحلة فأنشطه وجذباته ووجوده مثل
فوران ، الخرقاني ، ، وجذب كلامه وتدريسه وإرشاداته الناس مثل
المخناطيس (١) .

حياة عبد الله الأنصاري في أيام (نبادان)

في فصل الشتاء من سنة (٤٢٥ هـ)

روى أن اسماعيل الجشتي في فصل الشتاء ، وفي الأيام التي كان
البرد فيها شديداً وينزل فيها الثلج أخذ معه ، عبد الله الأنصاري ،
وذهبوا إلى « نبادان » (٢) وعقدوا هناك اجتماعاً من كبار الرجال سناً
وزهداً ومن الذين كانوا من أهل العلم والفضل والتقوى والكرامة يصل
عددهم إلى اثنين وستين شخصاً ، واستمرت هذه الاجتماعات في
« نبادان » أكثر من أربعين يوماً ، ففي تلك الاجتماعات أخذ عبد
الله الأنصاري ، يشرح لهم الحقيقة التي تعلمها عن « أب الحسن
الخرقاني » ، فقد أثر عبد الله الأنصاري ، فيهم تأثيراً عميقاً ، حتى
صار كل واحد منهم عاشقاً له وأعطوا له الهدايا حتى وصل عددها
إلى ألف ومائتي همدية من أنواع اللباس . لكن عبد الله
الأنصاري ، لم يأخذ معه إلى مدينة « هراة » شيئاً من تلك الهدايا
إلا سجادة قديمة .

ومن المؤسف أنه لم تصل إلينا المعلومات عن هؤلاء الشيوخ
إلا عن الأربعة الآتية أسماؤهم : —

(١) من كتاب « زندكي » خواجه عبد الله الأنصاري ، بالفارسية ص (٦٦-٥٨) .

(٢) نبادان أو نبادان أو نو آبادان : قرية من أعمال مدينة « هراة » .

١ - الشيخ « أبو حفص بغاء دروان » :

الذي كانت له روحانية كبيرة ، ووصفه « عبد الله الأنصاري » ، بأنه كان شديد التوجه إلى كلامه ، وتوفي هذا الشيخ - رحمه الله - في الأسبوع الذي افترق فيه « عبد الله الأنصاري » عنه .

٢ - الشيخ « بوبشر كواشاني » : الذي تستأنس الطيور والحمام لصوته .

٣ - الشيخ « أحمد كابد ستاني » : صاحب الكرامة .

٤ - الشيخ « أحمد مرجانه » : (١)

حياة « عبد الله الأنصاري »

بين سنة (٤٢٥ هـ) وبين سنة (٤٣٦ هـ)

وأهم ما حدث له في هذه المدة

وعاد « عبد الله الأنصاري » إلى « هراة » ، وقد ثبت أنه بعد ما رجع من « نبادان » ، تغيرت أوضاعه وصمم على الدرس والتلقين بنهج يوافق الطريقة مع الشريعة ، حتى أنه أخذ في مدة عشر سنوات (بين سنة (٤٢٥ هـ) وبين سنة (٤٣٦ هـ)) يدرس الأحاديث النبوية ويرشد المسلمين ويسعى لتزكية النفوس بتعاليم الشريعة ولم يحدث في هذه المدة شيء من التحولات المهمة في نهج حياته ، و - أهم ما حدث في هذه المدة هو الأحداث السياسية التي وقعت بين السلطان « مسعود »

(١) من كتاب « زندكي خواجه عبد الله الأنصاري » ، ص (٦٩ - ٧٠) .

وبين « التركنات » و « السلاجقة » ، حدث ما حدث من الاختلافات والحروب والقتال والتخريب مما تسكره النفوس واليقول السليمة ، فمن أراد أن يعرفها بالتفصيل ، فعليه أن يقرأ تاريخ « أبي الفضل البيهقي » .

وروى أنه في سنة (٤٣٠ هـ) توفي والد « عبد الله الأنصارى » في مدينة « بلخ » وقد أثر هذا الخبر على قلبه تأثيراً شديداً . وفي نفس السنة شكّا مخالفوه من أهل البدعة والمعتزلة والأشاعرة إلى السلطان بأنه يتجاوز في درسه وتلقيه حدود الشريعة ، فطلبه السلطان « مسعود » وسأله : هل أنت قلت أن الله - عز وجل - يضع قدمه في النار ؟ ، فأجابه « عبد الله الأنصارى » بما حاصله : أن الله عز وجل لا يحس من النار الضرر ، وأن النار لا تضره وقال إن نبيه لا يكذب عليه وأن علماء هذه الأمة (العلماء الصالحين المتقين) لا يكذبون عليه فيما روى عنه ولا يزيدون على كلامه شيئاً من عند أنفسهم ، ففنع السلطان بما أجابه وودعه بعزة واحترام ، فلم يستطع أعداؤه بعد هذه المؤامرة أن يتآمروا عليه مرة أخرى في عصر السلطان « مسعود » ، فاطمأن في تدريسه وتلقيه وازداد فيضه وذاعت شهرته يوماً فيوماً .

وما يلزم أن أذكره هو أن الاختلافات بين « عبد الله الأنصارى » وبين الأشاعرة إنما كان أكثرها لأجل خطأ في التعبير وسوء في التفاهم الذي وقع بينه وبين أتباع^(١) « أبي الحسن الأشعري » ، والواقع أننا

(١) المراد بأتباعه أنباعه الجهلاء وقد ثبت بالتجربة أن أكثر ما يصدر من الاتباع الجهلاء لا يرضى به المتبوع . لأنهم لقلة فهمهم يغيرون أصل الخطأ المرسومة .

لو أمعنا النظر لو جدنا أن « عبد الله الأنصارى ، كان تابعا لمذهب « أحمد بن حنبل ، أشد المتابعة وأن « أبا الحسن الأشعري ، كان أول من كسر شأن المعتزلة ، وأعلن بأن مذهبه وما يعتقده هو بعينه رأى « الإمام أحمد بن حنبل ، ويعتبره الإمام الفاضل والرئيس الكامل الذى أبان الله به الحق عند ظمور الضلال ، وأوضح به المنهاج ، وقع به بدع المبتدعين وزيف الزائغين ، وأبطل به شك المشككين .

وأن الخلاف الجزئى بين رأى « أبى الحسن الأشعري ، ورأى « الإمام أحمد ، لا مخلص منه لأن « الأشعري ، قد ثار يدافع ضد حملة المعتزلة على الفقهاء والمحدثين وضد حملة أهل البدع والأهواء على دين الإسلام ، فاضطره ذلك إلى أن يسلك فى الاستدلال على العقائد مسلك النقل ومسلك العقل ؛ فلأجل ذلك تراه يثبت ما جاء فى القرآن الكريم والحديث الشريف من أوصاف الله تعالى - ورسله ، واليوم الآخر ، والملائكة ، والحساب ، والعقاب ، والثواب بالنقل ، لكن يميل إلى الأدلة العقلية والبراهين المنطقية ؛ لكي يستدل بها على صدق ما جاء فى القرآن والسنة عقلا بعد أن وجب التصديق بها كما وردت فقلا ، فهو لا يتخذ من العقل حاكما على النصوص ليؤلها بل يتخذ العقل خادما لظواهر النصوص .

مع هذا لا شك أن « الأشعري ، استعان فى سبيل ذلك بقضايا فلسفية ومسائل عقلية التى خاض فيها انفلاسفة وسلكها المناطقة وكان السبب الرئيسى فى سلوكه ذلك المسلك العقلى ما يأتى : -

١ - أنه قد تصدى للرد على المعتزلة فلا بد أن يلحن بمثل حججهم ،

وأن يتبع طريقهم في الاستدلال ليفلج عليهم ويقطع شبهاتهم ويفحمهم بما في أيديهم ويرد حججهم عليهم .

٢ - أنه قد تصدى للرد على الفلاسفة ، والقرامطة ، والباطنية ، وغيرهم من أهل البدع والأهواء الذين لا يقنعهم ولا يفحمهم إلا الأقيسة المنطقية والدلائل العقلية . لكن مع كل هذا فلا شك أن الأشعري ، خالف في بعض المسائل مذهب الإمام أحمد ، وأنه اتخذ من العقل حاكما على النصوص وأولها في بعض المسائل بالعقل فقام عبد الله الأنصاري ، ليدافع عن رأيه وبين وجهة نظره في مخالفته للأشعري كما سنوضح هذا الموضوع في موضع آخر من هذا الكتاب حينما أشرح آراء عبد الله الأنصاري ، التي تتعلق بعلم الكلام .

روى أنه في الثاني عشر من شهر المحرم سنة (٤٣٢ هـ) زاد الخلاف السياسي واشتدت المحاربة بين السلاجقة ، و الغزنويين ، وأخذ السلاجقة ، أكثر بلاد خراسان ، وانتزعوها من سيطرة الغزنويين ، وأرسل السلطان مسعود ، ولده الأمير مودود ، إلى مدينة بلخ ، ثم عزم على السفر إلى الهند ، فأخذ معه ما أخذ من الأموال والخدم وأهل بيته وغادر مدينة غزنة ، حتى وصل إلى قرب نهر السند ، لكنه حينما أراد أن يمر على نهر السند ، ثار عليه من كانوا معه واستولوا على ما كان عنده من الأموال وجعلوه معتقلا ، حتى قتله أبناء أخيه الأعمى في (١١ من شهر جمادى الأولى سنة (٤٣٢ هـ) ، و نادوا بأبيهم الأعمى محمد ، ساطانا على البلاد فحدث ما حدث بين الأمير مودود ، ابن مسعود ، وبين أبناء عمه ، حتى وصل الأمر في سنة (٤٣٥ هـ) إلى قطع سلطة سلاطين غزنة ، من بلاد خراسان ، فتصرف السلاجقة ، في جميع بلاد خراسان .

ولما تولى د السلاجقة ، زمام الحكم في د خراسان ، بدأ الخلاف بين د عبد الله الأنصارى ، ومخالفيه ، حتى استطاع أعداؤه بمؤامراتهم أن يبعدوه عن مدينة د هراة ، إلى نواحيها . لكن لم يطل هذا الإبعاد مدة طويلة فلم يتعد عدة شهور حتى رجع د عبد الله الأنصارى ، إلى مدينة د هراة في فصل الصيف وفي أوائل سنة (٤٣٦ هـ) ولما استقر بدأ بتدريسه وتلقينه . لكنه في هذه المرة غير منهج تدريسه من تدريس الحديث إلى تدريس التفسير ، فبدأ بتفسير القرآن الكريم من الأول باختصار وختمه في سنة واحدة (١) .

حياة عبد الله الأنصارى

بين سنة (٤٣٧ هـ) وبين سنة (٤٤٥ هـ)

وما حدث له فيها من الحن

روى أن د عبد الله الأنصارى ، بدأ في فصل الصيف من سنة (٤٣٧ هـ) بتفسير القرآن الكريم من أوله مرة ثانية لكنه أخذ في هذه المرة يفسر طبقا لمنهج أستاذه الجليل د يحيى بن عمار ، في التفسير ؛ وهو أنه يفسر القرآن الكريم بالشرح والتوضيح التام حتى استمر على هذا المنهج ما زاد على أربعين سنة ، وقبل أن يختمه توفي .

وروى أنه كان في بدايته للتفسير يتكلم عن الشريعة كثيرا ويوضح حقيقة الدين والإيمان ، ويدافع عن الدين بمقاومة ما أشاء أهل

(١) من كتاب د زندكى ، خواجه عبد الله الأنصارى بالفارسية ص (٧٥-٨٩) مع التحقيق في المراجع الأخرى .

البدعة من البدع والأهواء ، فقام أهل البدعة والمعتزلة والأشاعرة بالعمل ضد، إلى أن اعتقلته الحكومة بسبب مؤامراتهم في محبس قرب « بوشنج » وظل فيه مدة سنة ، فوجد في أيام اعتقاله وعزله فرصة للتفكير والدقة ، ففكر وبحث فيما مضى من أعماله وحركاته من الصواب والخطأ ، حتى حدد أخيراً خطاه للمستقبل عن : كيف يعبد ؟ وكيف يدرس ؟ وكيف يعامل ؟ .

وفي هذه المدة كان يفكر في صورة والده وأقربائه وصورة « الطاقى » و « الخرقانى » وصورة سائر أسانذته من الفقهاء والمحدثين وصور أصدقائه ومحبيه ويستمد منها الحكم والعبر ، ثم خرج من المحبس سنة (١٣٩٩ هـ) ، ورجع إلى مدينة « هراة » وبدأ بتدريسه وتلقيه على نهج جديد وأخذ في تفسيره من الوقفة التي وقف عندها وبعد مدة وصل تفسيره إلى آية (١٦٥) من سورة البقرة وهي (والذين آمنوا أشد حبا لله) ، فهدى المجالس الكثيرة في تفسيرها واستمر في شرحها مدة طويلة ، كما وضع فيها من الحقيقة ومنازل السالكين ، وأثبت أن العبودية الحقيقية هي حب الله تعالى بإتباع هدى القرآن الكريم وإتباع سنة النبي - صلى الله عليه وسلم - .

واستمر تدريسه بهذا الأسلوب إلى سنة (١٣٤١ هـ) وكان يعقد حلقات درسه في « خانقاه (تكيه) لشيخ « عمو الذى كان يحب « عبد الله الأنصارى » ويعامله معاملة الأب لابنه .

الحق أن الشيخ « عمو » ساعده في طفولته وفي مراحل حياته ودافع عنه ، حتى توفي .

ولما توفي الشيخ «عمو» (١) تغيرت أوضاع «عبد الله الأنصاري» وصادف في حياته صنوف الفقر والاحتياج مدة طويلة والسبب في ذلك هو أن «عبد الله الأنصاري» لم يكن يظهر احتياجه لأحد ولم يكن في الناس وقتئذ من يراقب أحواله وحوائجه مثل الشيخ «عمو» ، فوصلت حياته إلى آخر درجة من العسرة ، كما حكى عنه «عبد الرحمن جامي» ، في كتابه «نفحات الأنس» ، أنه قال : «لم تكن عندي في الشتاء حبة» ، وأن البرد كان شديداً ، ولم يكن عندي في فصل الشتاء إلا حصيراً واحداً الذي كنت أنام عليه ، ولبدأ صغيراً بحيث لو أغطى بها رجلي يكشف رأسي ولو أغطى بها رأسي تكشف رجلي وأضع تحت رأسي لبنة ، وكنت أعلق اللباس الذي أخرج به إلى المجلس على مسمار في حائط البيت وقال أيضاً . حضرت كثيراً إلى المجالس في لباس مستعار ، وكثيراً ما عشت مع من يأكل النباتات ، وكثيراً ما وضعت اللبنة تحت رأسي مع أنه كان عندي أصدقاء وأقرباء وتلاميذ في ذلك الوقت كانوا ذوي قدرة ومال ولو طالبت منهم أي شيء لأجابوني إلى طلبي لكني ما أردت أن أظهر حاجتي لهم ، وكنت أقول (في نفسي) ولم هم لا يفكرون في أن ليس عندي شيء ويعرفون أن من عادتي أن لا أسأل أحدا شيئاً .

نعم : من المؤسف أن أصدقاءه وأقربائه وتلاميذه لم يفكروا في أمر حياته ومشكلاته ، ولم ينظروا إلى أنه وقف حياته ووجهها في سبيل إصلاح النفوس وخدمة العلم ومعرفة الحق وفي حب الله تعالى ، وأن

(١) توفي الشيخ «عمو» في الثاني من شهر رجب سنة (٤٤١ هـ) وقد وصلت سنه (٩٢) سنة .

ليس له شغل آخر ، وأزه لا يجد الوقت لكسب معيشته ، فكان من الواجب عليهم أن يقوموا بما يكفل حياته .

وحكى د عبد الله الأنصارى ، أنه لم يكن عنده فى هذه المدة قدرة ولا استطاعة لأن يوطى شيئاً للقراء وللطلاب الذين يقرءون ويتعلمون منه ولم يكن ليسأل أحداً حتى يجمع الأموال لهم .

فكان حزينا لأنه لا يستطيع أن يقوم بهذه الخدمة للطلاب ثم حدث أن رأى أحد الناس فى منامه « دافيدال » نبي الله وهو يقول له أعط دكانك لـ د عبد الله الأنصارى ، لكى يصرف فلوسه على القراء ، فعمل بما رأى فى المنام ، فكان يؤدى نقود دكانه للقراء .

وهكذا مرت عشر سنوات على د عبد الله الأنصارى ، نى العسر والمشقة ، لكن مع كل هذه المتاعب والمشكلات ، والحبس ، والمصائب وضيق العيش ، والتحويلات السياسية السيئة فى عصر د السلاجقة ، استمر واستقر بفضل الله - تعالى - فى عبادة الله - تعالى - وفى تدريس تفسيره وتلقينه لأسرار الحب فى الشريعة والحقيقة كما كان ، حتى روى أنه حينما كان يضيق صدره وينقبض قلبه فى بعض الأحيان ، فإنه كان يتوجه إلى الله فيطمئن قلبه بذكر الله كما قال - تعالى - « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » وكثيرا ما كان الله يفرج عنه كربته كما روى عنه أنه كان يوما جالسا عند منزله ضيقا صدره لأمر ما فهم الريح وألقى عليه ورقة مكتوبا عليها (فرج - فرج) (١) .

(١) من كتاب « زندكى » ، خواجه عبد الله الأنصارى ، ص (٩٠ - ٩٧) .

حياة د عبد الله الأنصارى ،

بين سنة (٤٤٥ هـ) وبين سنة (٤٥٦ هـ) ونجاحه

روى أنه جاء الخبر من مدينة نيسابور ، إلى د عبد الله الأنصارى ، في فصل الربيع وفي أوائل سنة (٤٤٥ هـ) أن السلطان د طغرل بيك ، أصدر أوامره بأن يجادل الصالحون أهل البدعة والضلال فوق المنابر ؛ لكي يكشفوا للناس عن ضلالتهم وهذا لأن أمينه العام د أبا نصر كندارى ، في ذلك الحين كان مخالفا لأهل البدعة من ناحية العقيدة ، كما أنه لمخالفته مع د أبي سهل بن موفق ، (الذى كان مرشحا لكرسى الوزارة وينسب إلى أهل البدعة) اشتدت مخالفته لأهل البدعة والضلالة .

وقد أدهشت أوامر السلطان هذه أهل البدعة ومن يتعلق بهم . وما يناسب أن أقول : أن هذه الحركة ليست في د خراسان ، وحدها بل اشتدت في العراق وفلسطين والحجاز أيضاً ، فاعتقل من اشتبه فيهم في مدينة نيسابور ، حتى ثار عامة الناس على يد رئيس د الفرائى ، و د أبى القاسم القشيرى ، فجروهما إلى الحبس وحاولوا أن يأخذوا إمام الحرمين د الجوينى ، الذى كان مشتبها فيه لكنه قد علم بالأوضاع من قبل ، فاختفى ، ثم استطاع أن يفر من طريق د كرمان ، إلى الحجاز .

روى أن د أبا سهل بن موفق ، الذى ينسب إلى أهل البدعة كان في ذلك الحين خارج مدينة نيسابور ، فلما علم بهذه الحركة

استطاع أن يجمع عددا من أعوانه ، فدخل مدينة « نيسابور » وأخرج بقوة السلاح أصدقاءه « رئيس الفراني ، وأبا القاسم القشيري من الحبس ، كما أنهما هربا من مدينة « نيسابور ، وأما « أبو سهل ، فقد عزم على السفر إلى مدينة « ري ، لكي يشرح للسلطان مبررات ما ارتكبه ، ويخبره بأن لالوم على الأشاعرة لـسكن لم تفده هذه المحاولة شيئا بل اعتقل وأخذت الحكومة أمواله .

فلما منع الأشاعرة من أن يتكلموا ويظهروا عقيدتهم بدأوا بالمجادلة عن طريق الكتابة والقلم ، فكتبوا ما كتبوا ، كما كتب « القشيري ، تحت عنوان « الشكاية من أهل السنة » رسالة .

وانتشرت في جميع البلاد الإسلامية ولقد دافع في رسالته عن التهم التي وجهت إلى الأشاعرة (١) .

كما كتب الإمام « أبو بكر البيهقي « رسالة إلى « أبي نصر الكنداري ، ونصحه لكي يمتنع عن محاولة إيذاء الأشاعرة ، لكنه لم يمتنع ، وهكذا استمرت الأوضاع ، حتى جاءت سنة (٤٥٦ هـ) . وفي هذه السنوات العشر كان « عبد الله الأنصاري ، مشغولا بالتدريس والإرشاد ، ومطمئنا من شر أعدائه الذين يخافون على أنفسهم ، فانتشر صيته وعلمه وتدرسه وتلقينه في جميع الجهات ، حتى روى أن كل من كان يمر في ذلك الحين على مدينة « هراة ، يحاول أن يصل إليه لزيارته ، كما زاره في سنة (٤٤٥ هـ) اثنان من الشعراء هما : —

(١) قد ذكر « ابن عساكر ، في المجلد الثامن من كتابه المسمى بـ « التبيين و« السبكي ، في المجلد الثاني من كتابه « طبقات ، التهم التي وجهت إلى الأشاعرة وسندكرها في بحث آراء عبد الله الأنصاري التي تتفق بعلم الكلام .

١ - الشاعر « أبو الحسن باخرزى » :

الذى زاره بمعرفة الأديب « أبو عاصم » ، فأثرت عليه زيارة
« عبد الله الأنصارى » من ناحية قوة تدريسه وتلقيه تأثيرا عميقا .

٢ - الشاعر والأديب « أبو القاسم الزوزنى » المشهور بلقب

« بارع » .

وقد اعترف هذا الشاعر والأديب الشهير أنه لم ير مثل « عبد الله
الأنصارى » ، إماما فى مجلس من مجالس التدريس .

روى أن « أبا نصر كندارى » ، الذى كان وزيرا فى ذلك الحين
طلب صديقه « أبا الحسن الباخريزى » لمصاحبته فى سفره إلى العراق ،
فبهذه الوسيلة من غير تدخل من « عبد الله الأنصارى » زاد حسن
قبوله عند رجال الحكومة .

ومن أهم ما حدث فى سنة (٤٤٦ هـ) أن أصدرت الحكومة
أمرها بقتل القاضى « أبو الفتح نصر بن سيار » الذى كان حنبلى
المذهب فقتل خنقا فى سوق « اسفزار » من مدينة « هراة » بحضور
العامّة وفوضت وظيفة القضاء بدلا عنه إلى أخيه المحدث « أبو العلّاء
ساعد بن سيار » الذى قرأ الأحاديث فى مدينة « نيسابور » ، واستفاد
من أساتذة كثيرين كان فيهم أساتذة « عبد الله الأنصارى » مثل
« أبو سعيد الصيرافى » و « أبو الحسن الطرازى » الحنبلى ، فلأجل
هذه العلائق المشتركة بين « عبد الله الأنصارى » وبين القاضى « ساعد
ابن سيار » حصلت بينهما رابطة وصداقة وتوثقت على مرور الأيام
كما جاء فى كتاب « الذيل على طبقات الحنابلة » لـ « ابن رجب (١) » ما يأتى :

(١) المجلد الأول ص (٥٩ - ٦٠) .

قال الرهاوى : سمعت بعض الناس بـ « هراة » يحكى : أن شيخ الإسلام دخل يوما على القاضى « أبى العلاء ساعد بن سيار » وعلى يمينه رجل من « البوسعدية » (١) ، فجلس شيخ الإسلام على يسار القاضى ، فغضب « البوسعدى » ، وقال : أأجلس أنا يمينك ويجلس هو عن يسارك ! (٢) فوثب شيخ الإسلام وجلس ناحية ، وقال : الحدة ينبغى أن تكون فى أكل البصل والشدة فى تشقيق الخطب ، وأما الجلوس فى المجالس فإنما يكون بالعلم ، وغضب القاضى (أيضا) من كلام الرجل ، وقال : أى شىء تذكر من حاله ؟ حيث لم يكن له مركوب ولا ثياب ، فأمر له بثياب ومركوب ، وجعل له فى المسجد الجامع موضعا يعظ فيه . قال الرهاوى : قد رأيت كرسى شيخ الإسلام فى « الجامع » ، قليل المراتى فى زاوية من جامع « هراة » ، والناس يتبركون به .

روى أن « عبد الله الأنصارى » كان يجلس على الكرسي الذى صنعه القاضى « ساعد بن سيار » له ويعقد مجالس الدرس والتذكير فى المسجد الجامع الشهير فى مدينة « هراة » ، حتى وصل تدريسه فى سنة (٤٤٨ هـ) إلى آية (٣١) من سورة آل عمران الجزء الثالث من القرآن الكريم وهى « يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم » ، ففى ضمن تفسير هذه الآية ذكر « عبد الله الأنصارى » أجمالا منازل

(١) قد عبر عن هذا الرجل فى كتاب سرز بوركوى راهب دومينيكي بأنه من تلاميذ « أبى سعيد نيسابورى » وكان من الأشاعرة لكن القاضى لم يكن يعرف منه هذا - من كتاب زندكى خواجه عبد الله الأنصارى ، بالفارسية ص (١٨٢) (٢) لأن الجلوس عن يسار الرجل الكبير فى ذلك العصر كان دليلا على عظم القدر وأن من يقدر أحدا فيجلسه عن يساره إشارة إلى أنه قريب من قلبه .

الطريقة وحصرها في مائة منزل ، وأورد لاثبات كل منزل دليلا من القرآن الكريم ، وأدرج في كل منزل ثلاث مقامات ، وأشار إليها بكلمات وجيزة ومسجعة ، وكانت لهذه المجالس تأثيرات عميقة على تلاميذه ، كما قال الشاعر والأديب المشهور « أبو الحسن باخرزي » ،
 في وصف مجلس تدريس « عبدالله الأنصاري » ، ما يأتي : « كان مجلسه تذكيرا بدرجة عليا ، وأزه كان في علم التفسير وحيد عصره ، وحسن كلامه كان يصيد قلوب الناس ، وببركة وعظله يحو المعاصي ولو أن « قس بن ساعدة » سمع أدام كلامه لم يخطب بعده في سوق » عكاظ . .

روى أن أعداء « عبدالله الأنصاري » في ذلك الحين كانوا في أشد الغيظ منه لـ « كنهم لم يستطيعوا أن يفعلوا به شيئا ، لأن السلطان كان بعيداً عنهم ومخالفا لهم والشكاية إلى وزيره « أبي نصر كنداري » أيضا لاتفيد شيئا ، حتى جاءت سنة (٤٥٠ هـ) وفي أواخر هذه السنة - حينما مر « ألب أرسلان بن داود » على مدينة « هراة » (الذي كان هو القائد العسكري الكبير الفاتح في الحرب مع « الغزنويين » ، وكانت له سلطة عظيمة في الحكومة ، كما طلبه السلطان « طغرل بيك » في ذلك الحين لدفع ثورة أخيه « إبراهيم » - « شكى أعداء « عبدالله الأنصاري » من مجالس تدريسه وتذكيره إليه لأنه كان مشهوراً في اتفاق نظره مع الأشاعرة ، لكن « ألب أرسلان » لم يلتفت إلى شكايتهم ، لأن أفكاره كانت مشغولة في المسائل السياسية والحربية ، ثم استمر الحال في حياة « عبدالله الأنصاري » بنشاطه إلى آخر سنة (٤٥٥ هـ) وفي آخر هذه السنة جاء الخبر بأن السلطان « طغرل بيك » توفي يوم ٨ من شهر رمضان ، ولما لم يكن لهذا السلطان المتوفى ابن ،

فأوصى أن يكون خليفته في الحكم بعده « سليمان بن داؤد » ، (١) .
ولكن بعد ماتوفى السلطان حدثت اختلافات بسبب أن أكثر أركان
الدولة لم يوافقوا على هذه الوصية ، فبايعوا « ألب أرسلان » ، أى مع
الأخ الكبير لـ « سليمان بن داؤد » الذى كان ذا نفوذ كبير فى القوات
المسلحة وأركان الدولة والشعب ، حتى تم أمر خلافته ، فصار سلطانا
لبلاذ « خراسان » .

روى أنه تغيرت الأوضاع فى عهده حتى عزل « آبا نصر كندارى »
عن منصب وزارته فى يوم السبت ٧ من شهر المحرم سنة (٥٤٥٦ هـ) ،
ثم اعتقله (٢) وجعل « نظام الملك » ، وزيره . وهكذا مر الدهر وقلب
الأمور ، فبدأت مرحلة جديدة فى حياة « عبدالله الأنصارى » ، وهى
مرحلة النضج والكفاح (٣) .

(١) السر الأصيل فى هذه الوصية هو أن أم « سليمان » ، بعد وفاة أبيه « داؤد » ،
دخلت فى عقد نكاح « طغرل بيك » ، وكان السلطان يحبها .

(٢) قتل « أبو نصر كندارى » ، بعد مرور سنة من اعتقاله فى
محبس « مروود » .

(٣) من كتاب « زندكى » ، خواجه عبدالله الأنصارى بالفارسية ص .

(٩٨ - ١٠٥) .

حياة عبد الله الأنصاري

بين سنة (٤٥٦ هـ) وبين سنة (٤٦٢ هـ)

وخلافه مع أهل البدعة

روى أنه بعد ما جاءت الحكومة الجديدة وهي حكومة السلطان «ألب أرسلان» ووزارة «نظام الملك» أصدرت التعليمات بإلغاء الأوامر السابقة التي كانت ضد الأشاعرة وتعذيبهم ، فبعد إصدار الأوامر الجديدة منع الوعاظ أن يذكروا الأشاعرة على المنابر بكلام السوء وعاد العلماء إلى بلادهم واشتغلوا بتدريسهم ، فرجع «أبو القاسم القشيري» وإمام الحرمين «بعد عشر سنوات إلى مدينة «نيسابور» وفي شهر ذي الحجة سنة (٤٥٧ هـ) بنى «نظام الملك» المدرسة النظامية ، في «بغداد» ليدرس فيها مذهب الإمام «الشافعي» - رحمه الله تعالى - على نهج أصول «الأشعري» ، وهكذا بنى المدارس الأخرى باسم المدرسة النظامية في مدن أخرى مثل «بلخ» و«نيسابور» و«هراة» و«أصفهان» و«البصرة» و«مرو» و«أمل» و«الموصل» وغيرهما من البلاد.

فلما تحولت الأوضاع بهذا النهج بدأ أعداء «عبد الله الأنصاري» بمخالفته ، فقد روى أنه في أواخر سنة (٤٥٦ هـ) اشتد الخلاف يوما بعد يوم وحينما جاء السلطان «ألب أرسلان» إلى مدينة «هراة» اتفق أعداء «عبد الله الأنصاري» وقدموا الشكاية إلى «نظام الملك»^(١) ،

(١) وذلك حينما قمع السلطان «ألب أرسلان» الثورة الفاشلة لـ «قتلمش» ونجح في «آذربيجان» بمقابلة البيزنطيين وذهب إلى «أصفهان» ثم إلى «كرمان» ومنها إلى «مرو» وكانت مدينة «هراة» في طريق زيارته لهذه البلاد .

وطلبوا منه أن يطلب « عبدالله الأنصارى » لمجلمه ويكلفه بالمناظرة معهم فى حضوره ، فإن تغلب هو عليهم فى الدليل ، فإنهم يتبعونه وإن تغلبوا عليه فليجبر على السكوت عما يضرهم إن لم يقبل أن يطيعهم ، فطلبه الوزير ، فلما حضر قال له : إن هؤلاء القوم اجتمعوا لمناظرتك ، فإن ثبت أن الحق معك يرجعون إلى مذهبك وإلا فلك الاختيار إما أن ترجع وإما أن تسكت عنهم ، فقام الأنصارى وقال : أنا أنظر على ما فى كمى ، فقال له : وما فى كميك ؟ قال : كتاب الله وأشار إلى كفه اليمين وسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأشار إلى كفه اليسار وكان فيه الصحيحان ، فنظر إلى القوم كالمستفهم لهم ، فلم يكن فيهم من يمكنه أن يناظره من هذا الطريق (١) .

فانتهى الأمر بنجاح « عبدالله الأنصارى » ، وغادر السلطان ومن كانوا معه من مدينة « هراة » إلى مدينة « مرو » ومنها إلى « ما وراء النهر » ومن هناك إلى منطقة « خوارزم » ثم رجع إلى مدينة « مرو » ، وفى هذه المدة كان « عبدالله الأنصارى » مشغولاً بتدريسه وتذكيره إلا أنه لم يكن مطمئناً من كيد أعدائه ، فيرد فى درسه وتذكيره على آراء مخالفيه صراحة ويشرح فى اجتماعاته ما جاء فى كتابه « ذم الكلام وأهله » (٢) ، فاشتد الخلاف حتى قدم أعداؤه الشكاية إلى « نظام الملك » وخوفوه بأنه يضر الأمن العام ، فأصدر الوزير تعليماته فى سنة (٤٥٨ هـ) بإخراج « عبدالله الأنصارى » من مدينة « هراة » ،

(١) كتاب الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب - المجلد الأول (ص ٥٤) .
 (٢) سأذكر مباحث كتاب « ذم الكلام وأهله » فى موضع آخر من هذا الكتاب حينما أشرح آراء « عبدالله الأنصارى » التى تتعلق بعلم الكلام .

فأخرج من مدينة «هراة» وغادرها حسب الأوامر إلى مدينة بلخ (١) .
قال الرهاوى : سمعت شيخنا «أبا طاهر السلفي» بالإسكندرية
يقول : لما خرج شيخ الإسلام قال أصحابه وأهل البلدة لا يحمل على
الدواب ، بل على الرقاب ، فجعلوه في محفة ، وكان يتناوب حملها أربعة رجال
حتى وصل «بلخ» فخرج أهلها وهموا برجمه ، فردهم ابن نظام الملك «جمال
الملك» وقال : تريدون أن تكونوا مسبة الدهر ترجون رجلا من أهل
العلم؟ ثم سأله أن يعظ فقرا :
(الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها الآية) ثم قال : كل

المسلمين يقولون هذا إلا أهل «غورجه» و «غرجستان» و «فلانة»
و «طالقان»

وقال الرهاوى : وإنما هم أهل بلخ بما هموا به ؛ لأن (أكثرهم)
كان من المعتزلة الشديدة في الاعتزال ، وكان شيخ الإسلام مشهور
في الآفاق بالحنبلية والشدّة في السنة (٢) .

ولما دخل «عبد الله الأنصاري» في مدينة «بلخ» زار قبر
والده وقبور مشايخ والده الذين سمع أسماءهم من لسان والده في أيام
طفولته وأقام فيها .

(١) وقد ثبت أن «عبد الله الأنصاري» أبعد من مدينة «هراة» إلى مدينة «بلخ»
مرتين الأولى في سنة (٤٥٨ هـ) كما جاء في كتاب «زندكي» خواجه عبد الله الأنصاري
الهروي «الذي ترجم بالفارسية من كتاب «سرز بوركوي راهد دومينيكي»
والثانية في يوم الجمعة عشرين من رمضان سنة ثمان وسبعين وأربعمائة «كما جاء
في الكتاب المذكور وأيضاً في كتاب «الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب» إلا أن
كتاب الذيل لم يذكر القول بإبعاده في المرة الأولى وأن ما ذكره من المعلومات يخلط فيه
بين الأولى والثانية.

(٢) كتاب الذيل على طبقات الحنابلة «لابن رجب» المجلد الأول (٥٦ - ٥٧) .

وبما يلزم أن أذكر أنه ليس جميع من في مدينة « بلخ » على مذهب الاعتزال بل يوجد فيها من أهل السنة الذين يحترمونه مثل « أبي القاسم التيمي » الذي كانت له شهرة في العلم والكرم وكان صاحب القدرة والأموال الكثيرة ، ويدرس في المدرسة النظامية لمدينة « بلخ » بأمر « نظام الملك » وهو الذي أهدى لـ « عبد الله الأنصاري » كثيراً من الهدايا تبلغ قيمتها ألف دينار .

وروى عن السلفي أنه قال : لما أمر « نظام الملك » بإخراج الشيخ من مدينة « هراة » سمع بذلك الشيخ « النباني »^(١) ، فضى إلى « نظام الملك » في أمره فدار ما دار بينهما من الكلام ، حتى كتب في الحال برده إلى بلده ، فرجع « عبد الله الأنصاري » قبل أن يتم سنة (٤٥٨ هـ) إلى مدينة « هراة »^(٢) ، ثم اشتغل بتدريسه وتلقيه كما كان من قبل وينظ كل يوم أعداءه بما يشرحه في حلقات درسه ولكنهم لا يستطيعون شيئاً ، فيترقبون الفرصة للكيد به .

وفي أوائل سنة (٤٥٩ هـ) حينما كان السلطان « ألب أرسلان » يمر بمدينة « هراة » كلفه أصدقاؤه أن يزور « نظام الملك » ويشكره لأجل أنه أصدر الأمر بعودته إلى مدينة « هراة » ، فلما دخل على الوزير أكرمه وبجله وكان عنده أئمة من الفريقين في ذلك اليوم ، وقد علموا أنه يحضر ، فاتفقوا جميعاً على أن يسألوه عن مسألة بين يدي الوزير ، فإن أجاب بما يحيب به يسقط من عين الوزير ، وإن لم يجب

(١) نسبة إلى « نبيان » وهي قرية كبيرة بأصفهان .

(٢) كتاب الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب - المجلد الأول - ص (٥٧) .

يسقط من عيون أصحابه وأهل مذهبه ، فانتدبوا له رجلا من أصحاب الشافعي يعرف به د العلوي الدبوسي ، (١) فقال :

هل يأذن لي الشيخ الإمام في أن أسأله مسألة ؟ فقال : سل ما شئت فقال : لم تلعن أبا الحسن الأشعري ؟ ، فسكت ، وأطرق الوزير ، ثم بعد ساعة قال له الوزير : أجبه ، فقال : لا أعرف الأشعري وإنما ألعن من لم يعتقد بأن الله عز وجل في السماء وأن القرآن في المصحف وأن النبي اليوم نبي ، ثم قام وانصرف ، فلم يمكن لأحد أن يتكلم بكلمة من هيئته وصلابته وصولته ، فقال الوزير للسائل ومن معه : هذا ما أردتم ، ثم بعث خلفه خلعة وصلية لكنه ما قبلها ورفضها معتزا بنفسه .

ثم في سنة (٥٤٦٣ هـ) أراد د نظام الملك ، أن يظمر حسن سلوكه مع أهل السنة ، فتسبب في أن أرسل خليفة د بغداد ، القائم بأمر الله ، الخلعة الموقرة هدية لـ د عبد الله الأنصاري ، (٢) .

حياة عبد الله الأنصاري

بين سنة (٥٤٦٣ هـ) وبين سنة (٥٤٧٣ هـ) وعلو شأنه

روى أنه في سنة (٥٤٦٣ هـ) تغلب السلطان د ألب أرسلان ، على السلطان د البيزنطي ، كما اعتقله . وفي ١٠ من شهر الربيع الأول

(١) هو أبو القاسم علي دبوسي الذي نصب فيما بعد أستاذاً في المدرسة النظامية ببغداد .

(٢) من كتاب زندكي د خواجه عبد الله الأنصاري ، بالفارسية ص (١٠٦ - ١١٥) .

سنة (٤٦٥ هـ) قتل السلطان « ألب أرسلان » في ما وراء النهر وجلس ابنه « ملك شاه » الذي وصلت — سنه إلى ثمانى عشرة سنة — على كرسيه سلطاناً للبلاد وبقي « نظام الملك » على منصب وزارته بل زادت قدرته ، لأن السلطان الشاب الجديد يحتاج إلى توجيهه ومساعدته كثيراً ، ففي هذه المدة كان شأن « عبد الله الأنصارى » يعلو يوماً فيوماً ، وكانت الخلافة في هذا الوقت بيد « القائم بأمر الله » ثم توفي في شهر شعبان سنة (٤٦٧ هـ) ، وقام المقتدى بدله — خليفة « بغداد » — وكان في هذه المدة يحاول « عبد الله الأنصارى » تصفية قلوب المسلمين ، وقد أثرت محاضراته في الناس تأثيراً عميقاً ، وكان يفسر القرآن الكريم بكل العناية والإتقان ، كما قال : ابن طاهر الحافظ : سمعت شيخنا « عبد الله الأنصارى » يقول : إذا ذكرت التفسير فإنما أذكره من سبعة ومائة تفسير . وقال أيضاً : جرى يوماً بينه وبين تلاميذه كلام — وأنا بين يديه — ، فقال : أنا أحفظ إثني عشر ألف حديث أسردها سرداً ، وقال : ما ذكر قط في مجلسه حديثاً إلا بإسناده ، وكان يشير إلى صحته وسقمه .

وقال الرهاوى : سمعت « أبا بشر محمد بن هبة الله الهمداني » بهمدان يقول : سمعت بعض الأدباء يقول : سئل شيخ الإسلام الأنصارى عن تفسير آية ، فأنشد أربعاً بيت من شعر الجاهلية ، في كل بيت منها لغة تلك الآية ، وهكذا استمر في تدريسه وتلقيه حتى جاءت سنة (٤٧٣ هـ) وفي هذه السنة وصل تفسيره إلى آية (إن الذين سبقتم لهم من الحسنى أولئك عنها مبعدون) ، فبنى عليها ثلاثمائة وستين مجلساً (١) .

(١) من كتاب الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب المجلد الأول ص ٥٨ - ٥٩ .

وقد ثبت أن « عبد الله الأنصارى » استطاع بعون الله - تعالى - في تلك السنوات العشر أن يعبد الله ويخدم العلم ويصلح نفوس الناس ويظهر الحقائق ويعامل الناس حسن المعاملة ، كما قال ، المؤمن الساجى ، :
كان يدخل عليه الجابرة والأمراء ، فما كان يبالي بهم وما يكاد يرى
بعض أصحاب الحديث من الغرباء إلا ويكرمه إكراما يعجب منه
الخاص والعلم .

وقال : « ساعد بن سيار الهروى » ، فى أماليه : سمعت شيخ الإسلام
الأنصارى يقول : إلهى (أطلب منك) العصمة أو المنفرة فقد ضاق
علينا طريق المعذرة .

وما يناسب أن أذكر : أن « عبد الله الأنصارى » ساعده فى هذه
المرحلة أركان الدولة مثل « نظام الملك »^(١) وغيره . لكن هذه المساعدة
فى الحقيقة إنما كانت لأجل أنه صار مقبولا عند الخاصة والعامة ،
ولأن أهل مدينة « هراة » يحسبونه مرشدا ، وينظرون إليه بنظرة
العزة والاحترام .

روى أن « عبد الله الأنصارى » فى هذه المدة وصف مرة « نظام
الملك » بقوله : إنه يقوم بالعدالة وآداء الحقوق . ولعل هذا التشويقه

(١) قد ثبت أن « نظام الملك » كان رجلا مقبولا ، ومعتدلا ، وسياسيا وأنه
يراعى رأى العام ، فلمذا بنى المدارس الكثيرة لمصلحة عامة الناس ، ويعامل
الاشاعرة وعلما الاحناف والشوافع وعلما الخنابلة وأهل السنة بحسن المعاملة
ويحترم أهل الله الصالحين ، ويلاحظ اتجاه عامة الناس بحيث لا يودى إلى احتلال
النظام السياسى والمدنى ، ولعله ينوى بمراعاة هذا السلوك رضا الله - سبحانه -
وخدمة مخلوقه وخير المسلمين جميعاً .

وترغيبه في خدمته لمصالح الناس ، كما أنه وجه إليه النصائح مرة أخرى وكتب إليه : يا نظام حاول رعاية القلوب ، واقبل المعذرة ، واستر عيوب الناس ، ولا تبع الدين بالدنيا .

وما يسرني ذكره : أن « عبد الله الأنصاري » كان يعيش في هذه الفترة في سعة واطمئنان ، ونجا من ضيق الحياة المادية والروحية ، لأنه من ناحية سكت عنه أعداؤه ، ومن ناحية أخرى يساعده أصدقاؤه كل المساعدة . كما أنهم يدافعون عنه ويقدمون إليه الأموال والهدايا الكثيرة ، وكان « عبد الله الأنصاري » ينصرف هذه الهدايا والأموال في حوائج الضرورية ، وفي حوائج تلاميذه ومريديه والفقراء كما يشاء . لا شك أنه لا يجمع الأموال ولا يدخرها ، ولم يكن قلبه معلقا بحب الدنيا وزخرفها .

يؤيد هذا ما كتب « عبد الرحمن جامي » في كتابه « نفحات الانس عن « عبد الله الأنصاري » أنه قال بالفارسية : « هرگز در همه عمر خود الله تعالى مرا نيم روز در طلب دنيا نديده و اكنون بر من ميكشا يند اما مرا ازا انچه ميدهند اكر نپذيرم كافر باشم و اكر انرا بردل من هيچ قدر و خطر باشد كافر باشم » .

وحاصل ترجمة هذا النص ما يأتي :

لم يرني الله - تعالى في كل حياتي أن أكون مشغولا بطلب الدنيا مدة نصف يوم ، ولكنه يوسع على الآن ولذا « فأنا متحير وأقول » : إن لم أقبل ما يعطيني أكون كافرا « ومع القبول ، لو كان لها أي قيمة في قلبي أكون كافرا » .

نعم مع العسر والوسعة كان يعيش كما كان في « خائفاه » ، (تكمية)

كان فيها غرف كثيرة للإقامة ، وفيها مسجد صغير وصالة مشتركة كبيرة ، فهو بعد اليسر يسكن ويعيش مثل الفقراء ، وكان لباسه وأكاه مثل لباس تلاميذه وأكاهم ، فجميعهم يلبسون اللباس المرقع ، ويجلسون لأكل الطعام سوياً .

وما يلزم أن أذكره : أن حياته مع مرديه وتلاميذه كانت مطابقة لأداب الصوفية وبمثل ما كتبوا عنه في الرسالة « في آداب الصوفية » ، المسماة بـ « المختصر في آداب الصوفية والسالكين لطريق الحق » . وقد جاءت فيها آداب الصوفية مطابقة للقرآن الكريم ولسنة النبي - صلى الله عليه وسلم - .

وروى أنه كان في هذه الفترة يؤدب تلاميذه ومرديه بآداب الصوفية وأخلاقهم ، ويروى لهم في مجالسه أقوال الصوفيين الكبار وأخلاقهم وعاداتهم ، وكان يدرس لهم كتاب « طبقات الصوفية » لـ « عبد الرحمن السلمي » ، لكنه لم يكن مقيداً بنصه وترتيبه ؛ لأنه كان في بعض المواضع من الكتاب يزيد عليه من معلوماته وتجاربه وعقيدته ، ويذكر الأشعار الاجتماعية والأدبية والروحية التي كان بعضها من أناشيده .

وروى أيضاً أن طريقة تدريسه وبجته وتوجيهه كانت بطريق الحرية حتى أن واحداً من مرديه وتلاميذه لو أراد أن يظهر رأيه أو أن يذكر الشعر المطابق للحال والمقام يستطيع أن يقول ، بل كان يفرح بحرية الرأي لتلاميذه ومرديه ، وما جمع من تلك المجالس صار كتاباً ضخماً يسمى بـ « طبقات الصوفية » لـ « عبد الله الأنصاري » .

وروى أيضاً أن كتب بعض مرديه وتلاميذه عنه في تلك المجالس

مناجاته التي اشتهرت بـ « مناجاة عبد الله الأنصاري » (١) .

وكان من عادة « عبد الله الأنصاري » في هذه المدة أنه لا يكون في بيته طول اليوم ، بل يذهب لزيارة أصدقائه ، ويعقد بالاستمرار كل يوم في « المسجد الجامع » الشهير في مدينة « هراة » حلقات تدريسه وتلقيته ، وحينما يريد أن يخرج من بيته يغير لباسه المرقع ، ويلبس لباسه الخاص وقبائه الموقر ، ثم يركب على فرسه الثمين الجيد ، ويمشي في الطريق بكمال الوقار والعظمة . ويقول : « إنما أفعل هذا لعزة الدين ، ولأجل أن يكون حسرة على أعداء الدين ؛ لكي يميلوا إلى الإسلام وإلى الحق .

وحينما يصل إلى المسجد الجامع يجد كثيراً من تلاميذه ومريديه في انتظاره ، فيجلس على كرسيه الكبير ، ويخلق من يريدون الاستفادة منه حوله على الأرض ، فيبدأ بتفسير القرآن الكريم ، يأخذ في الشرح ، والتفصيل الذي تستثير به الأفكار ، والأذهان ، فهذا يسأل وهذا يستمع وهذا يظهر رأيه ، والشيخ يتكلم مع كل واحد حسب استعداده (٢) .

وما يناسب أن أذكره أنه قال في هذه المدة يوماً : « من لم ير مجلس تدريسي وتذكيري ويسبني فلا لوم عليه لأنه معذور .

فقله هذا دليل على أن « عبد الله الأنصاري » لا يتجاوز

(١) سأذكر من مناجاته ما يتعلق بأفكاره الروحية والصوفية في بحث آخر من هذا الكتاب تحت عنوان نبذة من مناجاة « شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري » .

(٢) من كتاب « زندكي » خواجه « عبد الله الأنصاري » بالفارسية ص (١١٦ - ١٢٠) .

فى تدريسه حدود الشريعة وأن أفهى ما يريده فى تدريسه وتلقيه أن يرضى الله - تعالى جل شأنه - عنه من طريق القيام بتزكية النفوس وخدمة الخلق ، فكان يلزم على الناس فى عصره أن لا يعتمدوا بما يعبر عنه رجماً بالغيب وبما ينشر عنه أعداؤه ، بل يلزم أن يحضر من له شك إلى تدريسه وتلقيه ، لكي يدقق النظر فى قوله ، وفى آرائه (١) .

نعم : لاشك أن السبب الرئيسى لما يحدث فى الاجتماعات من المفاسد والمتاعب هو أن أكثر الناس يتبعون الظن والأوهام ، ويتبعون ما قاله الفساق والفجار وأعداء الحق واليقين مع أن الله - تعالى جل شأنه - يوجهنا إلى التعقل والتفكير والصبر والاستقامة ، والصلة والأخوة ، وإلى المصالحة والاعتدال .

فلأجل ذلك كان عبد الله الأنصارى ، يوجه الناس إلى اتباع القرآن الكريم والأحاديث النبوية ، وينبه أعداءه إلى أنهم لو حضروا حلقات تدريسه وتلقيه لعرفوا ماذا عنده ؟ وماذا يشرح ؟ .

وعلى كل حال فقد ثبت أن هذه المرحلة من حياته كانت خصبة وأنه قد استفاد منه كثير من الناس ، فاشتهر فى الآفاق ، وزاد حبه فى قلوب عامة الناس ، ومال إليه أهل القدرة ، وأهل العلم والفضل ، وأهل التقوى والسلوك ، وذاع صيته فى كل النواحي ، وأيده الله - تعالى - ، وأعزه .

(١) أقول فى عصرنا الراهن - عصر المؤامرات والدسائس - يلزم علينا أيضاً أن لاهتم بالتعبيرات المتلوثة لأكثر الناس ، بل يجب أن نبحث عن الأسباب والعلل ونصل إلى الحق واليقين .

بعض أصدقاء «عبد الله الأنصاري» ،

وتلاميذه في هذه المدة

لقد ثبت أن الذين استفادوا من حلقات درس «عبد الله الأنصاري» ومجالس وعظه . وتذكيره في هذه المدة أناس كثيرون . لكن أذكر من جملتهم فيما يأتي الذين لهم شهرة وامتنياز في حياتهم :

١ - «حافظ أبو الخير عبد الله بن مرزوق» ، معتق «عبد الله الأنصاري» ، الذي ولد في حوالى سنة (٤٤١ هـ) ووصف بأنه كان رجلاً صادقاً يعتمد عليه من يعرفه كل الاعتماد وكان قد فقد حاسة السمع في أوائل عمره لكن مع هذا استطاع أن يصبح أستاذاً في علم الحديث .

٢ - «أبو نصر مؤتمن الساجي» ، ولد في سنة (٤٤٧ هـ) وكان من أهل «العراق» ، وقد تعلم الأحاديث عن الأساتذة في «بغداد» ، والشام «وأقام مدة في «بيت المقدس» ، ثم سافر لطلب العلم إلى مدينة «أصفهان» ومدينة «نيسابور» وجاء إلى مدينة «هراة» ، ولما التقى مع «عبد الله الأنصاري» أثر عليه دقة درسه وحسن سلوكه ، فاستفاد منه استفادة كبيرة ، وكتب عنه كتابه «ذم الكلام» ، وبقي معه في مدينة «هراة» ، حوالى عشر سنوات .

وروى أنه كان ذا قوة في الذكاء والحفظ ، وأنه يحب العلم ويتحمل المشكلات والمتاعب في هذه السبيل .

وروى أيضاً أنه قدم مرة إلى «عبد الله الأنصاري» ، بعض ما كان ناقصاً في سلسلة بعض الأحاديث وكانت له معلومات كثيرة في علم

الحديث مع الدقة والإتقان ، فلأجل ذلك كان « عبد الله الأنصاري » يحبه ويقدره كثيراً .

٣ - « حافظ محمد بن طاهر المقدسي » وهو في الأصل من « بيت المقدس » ، ولقي « عبد الله الأنصاري » حينما كان عمره إثني عشر سنة ، فاستفاد منه مدة سبع سنوات ثم سافر في طلب الحديث إلى « بغداد » . وروى أنه كان في كل حياته دائم الارتحال لطلب الأحاديث النبوية ، يقطع المسافات الطويلة ماشياً ، ويحمل معه كتبه ، وكان من عاداته أن لا يسأل أحداً أبداً ، ويطلب الرزق من الله - تعالى - .

وقد سافر في طلب العلم إلى « بيت المقدس » ، و « بغداد » ، و « مكة » ، و « دمشق » ، و « حلب » ، و « الجزيرة » ، و « اصفهان » ، و « نيسابور » ، و « هراة » ، و « بوشنج » ، و « سرخس » ، و « دري » ، و « شيراز » ، و « البصرة » ، وغيرها من المدن والبلاد .

وهو كما يسعى في طلب الحديث يسعى أيضاً في كتابة الأحاديث ، كما كتب صحيح البخاري ، وصحيح مسلم سبع مرات وكتب كتاب أبي داود في الحديث عشر مرات .

وروى أنه كان يحب السماع ، ومن عاداته أنه لا يلتفت إلى قوانين الصرف والنحو والتجويد في القراءة ، بل أنه كثيراً ، ما ينطق بدل الحرف حرفاً آخر ، فيضيق قلب « عبد الله الأنصاري » ، ويقول :
« لا حول ولا قوة إلا بالله » ، وهو قد حكى مما يتعلق بحياة « عبد الله الأنصاري » ، من أهم المطالب العلمية والروحية .

٤ - « حافظ أبو محمد عبد الله السمر قندی » الذي ولد سنة

(٤٤٤ هـ) د في دمشق ، وجاء في طلب العلم إلى مدينة د هراة ، فاستفاد من د عبد الله الأنصاري ، وصار ذا علم وفضل واستأذا في الحديث ، حتى وصل إلى درجة أن د نظام الملك ، كان يرسله بالنيابة عنه إلى مجالس درس العلماء .

٥ - د أم الفضل بنت عبد الصمد ، التي كانت كبيرة عن د عبد الله الأنصاري ، في السن ما يقرب من ثلاثين سنة ، ولها شهرة في الحديث . وجاء في كتاب د مجالس العشاق ، أنها أول من تكلم عند د عبد الله الأنصاري عن أوصاف الصوفي الشهير د الخرقاني .

٦ - د عبد الرحمن بن منده ، (١) الذي كان حنبلياً ومخالفاً لأهل البدعة ، وكانت العلاقة بينه وبين د عبد الله الأنصاري ، بالمكاتبة ، إلا أنه لم يكن بينهما توافق في النظر في بعض المسائل ، حتى أن د عبد الله الأنصاري ، قال يوماً في حقه أنه لا يفيد الإسلام بل يضره ، وتوفي د عبد الرحمن بن منده ، في مدينة د أصفهان ، في شهر شوال سنة (٤٧٠ هـ) .

(١) عبد الرحمن بن الحافظ المعروف بـ أبي عبد الله بن منده : ولد في سنة (٣٨٣ هـ) وقد رحل في طلب الأحاديث النبوية أيام شبابه كثيراً ، ثم أقام في د أصفهان ، قال د سعد الزنجاني ، قد أعطى الله — تعالى — للإسلام حارسين أحدهما في د أصفهان ، وثانيهما في د هراة ، هما د عبد الرحمن بن منده ، و د عبد الله الأنصاري ، لكن د ابن منده لم يكن في منزلة د شيوخ الإسلام .

وقد وردت هذه المعلومات في انجلد الاول من كتاب الذيل على الطبقات د لا بن رجب ، وكتاب د تذكرة الحفاظ ، (للذهبي) وكتاب د طبقات ، (لابن أبي يعلى) .

معاملة عبد الله الأنصارى

مع أهل الحكمة والفلسفة في هذه المدة

روى أنه كان في عصر « عبد الله الأنصارى » يعيش في مدينة « هراة » ، الفيلسوف الشهير « ميمون بن نجيب الواسطى » ، الذى كان تلميذاً لـ « أبى على بن سينا » ، ويشغل في علم النجوم ، وعلم الطب . وكان من عاداته أنه يحب الانزواء عن الناس ، ولا يحب العلاقة مع أهل القدرة ، والأغنياء ، بل ينفر منهم ^(١) ، حتى أن « شرف الدين ظهير الملك البيهقي » أحضره بقوة عساكره الأتراك ، ليأخذ منه المعلومات عن أحواله بوساطة علم النجوم ، فلأجل أنه كان لا يضر بفلسفته وحكمته عقائد الناس لم يقل « عبد الله الأنصارى » في حقه شيئاً ، ولم يكن مخالفاً لعلبه وفلسفته .

ولقد كان يعيش في عصر « عبد الله الأنصارى » أيضاً الفيلسوف الآخر المعروف هو « أديب اسماعيل » ، الذى كان تلميذاً « للفارابى » ، وكانت له قوة شعرية فيشد الأشعار ويشغل في الطب ويحصل على الرزق من الطبابة .

وقد حدث أنه عالج مرة مريضاً مصاباً بمرض السكتة « الذى ظن

(١) وذلك لقوة ارتباطه مع الله جل جلاله وعدم التفاته إلى الأعراض المادية ومع هذا يحاول بهذه الروية أن يصلح نفوس أهل الدنيا بأن يجعلوا الدنيا وسيلة للآخرة .

الناس أنه مات ، فلما صح من غفوته وأثرت عليه معالجته اعتقد - بعض الناس فيه أنه يستطيع أن يحيي الموتى ، ولما كانت هذه العقيدة تضر عقيدة المسلمين جادله «عبد الله الأنصارى» وأحرق مريدوه كتيبه. وروى أنه كان طبيبا ماهرا ، وعنده من كثرة التجارب ما يجعل عامة الناس ترجع إليه في المعالجة حتى أنه لما عرض له «عبد الله الأنصارى» المرض الشديد الذى لم يفده كثرة المعالجة ، واستئس من صحته أصدقاؤه قدم مريدوه زجاجة بوله من غير علمه إلى «أديب اسماعيل» باسم رجل آخر ، وطلبوا منه المعالجة ، فلما رأى «أديب اسماعيل» زجاجة البول قال : هذا ماء فلان. قد عرض عليه مرض «فواق» ، وقال : يخلط مقدار استار من البندق مع مقدار استار من «السكر العسكرى» ثم يأكله ، وتقولوا له يجب على الناس أن يعرفوا العلم ، وأن لا يحرقوا الكتب (١) ، فلما أكل «عبد الله الأنصارى» هذا الدواء رفع مرضه ، ولكن لم ترد المعلومات هل مريدوه قالوا له ما قال : «أديب اسماعيل» أم لا ؟ ولعلمهم لم يحرقوا (٢) على ذلك لهيبته فى نفوسهم .

(١) لو قارنا معاملة «عبد الله الأنصارى» مع الفيلسوف والطبيب «ميمون ابن نجيب الواسطى» بمعاملته مع الفيلسوف والطبيب «الأديب اسماعيل» يثبت لنا أن «عبد الله الأنصارى» لم يكن مخالفا لمعلم الحكمة والفلسفة ، وكتبتها ، وأهلها فى الأمور المدنية للناس مادام لا يضرهم فى أمور دينهم وعقيدتهم ، فإذن مخالفة له «أديب اسماعيل» محدودة فى دائرة الدين فقط ، وما حدث من إحراق كتيبه إنما كان من جانب مريدوه ومن غير رضاه .

(٢) من كتاب «زندكى» خواجه «عبد الله الأنصارى» بالفارسية . ص (١٢٠ - ١٣٠) مع التحقيق فى المراجع الأخرى مثل طبقات له «ابن رجب» وغيره .

أهم ما حدث في حياة

« عبد الله الأنصاري »

بين سنة (٤٧٣ هـ) حتى توفي في سنة (٤٨١ هـ)

روى أنه في سنة (٤٧٣ هـ) لما وصل تدريس « عبد الله الأنصاري » في التفسير إلى الجزء الثامن عشر من القرآن الكريم ، وإلى آية من سورة « النور » ، وهي « يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار » ، حدث له أنه عجز بصره عن الرؤية ، ولكن مع هذا استمر في تدريسه وتلقينه ، بل زاد جهده ونشاطه في الدرس والتلقين ، وتحمل المحن في العبادة والخدمة أكثر مما كان يتحمله من قبل ، حتى تعد هذه الدورة من حياته أعظم انتاجا وأكثر ثمرة بالنسبة إلى كل مراحل حياته ؛ لأنه بدأ يعلو على تلاميذه الأحاديث والتفاسير ، ويشرح لهم الطريقة ، وبلقى أشعاره وحكاياته عن أهل التصوف ، وهم يكتبون منه أولا ثم يقرؤون عليه ثانيا ، حتى يصح ما كتبوا عنه .

فاستمر على هذا المنهج ، وزادت شهرته واعتباره ، ومال الناس إليه من كل النواحي حتى ارتحل إليه الطلاب للاستفادة من الأوطان البعيدة ، ومالت إليه الحكومة ، فسعت لارضائه وتعاملت معه بالحسنى .

وروى أنه حينما نجح السلطان « ملك شاء » فيما دار بينه وبين أخيه « تكش » من الاختلافات والمخاربات ، وأراد السلطان العودة إلى عاصمته « أصفهان » ، فبينما هو في طريق العودة عرف وزيره « نظام الملك » في مدينة « هراة » ، حسن شهرة (عبد الله الأنصاري) وميول قلوب عامة الناس إليه .

فلما استقرت الأوضاع السياسية في «خراسان» جاء «نجر الدولة» الذي كان وزيرا للخليفة في ذلك العصر من «بغداد» إلى «أصفهان» يطلب بنت السلطان للعقد عليها للخليفة «المقتدى»، ففي ضمن المباحث التي بحثها «نظام الملك» معه طلب منه أن يقدر خليفة «بغداد» خدمات «عبد الله الأنصاري»، كما قدرها الخليفة المتوفى، فأنتم خليفة الإسلام المقتدى بتقدير خدمات «عبد الله الأنصاري» ولأجل هذا قبل انتهاء سنة (٤٧٤ هـ) وصلت من جانب الخليفة إلى «عبد الله الأنصاري» الخلة المجللة باسم «شيخ الإسلام شيخ الشيوخ..... والحكام» أبو اسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري، مع قباء أخرى باسم ابنه «عبد الهادي» وأعطى له خليفة المسلمين لقب «شيخ الإسلام» و«شيخ الشيوخ» والحكام رسميا وعززه، فاشتهر في البلاد الإسلامية بشيخ الإسلام في عصره.

وما يلزم أن أذكره أن «عبد الله الأنصاري» لم تغره الألقاب، ولا الهدايا، ولا الشهرة، ولا الأعراض المادية؛ لأنه كان مشغولا بحب الله — جل جلاله — وكان أهم شيء عنده أن يتم رسالة حياته فقط.

روى أنه اتجه «شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري» في هذه المرحلة من حياته حسب ما طلب منه تلاميذه مرارا أن يملئ عليهم كتاب «منازل السائرین» باللغة العربية. نعم: هم طلبوا منه مرارا أن يملئ عليهم كتابا أوضح من كتاب «صد ميدان» الذي كتب في سنة (٤٤٨ هـ) باللغة الفارسية، فأمل «شيخ الإسلام» كتاب «منازل السائرین» على (عبد الملك كروخي) و«أبي الوقت السجزي» و«محمد صيدلاني»، وختمه في سنة (٤٧٥ هـ).

روى عن « عبد الرازق » الكاشاني أحد شراح كتاب « منازل السائرين » ، أنه رأى نسخة من كتاب « منازل السائرين » ، التي وقع عليها « عبد الله الأنصاري » ، فيظهر لنا من هذا أنه وقتئذ لم يكن كفيها مطلقا ، ثم بعد أن تم كتاب « منازل السائرين » ، أمله شيخ الإسلام علي تلميذه « السجزي » و « كروخي » كتاب « ذم الكلام وأهله » ،

كما أمله علي « كروخي » أيضا كتاب « مناقب الإمام أحمد بن حنبل » وكتب عنه « محمد صيدلاني » قصيدة النونية في مدح الإمام « أحمد بن حنبل » ، وأيضاً صحح في هذه المدة ما كتب عنه تلاميذه كتابه « طبقات الصوفية » وهكذا استمر « شيخ الإسلام » يملئ في مسكنه على تلاميذه ومريديه ، ويلقى في « المسجد الجامع » ، الدروس والمحاضرات ، حتى وصل في سنة (٤٧٨ هـ) درس تفسيره إلى آية (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة عين جزاء بما كانوا يعملون) ، فقال لتلاميذه : في كل اسم من أسماء الله — جل شأنه — سر من أسرارهِ ، فبدأ يشرح أسماء الله الحسنى ، وعقد من أجملها مجالس كثيرة ، حتى وصل تدريسه وشرحه إلى اسم الله — تعالى — « المعبود » أي إلى « ٦١ اسما » من أسماء الله الحسنى .

ثم حدثت في شهر رمضان سنة (٤٧٨ هـ) حادثة مفاجئة وهي أنه في هذا التاريخ بدأ أحد علماء علم الكلام والفلسفة بالتبليغ ، ووقع في تبليغه بعض الانحرافات عما يهدفه « شيخ الإسلام » ، فعلم « شيخ الإسلام » بهذا ، فتسكلم يوما في إحدى مجالسه عن سوء محاولة هذا المتكلم والفلسفي ، فلما سمع أصدقاء « شيخ الإسلام » ومريدوه هذا الخبر تهيج وازداد غضبهم وسارعوا إليه فضربوه وحرقوا بيته . فهرب هذا المتكلم

من مدينة «هراة»، وحدثت ضجة كبيرة في مدينة «هراة»، فاضطر أعيان المدينة إلى عقد جلسة اضطرارية وتناقشوا فيها في أمر الحادثة ونسبوا إلى «شيخ الإسلام»، اللوم والإلزام، ثم قرروا اخراجه فوراً من مدينة «هراة»، فأخرج مع أهله في يوم الجمعة ٢٠ من شهر رمضان سنة ثمان وسبعين وأربعمائة قبل صلاة الجمعة، ولم يملوه للصلاة فأقام بقرب البلد. لكن لم يرضوا منه بذلك فخرج إلى مدينة بوشنج^(١) ومن سوء الصدف أن ذلك المتكلم الفيلسوف جاء أيضاً إلى هذه المدينة قبلهم، وأنه كان قد لجأ هناك إلى بيت القاضي «أبنا سعيد بن يوسف»، الذي كان أستاذاً في المدرسة النظامية لهذا البلد، فلما علم تلاميذ «شيخ الإسلام»، ومريدوه بهذا توجهوا على الفور إلى بيت القاضي، فضربوا القاضي، وضيّفه ضرباً شديداً، حتى أصابوهما بجراح، ثم كتب ولاية مدينة «هراة»، إلى السلطان مذكرة بما حدث وشرحوا له الحادثة وجاء فيها: أنه لما كان وجود شيخ الإسلام «عبد الله الأنصاري»، في مدينة «هراة»، خطراً على النظام العام، فلحفظ الأمن العام قررنا اخراجه فوراً من المدينة.

فجاء جواب السلطان ووزيره «نظام الملك»، بعد شهرين بأبعاد «شيخ الإسلام»، وأهله وخدمه إلى «ماوراء النهر»، فقرأ السكتاب الوارد بذلك في الجامع على منبر «يحيى بن عمار»، للحط من شأنه، ولتخويف العامة، فأخرج «شيخ الإسلام»، ومن كان معه من مدينة «بوشنج»، وسلمهم عساكر الحكومة إلى عساكر ولاية «نيسابور»، ثم وصلوا في سنة (٤٧٩ هـ) إلى مدينة «مرو الرود»، ومنها وصلوا

(١) «مدينة بوشنج»، واقعة بالقرب من مدينة «هراة»، بمسافة يوم واحد.

من طريق د آمل ، إلى د آمو ، وكان التصميم عندهم أن يسافروا إلى د بخارى . لكن ورد الأمر من د نظام الملك ، بردهم إلى مدينة د بلخ ، فوصلوا إلى مدينة د بلخ ، في فصل الصيف ولقي فيها أصدقاءه وأحبائه الذين فارقهم منذ إحدى وعشرين سنة ، لكن مع الأسف لم يكن في هذه المرة د جمال الملك ، حاكماً لمدينة د بلخ ، لأن السلطان جعله محبوساً في مدينة د نيسابور ، في شهر رجب سنة (٤٧٥ هـ) ، كما أنه قتل في نفس السنة مسموماً بمؤامرة د ملك شاه ، (١) .

فلما استقر د شيخ الإسلام ، في مدينة د بلخ ، بدأ بمجالس التدريس والتذكير وكان مريدوه يبحثون معه في مباحث كتاب د منازل السائرين ، الذي قد دون قبل خمس سنوات ، ثم بعد مدة قليلة وصلت التعليمات بأن يرجع د شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى ، ومن معه إلى منطقة د مرو الرود ، ففرحوا بهذا ؛ لأن مدينة د مرو الرود ، كانت في وسط الطريق بين مدينة د بلخ ، وبين مدينة د هراة ، ففي هذه التعليمات إشارة إلى أنه قد خفف شدة الأمر ، فهم يأملون بعدها أن يعودوا إلى مدينة د هراة ، فزار د شيخ الإسلام ، قبر والده لآخر مرة وارتحل مع من معه من مدينة د بلخ ، حتى وصلوا إلى د مرو الرود ، (٢) .

واستقبل في هذه المدينة من جانب الشعب وأهل السلطة وأصحاب الفضل بالترحيب والإخلاص والصدقة كما قال : الإمام أبو محمد

(١) من كتاب التاريخ لـ د كامل بن أنير ،

(٢) المسافة بين مرو الرود وبين د بلخ ، في طريق د مرغاب ، كانت (٢٦٠) كيلو متراً .

حسين بن مسعود البغوى ، (١) الذى كان من أكابر المدينة له «شيخ الإسلام فى وقت استقباله : قد أراد الله - تعالى - أن يعطى لك جميع الفضائل ، فلما بقيت منها فضيلة واحدة هى إخراجك من الوطن الأصلى (٢) أعطى الله - تعالى لك هذه الفضيلة أيضاً لئتمم فضائلك ، ثم استقر «شيخ الإسلام» مع أصحابه فى مدينة «مرو الرود» إلى فصل الربيع ، حتى وصلت الأوامر برجوعه مدينة «هراة» ، فارتحل «شيخ الإسلام» وأصحابه من مدينة «مرو الرود» ووصلوا إلى مدينة «هراة» فى يوم الأربعاء ١٤ أربعة عشر من شهر المحرم سنة (٤٨٠ هـ) (٢١ من شهر أبريل سنة ١٠٨٧ م) ، فاستقبله عامة الناس استقبالا رائعاً ، ودخل مدينة «هراة» بالعزة والاحترام .

ومما يؤسف له أن «شيخ الإسلام» بسبب أفته تحمل متاعب السفر

(١) هو فى الأصل من توابع مدينة «هراة» وكان فقيهاً فى مذهب الإمام الشافعى ومحدثاً ، وتعودت نفسه بعادة الفقهاء من حيث الخلق والأوضاع ، حتى لقبه الناس بـ «محي السنة» .

(٢) أخذت هذا من كتاب «زندكى خواجه عبد الله الأنصارى هروى» ، ترجمة كتاب «سرز بوركوى» ، راهب دومينيكي من ص (١٤٢ - ١٤٣) . لكن قد ثبت عندى أن «عبد الله الأنصارى» أخرج من وطنه الأصلى إلى مدينة «بلخ» مرتين ، فإذن لا مورد لما قاله «الإمام أبو محمد حسين بن مسعود البغوى» فى حق إخراج هذه المرة الثانية لعله لا علم له بإخراجه فى المرة الأولى إلى مدينة «بلخ» أو اختلط على بعض الرواة ، فأخذوا الأخبار والمعلومات التى وردت فى إخراج «عبد الله الأنصارى» من مدينة «هراة» مرتين مختلطة . كما أحسست هذا الاختلاط كثيراً فى كتاب الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب ، وفى كتاب «سرز بوركوى» راهب دومينيكي أيضاً .

والمفارقة من الوطن والأحباء ، وأحس الظلم حتى في سن الضعف والشيخوخة ضعفت مقاومة جسمه وضاع منه أكثر قوته ولكن مع هذا بدأ في مدينة « هراة » بتدريسه لتفسير القرآن الكريم إلا أنه ترك في هذه المرة شرح أسرار الأسماء الحسنى ، وغير رأيه عن التفصيل الكثير في كل آية وكلمة من القرآن الكريم فأراد أن يفسر القرآن الكريم بسرعة . وكان يأمل أن يختم تفسير القرآن الكريم في حياته ، كما أنه أخذ يفسر في كل جلسة حوالى عشر آيات ، لكن لم يقدر له ختم تفسير القرآن الكريم ، فتوفي بعد ما انتهى من قول الله عز وجل - (قل هو نبي عظيم . أنتم عنه معرضون) .

روى أنه كان يحضر إلى حلقة تدريس حديثه كثير من الناس حتى الأولاد والطلاب الذين هم في السن الابتدائي مثل « عبد الجليل بن أبي سعد » الذى وصلت سنه إلى عشر سنوات ، و « أبي نصر فاني » الذى كان أصغر من « عبد الجليل » بسنتين ، و « أبي الفتح بن قاضى ساعد ابن سيار » الذى وصلت سنه إلى ست سنوات حينما توفي « شيخ الاسلام » وفي هذه السنوات من سنة (٤٨٣ هـ) إلى سنة (٤٨١ هـ) استفاد من مجالسه وحلقات تدريسه عدد كثير من طلاب المعرفة ومن جملتهم الطلاب الآتية أسماؤهم : -

١ - « عبد الأول السجزي » الذى وصل سنه سنة (٤٧٣ هـ) إلى خمس عشرة سنة وكان يطالب الأحاديث النبوية وطريق الحق ، واشتهر فيما بعد مثل أستاذه « عبد الله الأنصارى » فى التصوف وعلم الحديث ، وكان رجلاً متواضعاً وصاحب أخلاق وإيثار .

٢ - « أبو الفتح عبد الملك كروخى » الذى كان متمسكاً بعبادة الله

— تعالى — ومهتما بكتابة الكتب والملفوظات ، وكان مثل «شيخ الإسلام» يحب كتاب «جامع ترمذى» ، كما أنه كتب بقلبه نسخة من كتاب «جامع ترمذى» وأهداها للمسجد الجامع في مدينة «هراة» وأيضاً كتب رسالة «علل المقامات» ، تأليف «شيخ الإسلام» ، عن لسانه .

٣ - «أبو جعفر محمد صيدلانى» ، الذى كان فى صغره يكتب الأحاديث عن عبد الله الأنصارى وحفظ عنه الشعر الذى نشده فى مدح مذهب الامام ابن حنبل — رحمه الله تعالى — .

٤ - «أبو جعفر حنبل بن على البخارى» ، مرید «شيخ الاسلام» ، الذى كان يعيش دائماً معه .

٥ - «أبو الفخر جعفر قانى» ، الذى وصلت سنه فى سنة (٤٧٣ هـ) إلى (١٤) سنة ونصب يوماً قاضياً لمنطقة «غورجه» .

٦ - «عبد الصبور بن عبد السلام» .

٧ - «حسين الكتبى» ، الذى وصلت سنه (٦٥) سنة حينما صار «شيخ الإسلام» ، أعمى ، فقام هو بخدمة الكتابة له ولزمه فى السفر والاقامة ، فيروى عنه من أرشادات «شيخ الإسلام» ، أشياء كثيرة .

٨ - «أحمد قلانسى» ، الذى كان خادماً لـ «شيخ الاسلام» ، ويستفيد منه .

وروى أيضاً أنه فى هذه المدة الأخيرة من حياة شيخ الإسلام «عبد الله الأنصارى» ، سأله الكروخى ، فى حق التوحيد الذى جاء فى آخر كتاب «منازل السائرین» ، فأمل فى جوابه عليه رسالة صغيرة باسم «ذكر شىء من العلل التى تدخل فى المقامات» ، وتخفى على المرید المبتدىء .

جاء في آخر الرسالة : فالإرادة ، والزهد ، والتوكل ، والصبر ،
والحزن ، والخوف ، والرجاء ، والشكر ، والمحبة والشوق منازل أهل
الشرع السائرين إلى الحقيقة ، فإذا شهدوا عين الحقيقة أضحت فيها
أحوال السائرين ، حتى يفنى ما لم يكن ويبقى ما لم يزل ، كما قال الله
- تعالى - : (ويبقى وجه ربك الآية) .

وبهذا قد تمت رسالة حياة شيخ الإسلام « عبد الله الأنصاري » ،
فتوفي في فصل الربيع يوم الجمعة ٢٢ من شهر ذي الحجة سنة (١٤٨١ هـ)
إنا لله وإنا إليه راجعون .

ودفن « شيخ الإسلام » ، « عبد الله الأنصاري » ، في منطقة شمال
مدينة « هراة » التي تسمى بـ « كازركاه » ، ولقد ثبت أن حدثت ضجة
عظيمة في كل البلاد الإسلامية بموته ، فأقام المسلمون مجالس الأدعية
والتعزية ، وعبروا عن موته « أنها ضائعة كبيرة » للحياة العلمية
والروحية - غفر الله له ولمن نهج منهجه إلى يوم الدين^(١)

بناء مقبرة

« شيخ الإسلام »
« عبد الله الأنصاري »

بنيت أولا مقبرة « شيخ الإسلام » ، في عصر سلاطين السلاجقة .

(١) من كتاب « زندگی خواجه عبد الله الأنصاري » ، بالفارسية
ص (١٣١ - ١٤٥) .

ثم أقام ، الأمير عز الدين عمر المرغني ، (١) بجوار مرقدته بناء مدرسة في عصر ، السلطان غياث الدين محمد بن سام الغوري ، (٢) وبقي بناء مرقد ، شيخ الإسلام ، ومدرسته في عصر جنكيز ومتعلقيه على حاله ؛ لما ظهر عندهم من بعض كراماته ، ثم في عصر السلطان ، شاه رخ ، (٣) من السلاطين التيمورية صمم هذا السلطان ، شاه رخ ، في سنة (٨٢٩ هـ) على تعمير مرقدته ، فبنى مرقدته بناء عظيمًا وقيمًا ، كما أنه بقي إلى الآن إلا أنه حصل فيه بعض الترميمات ، والتغييرات الجزئية . (٤)

أهل بيت

، عبد الله الأنصاري ، وأولاده

روى أن ، شيخ الإسلام ، عبد الله الأنصاري ، قال يوما في وقت مناجاته بالأشعار الفارسية :

هرکس که ترا شناخت جانراجه کند

فرزند ، وعيال ، وخانمان راجه کند ؟

ديوانه کنی هرد وجه-انش بخشی

ديوانه توهر دوجهان راجه کند ؟

(١) الأمير عز الدين عمر المرغني هو جد سلاطين ، السكرت ، وكان رجلا صالحا اهتم في حياته ببناء المساجد والمدارس والأعمال الخيرية الأخرى .

(٢) ولد ، غياث الدين ، سنة (٥٥٨ هـ) وتوفي سنة (٥٩٩ هـ) .

(٣) ولد ، شاه رخ ، في سنة (٧٩٩ هـ) وتوفي سنة (٨٥٠ هـ) وكان سلطانا صاحب الفضل والعدالة .

(٤) من كتاب ، كازركاه ، المطبوع في كابل شهر ميزان سنة (١٣٤١ هـ ش)

ص (١٠ - ١٢) .

حاصل ترجمة هذه الأشعار :

كل من عرفك ماذا يفعل بنفسه ؟

يعنى لا يلتفت إلى نفسه ؟

وهو ماذا يفعل بابنه وعياله وبيته ؟

يعنى لا يهتم بها فى مقابلة حب الله

ثم قال : إذا جعلته مجنوناً (فى حبك) تعطى له الدنيا والآخرة ؟
فالمجنون بحبك أى فائدة له فى الدنيا والآخرة ؟ :

لكن مع هذا كان د عبد الله الأنصارى ، يتبع الشريعة الإسلامية ،
فينظر إلى الدنيا من حيث الوسيلة وبأكل ، ويشرب ، ويمشى
فى الأسواق ، ويعامل الناس أحسن المعاملة ، كما أنه تزوج وله ابنان
هما : د عبد الهادى ، و د جابر ، اللذان دفنا بجواره فى د كازركاه . .

وروى أن ابنه د عبد الهادى ، قتلته الفرقة الباطنية (١) فى سنة
(٤٩٠ هـ) (٢) .

(١) كتب د البغدادى ، فى كتابه د الفرق بين الفرق ص (٢٢) فى حق
الباطنية ما يلى : —

« ظهرت دعوة الباطنية فى أيام المأمون من حمدان قرمط ، ومن عبد الله بن
ميمون القداح ، وليست الباطنية من فرق الملة الإسلامية ، بل من
فرق المجوس .

(٢) من المجلد الثانى كتاب طبقات (لابن أبى يعلى) وكتاب د زندكى خواجه
عبد الله الأنصارى ، بالفارسية ص (١٨٧ — ١٨٨) .

مذهب شيخ الإسلام « عبد الله الأنصارى »

روى أن « عبد الله الأنصارى » كان يتبع في فروع الدين الإسلامى مذهب الإمام « الشافعى » - رحمه الله تعالى - وفي الأصول ، والعقائد كان يعتمد على مذهب الإمام « أحمد بن حنبل » - رحمه الله تعالى - وإن ماجاء عنه في أوصاف الإمام « أحمد بن حنبل » يرجع إلى مذهبه في العقائد ، والأصول ، كما ذكر الشيخ « أبو الحسن السرخسى » شيخ الشافعية في بلاده في كتابه المسمى بـ « الفصول في الأصول » أن « عبد الله الأنصارى » أنشد في معرض النصيحة لأهل السنة :

« كن إذ ما حاد عن حد الهدى
أشعرى رأى شيطان البشر
شافعى الشرع ، سنى الحلى
حنبل العقد ، صوفى السير (١) »

لكن هذه الرواية لا تتطابق مع العقل والنقل ؛ لأن ما روى أنه كان يتبع في فروع الدين الإسلامى مذهب الإمام « الشافعى » ، وفي الأصول والعقائد يعتمد على مذهب « أحمد بن حنبل » لا يطابق منهاج حياته وشهرته ، والتواتر الموجود إلى الآن في مدينة « هراة » بأنه على مذهب الإمام « أحمد بن حنبل » أصولا وفروعا ، كما أنه صراحة وصف مذهب الإمام « أحمد بن حنبل » ، ويقر بأنه حنبلى المذهب .

(١) المجلد الثانى من كتاب الذيل على طبقات الحنابلة (لابن رجب)

لاشك أنه يعظم الإمام « الشافعي » ، لكن هذا لا يدل على أنه على مذهبه قال « ابن السمعاني » سمعت « أبا اسماعيل عبدالله بن محمد الانصاري » أنه قال : مذهب أحمد أحمد مذهب .

وروى عن « عبدالله الانصاري » أنه قال :

الها مرئى على العرش مستو كلامه أزلى ، ورسوله عربى —
كل من قال غير هذا أشعري ومذهبنا مذهب حنبلى —
وأيضاً روى عنه أنه أنشد على المنبر فى أحد أيام مجالسه بمدينة « هراة » :

أنا حنبلى ماحيت وإن مت فوصيتى للناس أن يتحنبلوا

فبناء على هذا ما نسب إلى « شيخ الإسلام » من الأشعار برواية « أبى الحسن الكروخى » ، شيخ الشافعية لا يقبله العقل لعل أتباع أبى الحسن الكروخى لأجل تأييد مذهبه أنشدوا هذه الأشعار من أنفسهم ، ثم نسبوها إلى « عبد الله الانصاري » ، فأخذ بها شيخهم أيضاً وأوردها فى كتابه .

نعم علو مقام « شيخ الإسلام » ، لا يناسبه أن يعد الأشعري من « شيطان البشر » ، ونقل عن « شيخ الإسلام أبى العباس بن تيمية » فى كتابه « الأجوبة المصرية » :

كان « شيخ الإسلام » مشهوراً ، معظماً (عند) الناس ، وهو إمام فى الحديث والتصوف والتفسير ، وهو فى الفقه على مذهب أهل الحديث ، يعظم الشافعى وأحمد ، ويقرن بينهما فى أجوبته فى الفقه م ٧ — الصوفى الكبير

ما يوافق قول الشافعي تارة ، وقول أحمد أخرى . والغالب عليه اتباع الحديث على طريقة ابن المبارك ونحوه (١) ، ، ويؤيد هذا أنه ليس في الفروع على مذهب الإمام الشافعي ، فقط غاية ما يظهر منه أنه كان مرة يعمل بمذهب الإمام الشافعي ومرة بمذهب الإمام أحمد ، والغالب عليه اتجاه أهل الحديث هو اتجاه أحمد بن حنبل ، .

والأرجح عندي ما جاء في كتاب الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب (٢) ، الرأي الآتي : كان سيدا عظيما ، وإماما عارفا وعابدا وزاهدا ، ذا أحوال ومقامات وكرامات ومجاهدات ، كثير السهر بالليل ، شديد القيام في نصر السنة والذب عنها والقمع لمن خالفها ، وجرى له بسبب ذلك محن عظيمة ، وكان شديد الانتصار والتعظيم لمذهب الإمام أحمد ، أصولا وفروعا ، ولعله يميل في بعض المسائل إلى رأي الإمام الشافعي أيضا .

(١) المجلد الأول ص (٥١) من كتاب الذيل :

(٢) من كتاب الذيل على طبقات الحنابلة — المجلد الأول ص (١٦) .

مؤلفات « شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري » وآثاره

لو قرأنا حياة « شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري » نجد أنه ولد في بيئة العبادة والزهد والتقوى ، ونشأ في الصحبة مع العلماء والصالحين والأولياء ، فبدأ بالقراءة والكتابة ، وأخذ يسلك سلوك أهل الفضل والمعرفة حتى وصل إلى درجة أنه يكتب الأحاديث بالإسناد ، والمسائل العلمية النادرة ، والمعلومات الموثوقة الأخرى ، ثم سافر لطلب العلم إلى مدينة « نيسابور » ، فاستفاد هناك من الأساتذة ، والمشايخ العظام الكبار ، كما أنه كتب عن الشيخ « ابن باكويه » ثلاثين ألف كلمة ، وثلاثين ألف حديث ، لا شك أنه استطاع بقوة حافظته أن يحفظ الأحاديث بالإسناد والمتون ، والتدقيقات الكثيرة الأخرى بكمال دقة وانتقان .

روى عنه أنه يحفظ اثني عشر ألف حديث بالإسناد ، وأنه لم يذكر في مجلسه حديث إلا بالإسناد ، وكان هو يشير إلى صحته وسقمه .

وسئل يوما عن تفسير آية فأنشد أربعمائة بيت من شعر شعراء الجاهلية في كل بيت لغة لتلك الآية .

ثم لما وصل إلى سن الرشد العلمية ومرتبة الأستاذية نهج منهاج حياته على أصول الكتاب والسنة ، وبني قصر تصوفه وأدوار حياته في عالم الروحانية على أسس القرآن الكريم والأحاديث النبوية ، وبدأ بالتدريس والتلقين من سنة (٤٢٥ هـ) ، فأخذ يدرس الأحاديث النبوية إلى عشر سنوات ، ثم في سنة (٤٣٦ هـ) بدأ بتدريس التفسير ، كما أنه أتم تفسير القرآن الكريم بالتوضيح والتفصيل والتدقيق من المدارك والمراجع والتفاسير .

وقد ذكر ابن رجب عن «الكتبي» ، أنه يفسر القرآن الكريم من سبع ومائة تفسير ، واستمر في هذا النوع من التفسير ما زاد على أربعين سنة ، حتى توفي قبل أن يختمه في آخر المرة .

والحقيقة أن كل حياته كفاح في سبيل الله ، ومحاولة في خدمة المجتمع الإسلامي بالوجد والإخلاص .

نعم : هو وقف مواهبه واستعداداته وعبقريته في هذا الطريق ؛ لأجل الوصول إلى الحق ، فيؤيد الحقيقة ويسعى لأن يتألف المجتمع من الأعضاء الصالحين ، فبقى لنا من آثار كفاحه وجهاده الآثار الآتية : —

وما يلزم أن أذكره أن آثاره على ثلاثة أقسام : —

(أ) آثاره التي ثبت أنه كتبها بيده .

(ب) آثاره التي كتبها تلاميذه ومريدوه عنه ، والتي اشتهرت بالأمالى (يعنى الآثار التي أملاها «عبد الله الأنصارى» ، على تلاميذه ومريدوه) .

(ج) الآثار التي تنسب إليه وفي إثبات انتسابها إليه اشتباه .

(أ) الآثار التي ثبت أنه ألفها عبارة عما يأتى :

تفسير القرآن الكريم (تفسير الهروى) بالفارسية المشهور ، به «كشف الأسرار وعدة الأبرار» ، طبع في طهران باهتمام «جناب على أصغر حكمة» .

ذكر «الكتبي» ، في تاريخه : «أن شيخ الإسلام لما رجع من محنته الأولى ابتداء في تفسير القرآن الكريم ، ففسره في مجالس

التذكير سنة ست وثلاثين وأربعمائة هجرية ، وفي سنة سبع وثلاثين أعاد تفسير القرآن ثانية في مجالس التذكير .

وقال المكتبي : « وكان الغالب على مجلسه ، القول في الشرع ، إلى أن بلغ إلى قوله - عز وجل - (والذين آمنوا أشد حبا لله) ، فافتتح تجريد المجالس في الحقيقة ، وأنفق على هذه الآية من عمره مدة مديدة ، وبني عليها مجالس كثيرة ، وكذلك قوله -- تعالى :

(إن الذين سبقتم لهم منا الحسن) بنى عليها ثلاثمائة وستين مجلسا ، فلما بلغ إلى قوله تعالى (يكاد سنا برقه يذهب بالابصار) كف بصره سنة ثلاث وسبعين ، ولما بلغ إلى قوله عز وجل .

(فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين) قال : في كل اسم من أسماء الله تعالى سر خفي ، وأخذ يفسر خفايا الأسماء حتى بلغ إلى «المعيت» ، فأخرج من البلد في الفتنة الأخير ، فلما عاد سنة ثمانين عقد المجلس على أمر جديد من تدرسه وهو تفسير الآيات بالاختصار ، ولم يكمل الكلام على الأسماء الحسنى ، فأخذ يستعجل في التفسير ويفسر في مجلس واحد مقدار عشر آيات أو نحوها ، وكان يريد أن يختم تفسير القرآن في حياته . لكن لم يقدر له ذلك ، فتوفي بعدما انتهى إلى قوله -- جل جلاله . (قل هو نبي أعظم أنتم عنه معرضون) (١) .

وقد كتب أحد مخلصيه « أبو الفضل رشيد الدين الميذى ، في مقدمة كتابه على شرح تفسير « عبد الله الأنصارى » -- المجلد في عشر مجلدات -- في سنة (٥٢٠ هـ) أى بعد ما توفي « شيخ الإسلام » ب (٣٩) سنة هذه العبارة .

« قرأت كتاب فريد العصر ، ووحيد الدهر ، شيخ الإسلام « أبى إسماعيل عبد الله بن محمد بن على الأنصارى ، في تفسير القرآن وكشف

(١) من كتاب الذيل على طبقات الحنابلة - المجلد الأول - ص (٥٨) .

معانيه الذى وصل فى اللفظ والمعنى والتحقيق والجمال إلى درجة الإعجاز إلا أنه لإيجازه واختصاره لا يستطيع الطلاب أن يستفيدوا منه استفادة تليق به ، فبدأت لشرحه وتفصيله (١) .

يثبت من هذا أن « عبد الله الأنصارى » ألف كتاب التفسير فى القرآن الكريم ، وأنه كان مع « أبى الفضل رشيد الدين الميبرى » سنة (٥٢٠ هـ) لكن مع الأسف أن هذا التفسير ليس موجودا الآن .

٢ - رسالة مناقب الإمام « أحمد بن حنبل » التى كتبها وأملأها على تلميذه « كروخي » .

٣ - رسالة « الأربعين فى دلائل التوحيد » : هذه الرسالة مخطوطة توجد نسخة منها فى الجامعة العربية فى الشريط رقم (٤٣) .

وكتب العلامة « السبكي » أن بعض أهل البدعة سموها بـ « الأربعين فى السنة » وقد أثبت « عبد الله الأنصارى » فيها صفات الله -- تعالى -- بالأحاديث النبوية .

٤ - باب فى « الفتوة » : مخطوط فى الجامعة العربية فى الشريط رقم (٥٩) وفى أيا صوفيا من (تركيا) (٢٠٤٩) ي -- (١٤٥) (١٤٠) ق -- (٣٣ + ٤١٧) .

٥ - كتاب « الفاروق فى الصفات » بالعربية : ذكره ابن رجب فى ص (٥١) من كتابه الذيل على طبقات الحنابلة ، وأيضا أشار إليه « إسماعيل باشا » (٢) والعلامة « السبكي » (٣) ، فيظهر أن هذا الكتاب غير كتاب الأربعين فى دلائل التوحيد .

(١) من مقدمة كشف الأسرار (ج - ١) .

(٢) من كتاب (أسماء المصنفين) - المجلد الأول (ص ٤٥٢) .

(٣) طبقات الشافعية ج ١ ص (٤٢٠) .

٦ - كتاب « مجالس التذكير » : أشار إليه ابن رجب في كتابه الذيل على طبقات الحنابلة ويحتمل أنه عبارة عن نفس ما قاله في مجالس تذكيره .
 ٧ - « مناجاة عبد الله الأنصارى » (إلهى نامه) بالفارسية : توجد مناجاته الأصلية في كتاب « كشف الأسرار » للمبيذى د ، وكتاب « طبقات الصوفية » وهي عبارة عن الأدعية والمناجاة مع الله بالفارسية ، وقد أدرج فيها مواجيده والألطف الممبجة له ، وأدى فيها المعاني العالية بالكلمات التي تؤثر على السامع تأثيراً عميقاً .

وقد اشتهرت مناجاته في بلاد أفغانستان وإيران وباكستان والهند ، حتى يذكر العلماء ، والفضلاء من مناجاته في كثير من محافلهم الأدبية . وبما لاشك فيه أنه يظهر من حسن آداء مناجاته ، أن له قوة العلم والأدب ، وقوة الروحانية الكبيرة وسأذكر إن شاء الله - تعالى - فيما بعد بعضاً من نصوص مناجاته في هذه الرسالة .

٨ - « شرح التعرف لمذهب أهل التصوف » ، وقد ألف أبو بكر محمد الكلأبازى البخارى ، المتوفى سنة (٣٨٠ هـ) « التعرف لمذهب أهل التصوف » بالعربية ، فلما قرأ « عبد الله الأنصارى » هذا الكتاب أعجبه فكتب عليه الشرح .

ذكر « حاجى خليفة » أن شيخ الإسلام كتب على هذا الكتاب شرحاً لطيفاً^(١) وأيضاً أشار إليه « إسماعيل باشا » وعده من مؤلفاته^(٢) ، ولكن مع الأسف فقد هذا الشرح حتى لا يوجد مخطوطه .

٩ - كتاب « الخلاصة في حديث كل بدعة ضلالة »

ذكر حاجى خليفة أنه ابتداءً من « الحمد لله على أفضاله »

(١) من كشف الظنون .

(٢) من كتاب « أسماء المصنفين » ج ١ ص (٤٥٢) .

— ١٠٤ —

ونسأله . . . إلخ (١) وعبر عنه « إسماعيل باشا ، أنه خلاصة في شرح كل بدعة ضلالة (٢) .

١٠ -- « الرسالة باللغة العربية ، : كتب « ريتز ، أنه يوجد في « كشك بغداد في رقم (٥١٠) رسالة عربية لشيخ الإسلام موضوع بحثها (إسناد الموجودات إلى الخالق) (٣) .

١١ -- « القصيدة في الاعتقاد ، :

كتب « السبكي ، : وله قصيدة في الاعتقاد ينبيء عن العظام في هذا المعنى (٤) .

١٢ -- « مذكرات شيخ الإسلام ، :

هي التي اشتهرت في الفارسية بـ (جزوهاي « شيخ الإسلام ،) . وما يلزم أن أذكره أنه كان عند « شيخ الإسلام ، كتاب نوت بوك أبيض يكتب فيه بعض ما يريده من المعلومات كل يوم ، كما ذكر كاتب « طبقات الصوفية ، أنه كان في « جزوهاي ، شيخ الإسلام بخطه أسماء الفصول ، وأنه استفاد منها في شرح حال « الحلاج .

١٣ -- « كتاب « ذم الكلام وأهله ، :

قد أملى « شيخ الإسلام ، هذا الكتاب على تلميذه « السجزي ،

(١) من كشف الظنون ج ١ ص (٧٢٠) .

(٢) من « أسماء المصنفين ، ج ١ ص (٤٥٢) .

(٣) من مجلة الإسلام وفيلوجيكا — ناليقات فارسي ٩٢٤/٢ / ستوري .

(٤) من طبقات الشافعية ج ٣ — ص (١٨) .

و كروخي في سنة (٥٤٥٦ هـ) أو بعدها بقليل ، توجد النسخة المخطوطة منه في معهد المخطوطات بالجامعة العربية في الشريط رقم (٩٧) ، وفي مكتبة الظاهرية من دمشق ، تحت رقم (٢٣٧) ، وفي المتحف البريطاني تحت رقم (٧٥٢٠) ، وأيضا توجد نسخة مخطوطة منه في معهد الإلهيات ، بأنقره ، واستفاد منه العلامة السيوطي ، المتوفى في سنة (٩١٤ هـ) في كتابه « صون المنطق والكلام » ، واستفاد أيضا الأستاذ المرحوم مصطفى عبد الرازق ، في كتابه « تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية » ، من مباحث كتاب « ذم الكلام وأهله » ، لكنه لم ير أصل الكتاب « السيوطي » ، - رحمه الله تعالى - .

وقد ذكر « شيخ الإسلام » ، في كتاب « ذم الكلام وأهله » ، بعض أسماء مؤلفاته قبل هذا الكتاب .

(أ) - كتاب « مناقب أحمد بن حنبل » .

(ب) - كتاب « تكفير الجهمية » .

(ج) - كتاب « القدرية » .

(د) - كتاب « الفاروق » .

(هـ) - كتاب « القواعد » .

(و) - كتاب « مناقب الآثار » (١) .

ومما يلزم أن أذكره هو أنه يظهر من كتابه في ذم الكلام وأهله اتجاهه ومقاومته المخالفين .

(١) من كتاب « نهضت مني » وفات خواجه عبد الله الأنصاري ،

بالفارسية ص (١١٦) .

(ب) آثاره التي كتبها تلاميذه ومريدوه عنه

هذا القسم من آثاره هو ما كتبه عنه تلاميذه ومريدوه من مجالس تذكيره وتلقيه في الحديث والتفسير والتصوف والعقائد ، وتسمى بـ «الأمالي» ، لأن أكثرها أملاه على تلاميذه ومريديه . وقد عبر عنها مولانا «عبد الرحمن جامي» ، أنها أذواقه ومواجيدته ، وهي عبارة عما يأتي :-

١ - كتاب «طبقات الصوفية» الذي ألقاه على تلاميذه ومريديه في «خانقاه» (نكبه) بين سنة (٤٦٣ هـ) وبين سنة (٤٧٣ هـ) في ضمن تدريسه لكتاب «طبقات الصوفية» باللغة العربية لـ «أبي عبد الرحمن محمد بن حسين السلمي النيسابوري» المولود في سنة (٤٢٥ هـ) المتوفي سنة (٤١٢ هـ) وزاد عليه من أذواقه ومواجيدته ثم جمعه بعد موته أحد تلاميذه في سنة (٤٨١ هـ) . لكن جمعه لم يكن على أحسن الترتيب ، فجمع ورتب «عبد الرحمن جامي» هذا الكتاب بعد أربعة قرون من وفاة «شيخ الإسلام» على أحسن ترتيب ، وزاد عليه ذكر حال بعض المتصوفين الآخرين ، واشتهر كتاب جامي «هذاب» ، نفحات الأنس ، وطبع أصل كتاب «طبقات الصوفية» لـ «عبد الله الأنصاري» في «كابل» سنة (١٩٦٢ م) باهتمام «عبد الحى حبيبي» .

(٢) القصيدة النونية في - مدح الإمام «أحمد بن حنبل» رحمه الله تعالى - التي كتبها تلميذه «محمد صيدلاني» عنه (١) .

(١) جاء نص القصيدة في كتاب «الذيل على طبقات الحنابلة» لابن رجب ،

٣ - الرسالة الصغيرة التي اشتهرت بـ « علل المقامات » : وقد جاء فيها من العلل التي تدخل المقامات وتخفى على المريد المبتدى ، وأملئ «شيخ الإسلام» هذه الرسالة في آخر حياته على تلاميذه حينما سأله «صالح أبو الفتح عبد الملك بن عبد الله بن أبي سهل الهروي كروخي» عن آخر مقامات منازل السائرين أعنى «التوحيد» وقد طبع متن الرسالة في «دمشق» سنة (١٩٥٦ م) .

٤ - الرسالة المسماة بـ « المختصر في آداب الصوفية والسالكين لطريق الحق »، أصل الرسالة بالفارسية ، وقد كتبها عنه أحد تلاميذه ، ثم ترجمت إلى العربية وطبعت في مصر سنة (١٩٦٠ م) وقد ذكر فيها من الآداب الظاهرية للصوفين ما يأتي :-

١ - في لبس الخرقه .

٢ - في آداب القيام ، والقعود .

٣ - في آداب الذهاب إلى البيت .

٤ - في آداب الأكل .

٥ - في آداب الضيافة .

٦ - في السماع .

٧ - في آداب السفر .

وقد ذكر في آخر الرسالة عن «شيخ الإسلام» أنه قال هذه الآداب هي الآداب الظاهرية للمريد التي يلزم على المريد مراعاتها ، ليكون مناسباً للصحة ، وأما الآداب الباطنية فهي عبارة عن الأمور الأخرى ولها أبواب كثيرة ، ومقامات ، ومنازل لا تحصى .

٥ - كتاب «صد ميدان» بالفارسية:

بدأ «شيخ الإسلام» بتلقيه في سنة (٤٤٨ هـ) في ضمن تفسير آية (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) (١).
فذكر فيه أولا مائة منزل في السير إلى الحق بكلمات وجيزة، ثم قسم كل منزل من منازلها على ثلاث مقامات، واستدل في إثبات كل منزل بالآيات القرآنية، فبدأ من «التوبة» وختم بـ «البقاء» أو المحبة.
توجد منه نسخ مطبوعة ومخطوطة، كما أنه كتب «س» «دي بوركوي» في سنة (١٩٥٤ م) كتاب «صد ميدان» عن النسخة المخطوطة في «استانبول» وعن النسخة المخطوطة الموجودة في «باريس» ونشر من معهد «فرنسي» في القاهرة.

وقد ثبت أن كتاب «صد ميدان» من أوجز وأحسن آثار التصوف الإسلامي بالفارسية.

٦ - كتاب «منازل السائرين إلى الحق المبين» بالعربية «الذي أملاه» «شيخ الإسلام» على تلاميذه «السجزي» و«الكروخي» و«محمد صيدلاني» وتمت كتابته في سنة (٤٧٥ هـ) ولذا تنسب النسخ المخطوطة من منازل السائرين إليهم.

وروى عن «عبد الله الأنصاري» أن تلاميذه ومريديه طلبوا منه مرارا المختصر في منازل الطريقة بحيث تكون فيه الأبواب والفصول منظممة بالنسبة إلى كتاب «صد ميدان» لكي يسهل فهمها وحفظها، فأملأه عليهم بعد كتاب «صد ميدان» بـ (٢٧) سنة وقسمه إلى عشرة أقسام.

(١) من سورة آل عمران - الجزء الثالث - الآية (٣١).

۱

۲

- ١٠٩ -

١ - البدايات .	٢ - الأبواب .
٣ - المعاملات .	٤ - الأخلاق .
٥ - الأصول .	٦ - الأدوية .
٧ - الأحوال .	٨ - الولايات .
٩ - الحقائق .	١٠ - النهايات .

ثم قسم كل قسم منها على عشرة أبواب ومنازل ، وقد جاء في كل منزل من منازل ثلاث درجات بدأ من « اليقظة » وختم بـ « التوحيد » .
وتوجد من كتاب منازل السائرين « نسخ مطبوعة كثيرة » .

وقد ذكر « الشيخ عبد الرزاق كاشاني » المتوفى في سنة (٧٣٠ هـ) في آخر شرح منازل السائرين أنه أدرك نسخة كتبت في سنة (٤٧٥ هـ) وكتب عليها « شيخ الإسلام » إجازته ، وقال « كاشاني » . أنه كتاب فاق على كل ما صنف في هذه الطريقة .

ولاشك أن هذا الكتاب من أنفس آثار التصوف الإسلامي ، فلأجل هذا شرحه كثير من العلماء ، واستفاد منه كثير من أهل الله .
وكتب مؤلف كتاب « كشف الظنون » ، أنه بلغ عدد شروحه ثمانية عشر شرحاً .

الفرق بين كتاب « صدميدان » ،

وبين كتاب « منازل السائرين » ،

الفرق بينهما هو أن « شيخ الإسلام » بعد مرور (٢٧) سنة على تأليف كتابه « صدميدان » حصل عنده التجربة في السلوك ، فغير رأيه في كثير من المسائل السلوكية ، كما أنه فكر بالدقة واعترف بالفرق بين المرید والمراد ، فقسم الناس في هذه السبيل على ثلاث فرق :-

١ - الذى يسير إلى المحبة بين الخوف والرجاء يسمى بـ « المرید » .

٢ - الذى خرج من وادى التفرقة يسمى بـ « المراد » .

٣ - المفتون هو غير هذين الفريقين .

وفى الحقيقة أن « عبد الله الأنصارى » قسم مقامات منازل السائرين على ثلاث مراتب :-

١ - بداية العزم فى السير .

٢ - الدخول فى الغربة .

٣ - حصول المشاهدة الجاذبة فى طريق « الفناء » وطريق

« التوحيد » .

فعلى هذا الأساس أورد « عبد الله الأنصارى » التغيرات فى كتابة « صدميدان » بحيث أن (٢٥) ميداناً ومقاماً من كتاب « صدميدان » لم يذكر فى كتابه « منازل السائرين » وأن (٢٤) منزلاً من « منازل السائرين » ليس موجوداً فى كتابه « صدميدان » وأن (٥١) ميداناً ومنزلاً مشترك فى كلا من كتابيه « صدميدان » و « منازل السائرين » .

(ج) الآثار التي تنسب إليه ولكن في إثبات انتسابها إليه اشتباه

ولما زادت شهرة «شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري» وكثر في البلاد من يحبون التعرف على كلامه نشر بعض الناس كثيراً من الرسائل والكتب والكلمات ثم أخرجت المعلومات الآتية :-

١ - دواوين الأشعار :

وقد ثبت أن لـ «عبد الله الأنصاري» أشعاراً ومنظومات بالعربية والفارسية إلا أنه لم يجعلها في دواوين ، كما أنه ذكر بين كلامه الأشعار والرباعيات عن بعض الشعراء مثلاً جاء في كتاب «كشف الأسرار للبيدي» الرباعي الفارسي الآتي :-

غم کی خورد آنکه شادمانیش تویی یا کی مرد آنکه زند کانیش تویی
درنسیه آن جهان کجادل بندد آنکس که بنقد این جهانیش تویی
حاصل الترجمة :

لم يخاف ويغتم من الذي أنت مسرته ؟ أو لم يموت من الذي أنت حياته ؟
ولا يربط قلبه بالوعد المفروض في الآخرة من الذي أنت أهم حياته في الدنيا
وقد تحقق أن هذا الرباعي من «سنائي» كما يوجد في ديوان «سنائي» أيضاً وكتب حاجي خليفة (١) أن لـ «عبد الله الأنصاري» ثلاث دواوين من الأشعار بالفارسية ، لكنه لم يذكر شيئاً من كلمات أول صفحة من تلك الدواوين . كما هو عادته أنه يذكر من الكتب التي قرأها شيئاً من أوائدها ، فثبت أنه لم ير أصل هذه الدواوين .

(١) من كشف الظنون - المجلد الأول - ص (٧٩٩)

ومن المؤسف أنه قد نشر باسمه كثير من الأشعار التي ليست في الحقيقة له، كما أن «كوفسكي» في سنة (١٨٩٥ م) نشر في مجلة «بترسيرك» عشرين قطعة من الأشعار باسمه ثم نشر «بوكد أنوف» تلك الأشعار مع ترجمتها بالانجليزية سنة (١٩٣٩ م) في مجلة (جمعية أسيائي بنكال) باسم «ترافه هاي بيرهرات» وقد أخذ أكثر هذه الأشعار من الكتاب المزيف المجهول باسمه هو كنز السالكين وزاد العارفين . وهكذا نشرت باسمه الأشعار والرباعيات والمنظومات الأخرى التي يظهر من أدائها وافادتها والتحقيق فيها أنها ليست في الحقيقة له وأن القول بصحتها يقتضي كثيرا من البحث والتأمل .

٢ - كنج نامه :

طبع ونشر هذا الكتاب «ملاجان محمد قندهاري» التاجر للكتب في سنة (١٣٢٨) ونسبه إلى «عبد الله الأنصاري» وذلك لأجل الحصول على المال، فكل من يقرأ هذا الكتاب مع الدقة يتضح له أنه كتاب عادي ومبتذل، وليس في الحقيقة من آثاره؛ لأنه جاء في هذا الكتاب أشعار الشعراء الذين يعيشون بعده بقرون أمثلا جاء فيه شعر من كتاب «بوستان» لـ «سعدى» بالفارسية ونسبه إليه، وإليك بهذا الشعر :

فروماندكان رادرون شاد كن زروز فرو ماند كي يادكن

حاصل الترجمة لهذا الشعر ما يأتي .

أبهج قلوب الذين هم في مشقة الحياة (١)

وتذكر أيام أن كنت في مشقة الحياة

(١) خطاب لكل الأغنياء بأن يساعدوا الفقراء ويذكروا من خواطر أيام

مشقتهم؛ لكي يرحموا من كان في المشقة .

٣ - كنز السالكين :

يوجد بهذا الاسم كتاب في مكتبات تركيا ، و الهند ، و أوروبا ، ويعدونه من مؤلفات «شيخ الإسلام» جاء فيه كثير من النظم والنثر ، فن يطلعه ويقارنه بآثاره الأصلية يظهر له أنه مزيف وإنما اشتهر باسمه كذبا وخطأ ، كما أن «حاجي خليفة» و «اسماعيل باشا» لم يذكر أن هذا الكتاب من مؤلفات «عبد الله الأنصاري» ومن المؤسف أنه نشر بعض من فصول هذا الكتاب في مجلة «شرقيات استانبول» باسم «شيخ الإسلام» .

٤ - كتاب «أنس المريدين وشمس المجالس»

هذا الكتاب هو عبارة عن قصة «يوسف وزليخا» ومع أن «حاجي خليفة» ، و «اسماعيل باشا» قد أشارا إليه إلا أنه في الحقيقة ليس له كما صرح «ر. ليو» في مجلة «جمعية آسيان» سنة (١٩٢٩ م) بأن انتسابه إلى «عبد الله الأنصاري» خطأ ، وقد كتب هذا الكتاب في سنة (١٠١٣ م) وتوجد نسخة منه في «برهان بور من الهند» في رقم (١٧٧٨) .

٥ - النصيحة لنظام الملك أو نصيحة نامه وزير

وقد نشر «برتلز» في مجلة «أكاديمية ليننجراد» سنة (١٩٢٦) رسالة بهذا الاسم ونسبها إلى «شيخ الإسلام» ، كما طبع هذا الكتاب باسم «تحفة الوزراء» في «نولكشور» الهند سنة (١٩٢٦ م) ولما كان لـ «شيخ الإسلام» من العلاقات الودية مع «نظام الملك» يحتمل أنه كتب بعض هذه النصائح له إلا أنني لم أجد لاثباتها المنابع الموثوق بها .

٦ - أسرار نامة أو كتاب الأسرار :

يوجد في المتحف البريطاني كتاب «شيخ سليمان الهروي الانصاري» باسم «مقالات العارفين مرآة السالكين» جاء فيه باب بعنوان «أسرار نامة» نسبة إلى «شيخ الإسلام» والحقيقة أن في هذا الكتاب اقتباسات من «سلسلة الذهب» لمولانا «جامي» فيثبت أنه قد دون بعد عصر «جامي» وأن مسألة انتسابه إلى «شيخ الإسلام» تقتضي البحث والدقة والتأمل.

٧ - الرسائل :

وقد نشرت هذه الرسائل في شیراز من «إيران» سنة (١٣٥١ هـ، ق) ونسبت إلى «شيخ الإسلام» لكن من يقرأها يظهر له أن في إثباتها اشتباهاً يقتضي كثيراً من التحقيق.

٨ - الرسائل الأخرى :

وقد نشرت من إدارة «أرمغان طهران المجموعة الأخرى من الرسائل في سنة (١٣١٩ هـ، ش) وذكر فيها ثمانية من الرسائل بالتفصيل الآتي :

(١) «دلوجان» .

(ب) «واردات» .

(ج) «كيز السالكين» .

(د) «قلند نامة» .

(هـ) «هفت حصار» .

(و) «محب نامة» .

(ز) «مقولات» .

(ح) «الهي نامة» .

فهذه الرسائل وإن كانت منسوبة إلى د عبد الله الأنصاري ، إلا أنه في إثبات صحة انتسابها إليه اشتباه ، والقول الصحيح هو أن في هذه الرسائل توجد مختارات واقتباسات من كلامه ، وليست كلها من كلامه .

٩ - پردہ حجاب :

توجد في مكتبة « الشهيد علي » من « استانبول » تحت رقم (١٣٧٢) مجموعة مخطوطة كتبت في سنة (١٩٠٤ هـ) ونسبت إلى د عبد الله الأنصاري ، جاء فيها من الرسائل الآتية :

(أ) « صدميدان » .

(ب) « واردات » .

(ج) « كنز السالكين » .

(د) « إلهي نامه » .

(هـ) « سؤال ازجان ، وجواب آن » .

(و) « قلندر نامه » .

(ز) « محبت نامه » .

(ح) « پردہ حجاب حقيقة وحقيقة إيمان » .

وتوجد أيضاً نسخة من الرسالة « پردہ حجاب حقيقة وحقيقة إيمان » في جامعة « بومبي » ، والذي لاشك فيه أن رسالة « صدميدان » من آثار عبد الله الأنصاري ، أما سائر الرسائل ، فنحتاج لإثبات صحة انتسابها إليه إلى كثير من الدقة والتحقيق ، لكي يميز أصل كلام د عبد الله الأنصاري . عما اختلط به ونسب إليه .

١٠ - الرسائل المخطوطة الأخرى :

توجد في مكتبة « مراد ملا » من « استانبول » تحت رقم (١٧٩٦) من الآثار المنسوبة إلى د عبد الله الأنصاري ، الرسائل الآتية :-

- ٢ - الرسالة المكونة من أربعين فصلا في التصوف .
- ٣ - « صمدان » ..
- ٣ - « الرسالة في المعارف » ،
- ٤ - « الرسالة في كلمات المحكمة والنصيحة والمناجاة » .
- ٥ - « الرسالة في ماذا يقول الناس ؟ » .
- ٦ - « مناجاة » ، وفوائد » .
- ٧ - « من كلامه قدس سره » .
- ٨ - « من كلماته القدسية » .
- ٩ - « من مقالاته في موعظته لنظام الملك الطوسي » .
- ١٠ - « الرسالة في عشر خصائل التي ترجع بها الحياة عن الموت » .
- ١١ - « من مقولاته - رضى الله تعالى عنه - » .
- ١٢ - « من أنفاسه الشريفة في النصيحة » .
- ١٣ - « زاد العارفين » .
- ١٤ - « قلندر نامه » .
- ١٥ - « كنز السالكين » .

هذه الرسائل والكتب كما قلنا في السابق تتطلب كثيراً من التحقيق والتدقيق ، حتى يتضح منها أصل كلام « عبد الله الأنصارى » ، عما اختلط بكلام سائر الناس وما نسب إليه خطأ أو كذباً .

١١ - مناجاته التي ترجمت إلى الإنجليزية وعلق عليها الثائر الزعيم الهندي « غاندى » :

قال دكتور « تاراجند » الهندي في خطابه الذي ألقاه في المهرجان الكبير الذي انعقد في أفغانستان - كابل - سنة (١٣٤١ هـ ، ش)

بمناسبة مرور (٩٠٠) سنة على وفاة «شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري» أن «سرجو كندر سنكه» ترجم كتاب «مناجلة» «شيخ الإسلام» من الفارسية إلى الإنجليزية منذ ١٥ سنة تقريبا، ثم كتب الثائر والزعيم الشهير الهندي «غاندي» مقدمة وتعليقا على هذه الترجمة، وطلب «غاندي» من الهنود أن يفكروا في التعليمات والمقالات التي صدرت من الأذهان العالية في كل المذاهب، ويقول :

يجب علينا أن لانكون مثل الحيوان الصغير الذي يعيش في «البئر» ويطن في الدنيا أنها عبارة عما أحاط بالبئر من الجدران بأن نفكر في أن مذهبنا فقط هو مذهب معرفة الحقائق وسائر المذاهب الأخرى كذب أو خطأ، ثم قال «غاندي» : «إنه يثبت من المطالعة الأمنية للمذاهب الأخرى أن مذاهبهم حقة كذهبنا» (١).

١٢ - آثاره التي توجد في اتحاد الجمهوريات الروسية :

قال «د. بروفيسور عبد الغني ديرزايف» فيما يتعلق بالآثار المخطوطة لـ «عبد الله الأنصاري» الموجودة في «اتحاد الجمهوريات الروسية» في خطابه الذي ألقاه في المؤتمر الذي انعقد في أفغانستان، - كابل - سنة (١٣٤١ هـ) بمناسبة مرور (٩٠٠) سنة على وفاة «شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري»، أن (١٢٥) نسخة من الآثار المنسوبة إليه موجودة في «اتحاد الجمهوريات الروسية»، ووضحها كما يأتي :-

١ - توجد في مكتبة «انستيتوت خاور شناسي» فرهنكسان علوم اتحاد الجمهوريات الروسية، (٢٠) نسخة جاء فيها «أنيس المريدن» ،

(١) من كتاب «نهض مين سال وفاة خواجه عبد الله الأنصاري هروي» بالفارسية والبشتو المطبوع في أفغانستان - كابل - سنة (١٣٤٢ هـ، ش) ص (١٠١) -

وشمس المجالس ، و دکنز السالکین ، و دأنوار التحقيق ، ،
و دإلهی نامه ، و دمناجاة ، و دمنازل السائرین .

۲ - وتوجد في المكتبة الحكومية لمدينة ليننجراد ، خمس نسخ
فيها ، دأنوار التحقيق ، ، و دتحفة الوزير ، و دالمقالات ، ، وأيضاً يوجد
مخطوط في (۵۵۰) صفحة وهو المسمى بـ « منازل السائرین » ويعتقد
دروس زوكا ويسكى ، في حق هذا المخطوط أنه « مستعجلات » عبد
الله الأنصاري ، التي ذكرها مؤلف « كشف الظنون » ، كما أنه انتخب
منه (۱۵) قطعة من الأشعار ورباعيتين وبعض حصص من النثر ،
ثم نشرها مع ترجمتها بالروسية في سنة (۱۸۶۵ م) .

۳ وتوجد في مكتبة د دانشكده خاور شناسی ، بـ ليننجراد ثلاث
نسخ من الآثار المنسوبة إليه لکن يظهر من مطالعتها أن شخصاً آخر
أخذها من كلامه ثم رتبها .

۴ - وتوجد في مكتبة دانستيتوت خاور شناسی فرهنگستان العلوم ،
لـ د أوزبكستان ، (۵۸) نسخة من الآثار المنسوبة إليه جاء فيها
« منازل السائرین » بالعربية والفارسية ، و« إلهی نامه و مناجاة » ، ورسالة . .
« دل و جان » و « وكنج نامه » ، و « فردوس العافین » ، و « كنز السالکین » .

۵ - وتوجد في المكتبة الحكومية لمدينة دوشنبه ، ثلاث نسخ من
الآثار المنسوبة إليه وهي عبارة عن د أنیس المریدین وشمس المجالس ،
ورسالة « دل و جان » ، و د مناجاة .

۶ - وتوجد في مكتبة د خاور شناسی فرهنگستان العلوم ،
لـ د تاجكستان ، (۱۱) نسخة جاء فيها د منازل السائرین ، بالفارسية ،

وكنز السالكين، و «مناجاة»، و «الهي نامه»، وثلاث رسائل أخرى بدون عنوان ونسبت كلها إلى عبد الله الأنصاري، .

٧ - وأيضاً توجد في مكتبات جمهوريات «كرخستان» و «أرمستان»، و «أذربايجان» من المناطق الروسية نسخ من المخطوطات المنسوبة إلى «شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري»، (١).

التعليق على الآثار المنسوبة إلى عبد الله الأنصاري

يثبت من مطالعة الرسائل والكتب والمؤلفات التي نسبت إليه أن «شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري»، لأجل شهرته العامة حاول المؤلفون والكتاب أن يأخذوا من كلامه شيئاً، ثم يزدوا عليه من كلام العلماء والمتصوفين والشعراء الآخرين، ثم ينسبوا هذا كله إليه؛ ليميل الناس إلى ما كتبوا، ومن هذه الآثار توجد نسخ كثيرة في بلاد «خرسان»، و «أفغانستان»، و «إيران»، و «باكستان»، و «تركيا»، و «دمشق»، و «العراق»، و «مصر»، و «روسيا»،

فلماذا ألزمت نفسي أن أقدم الاقتراح في حق الآثار والمؤلفات المنسوبة إلى «شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري»، كما يأتي :-

لما كان «شيخ الإسلام»، من كبار علماء الإسلام وله مؤلفات كثيرة وأخذ كثير من العلماء بأقواله، فيجب على المراكز العلمية أن

(١) من كتاب «نهضة مین سال وفات خواجه عبد الله الأنصاري هروی»، بالفارسية والبشتو المطبوع في أفغانستان - كابل - سنة (١٣٤٢ هـ، ش) ص (١٣٥ - ١٣٩).

تكون لجنة من العلماء والخبراء للتحقيق والبحث في آثار شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى ، وكلماته القيمة الموجودة في البلاد ثم ينشر ما ثبت عندها من الحقائق فيما يتعلق بآثاره . لكي نميز آثار شيخ الإسلام ، وكلامه من الآثار المزيفة المنسوبة إليه .

المقارنة بين آراء عبد الله الأنصارى

« التي تتعلق بالمسائل الكلامية وبين آراء الذين خالفهم في عصره ، قد ثبت أن « عبد الله الأنصارى ، كان مخالفاً لآراء أهل الأهواء ، والمبتدعة ، والقدرية ، والجبرية ، والشيعة ، والمعتزلة ، والأشاعرة ، والماتريدية .

وكان متمسكاً بالكتاب والسنة أشد التمسك ، وأنه يتبع في الأمور العقائدية منهج الإمام « أحمد بن حنبل ، ، فيجب أن نشير أولاً إلى العقيدة الإسلامية وأركان الدين ، وأسباب الاختلافات عموماً وأسبابها بين المسلمين خاصة ، وثانياً إلى تلك الآراء والاختلافات الموجودة في الكلام اختصاراً ، وبين رابعاً آراء « عبد الله الأنصارى ، التي تتعلق بالعقيدة والكلام ، وبعدها نقدم التعليق الخاص على تلك الاختلافات ، والمناقشات .

العقيدة الإسلامية :

العقيدة الإسلامية هي :

الاعتقاد الجازم الثابت المطابق للواقع بأن الله — تعالى — موصوف بجميع الصفات الكمالية ومنزه عن جميع النقائص والعيوب ، وبأن محمداً — صلى الله عليه وسلم — رسوله الذي أرسله إلى كافة

الناس؛ ليهدبهم إلى سواء السبيل وينقذهم من الضلالة والانحراف ،
وبأن جميع ما جاء به من الله - جل شأنه - يلزم علينا اتباعه .

أركان الدين التي اتفق عليها جمهور أهل السنة والجماعة

قال «عبد القاهر بن طاهر البغدادي الاسفرائيني» المتوفى في عام
(٥٤٢٩ هـ - ١٠٣٧ م) :

قد اتفق جمهور أهل السنة والجماعة على أصول من أركان الدين ،
كل ركن منها يجب على كل عاقل بالغ معرفة حقيقته ، ولكل ركن
منها شعب ، وفي شعبها مسائل ، اتفق أهل السنة فيها على قول واحد ،
وضل من خالفهم فيها . وعدد «البغدادي» تلك الأركان والأصول
كما يأتي : (١)

- ١ - اثبات الحقائق والعلوم .
- لأن انكارها يفضي إلى إنكار الله - تعالى - وإنكار الرسل وإنكار
الآديان جميعا .
- ٢ - العلم بحدوث العالم في أقسامه من أعراض ، وأجسام .
- ٣ - معرفة صانع العالم وصفاته ذاته .
- ٤ - معرفة صفاته الأزلية .
- ٥ - معرفة أسمائه وأوصافه .
- ٦ - معرفة عدله وحكمته .
- ٧ - معرفة رسله وأنبيائه .

(١) من كتاب «الفرق بين الفرق» ، تأليف «البغدادي» ، ص (٢٢١ - ٢٢٢) .

- ٨ - معرفة معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء .
 - ٩ - معرفة ما أجمعت الأمة عليه من أركان شريعة الإسلام .
 - ١٠ - معرفة أحكام الأمر والنهي والتكليف .
 - ١١ - معرفة فناء العباد وأحكامهم في المعاد .
 - ١٢ - الخلافة والإمامة وشروط الزعامة .
 - ١٣ - أحكام الإيمان والإسلام في الجملة .
 - ١٤ - معرفة أحكام الأولياء ومراتب الأئمة الأتقياء .
 - ١٥ - معرفة أحكام الأعداء من الكفرة وأهل الأهواء .
- لاشك أن تلك الأركان التي ذكرها البغدادى ، يجب على كل مسلم وخاصة العلماء أن يعرفوها حق المعرفة ؛ لكي لا يزيغهم زيغ الزائعين .

أسباب الاختلاف عموماً

لاشك أنه كما أن صور الناس مختلفة ، كذلك الأفكار مختلفة وأسباب الاختلاف تختلف باختلاف الشرائط والظروف والبيئات ، لكن على الأكثر مناشيء تلك الاختلافات عبارة عما يأتي : -

- ١ - غموض الموضوع في ذاته .
 - ٢ - اختلاف الرغبات والشهوات والأمزجة .
 - ٣ - اختلاف المناهج والاتجاهات .
 - ٤ - تقليد السابقين .
 - ٥ - اختلاف المدارك والإستعدادات .
 - ٦ - الرياسة وحب السلطان والمسائل السياسية .
 - ٧ - وقوع الحوادث والثورات والانقلابات .
- فلتلك الأسباب وأسباب أخرى ، اختلف الناس ولا يزالون مختلفين حتى يفصل الله - جل جلاله - بينهم .

أسباب الاختلاف بين المسلمين :

- ١ - العصبية والتفاخر بالأنساب والأحساب .
- ٢ - التنازع على الخلافة .
- ٣ - مجاورة المسلمين لكثير من أهل الديانات القديمة ، ودخول بعضهم في الإسلام .
- ٤ - ترجمة الفلسفة إلى العربية .
- ٥ - القصص والإسرائيليات .
- ٦ - ورود المتشابه في القرآن الكريم .
- ٧ - استنباط الأحكام الشرعية .
- ٨ - إعجاب كل ذي رأى برأيه .
- ٩ - التعرض لبحث كثير من المسائل الغامضة بدون منهج صحيح .

ومن تلك الأسباب وغيرها اختلف المسلمون فظهر الفقهاء والمحدثون ، وجاءت فرق الشيعة والخوارج والقدرية والجبرية وأهل الأهواء ، ثم جاءت فرق المعتزلة والأشاعرة والماتريدية والسلفية ، واختلفوا فيما اختلفوا ، حتى لا يصح لنا القول بأن كلهم على الحق ، ولا أن نقول بأن كلهم على الباطل ، بل أن نقول إن الحق دائر فيما قالوا باتباع الكتاب ، والسنة .

اختلاف المسلمين حول المسائل العقائدية ، والسياسية ، والفقهية :

قد ثبت أن اختلاف المسلمين ليس في وحدانية الله — تعالى — وشهادة أن محمدا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ، ولا في أن القرآن الكريم نزل من عند الله — تعالى — وأنه معجزة النبي ،

ولا فيما ورد بالتواتر ولا في أصول الفرائض كالصلاة والزكاة والحج والصوم، وبعبارة أخرى لم يكن الخلاف بينهم في ركن من أركان الإسلام، ولا في أمر قد علم من الدين بالضرورة كتحريم القتل، وشرب الخمر، وأكل لحم الخنزير والميتة، والحصول على المال بالغدر والخيانة، وضياع الوقت فيما لا يعنى وتحريم الأضرار والأعمال التخريبية والمفاسد الاجتماعية ولا في أصل العقود الاجتماعية، والمسائل الأخلاقية، والقواعد العامة للميراث.

وإنما الاختلاف بينهم في أمور لا تمس الأركان ولا الأصول العامة. ولكن مع هذا فلا شك أن الاختلاف الذي دار بين المسلمين حول بعض العقائد، وحول بعض المسائل السياسية كان شرا، كما روى الإمام البخاري، عن زينب بنت جحش أنها قالت:

استيقظ النبي - صلى الله عليه وسلم - محمرا وجهه يقول: لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب، ويشير النبي - صلى الله عليه وسلم - بهذا إلى ما يجري بين المسلمين من خلاف بعده. وروى أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال:

افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة^(١).

ومما يجدر القول به أن الاختلافات الفقهية بين أئمة المسلمين في غير ما جاء به نص من الكتاب والسنة حسن؛ لأنها في الحقيقة دراسة عميقة لفهم الكتاب والسنة ودين الإسلام، ومناقشات لحل

(١) روى هذا الحديث على اختلاف في متنه، بعدة أسانيد ولكن حديث

افتراق أمتي لم يرو في صحيح البخاري ولا في صحيح مسلم.

من حاشية كتاب المنقذ من الضلال للغزالي، ص (١٢).

المشكلات فى طريق تطبيق القوانين الإسلامية ، فلو لم تكن هذه المناقشات السلمية لوقع المسلمون فى ضيق و حرج .

وما يلزم أن أذكره أن الاختلافات فى المذاهب الإسلامية كلها تقع تحت ثلاث شعب : —

١- الاختلافات السياسية : وهى عبارة عن المحاولات التى دارت حول الإمامة والخلافة ، كما حصل من فرق الخوارج ، وفرق الشيعة وغيرهم .

٢- الاختلافات الفقهية : وهى عبارة عن المباحثات التى دارت حول المسائل الفرعية للإسلام من الفرائض والواجبات والأوامر والنواهي مثلما حصل من الإمام «أبى حنيفة» ، والإمام «مالك» ، والإمام «الشافعى» ، والإمام «أحمد بن حنبل» .

٣- الاختلافات العقائدية : وهى عبارة عن المناقشات التى دارت فى الأساسات الإسلامية مثلما حصل بين المعتزلة ، والأشاعرة ، والماتريدية ، وغيرهم .

ولا شك أن مبادئ كل هذه المذاهب واتباع جميع هذه الاختلافات كانت موجودة فى عصر «شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى» حتى أن بلاد العراق و«خراسان» كانت تعد مهدا لتلك الاختلافات والمحاولات والمباحثات والمناقشات .

مجمل الآراء والاختلافات التي دارت حول القضاء ، والقدر

ورأى « عبد الله الأنصارى » ، فى البحث عنهما

قد ثبت أن مسألة القضاء والقدر موجودة فى كل دين من الأديان السماوية ، وأن البحث والمناقشة حولها كما وجد فى عصر النبى - صلى الله عليه وسلم - وبعده كذلك وجد قبله فى الأديان السابقة .

روى عن النبى - صلى الله عليه وسلم - أنه منع الصحابة عن البحث فيهما .

وقد ثبت عندى أن البحث فى هذه المعضلة لم تكن حاجة إليه فى عهد النبى - صلى الله عليه وسلم - لاستطاعته إقناع الناس بالوحى والمعجزات .

أما البحث حول هذه المعضلة بعد الرسول لرد الشكوك والانحرافات ، وتفهم الموضوع بحيث لا يفضى إلى المغالاة ولا يخرج عن الحدود فأمر ضرورى .

إذ يلزم على المسلمين أن يعلموا أن قضية القضاء والقدر ليست كما فهمها الجبرية ، لأنهم سلبوا الاختيار والحرية عن البشر ، ولا بدرجة إنكار القدرة لها حيث لا دخل للقضاء والقدر فى أعمال العباد عندهم .

فلماذا أذكر فيما يأتى بمجل الآراء التى دارت حول هذه المعضلة : -

١ - قول جمهور الحكماء : وهو أن قضاءه - تعالى - عبارة عن علمه - بما ينبغى أن يكون عليه الوجود حتى يكون على أحسن نظام وأكمل الانتظام ، وهو المسمى عندهم بالعناية التى هى مبدأ فيضان الموجودات من حيث جمليتها على أحسن الوجوه وأكملها .

وأن قدر تعالى - عبارة عن خروج علمه وعنايته إلى الوجود العيني بأسبابها على الوجه الذى تقرر فى القضاء .

٢- قول بعض الحكماء : وهو أن قضاءه - تعالى - عبارة عن علمه الإجمالى وإن قدره - تعالى - عبارة عن علمه التفصيلى .

٣- قول « أبى البقاء » الذى ذكره فى بحث الكلّيات :

وهو أن القضاء ثبوت صور جميع الأشياء فى القلم الأعلى على الوجه الكلّى ، وهو الذى تسميه الحكماء بالعقل الأول .

وأن القدر هو حصول صور جميع الموجودات فى اللوح المحفوظ على وجه التفصيل ، وهو الذى تسميه الحكماء بالنفس الكلية .

٤- قول المحقق « صدر الدين الشيرازى » .

الذى اختاره فى رسالته التى سماها بـ « إثبات البارى » - تعالى - وهو أن القضاء عبارة عن اقتضائه - تعالى - فى الأزل لما سيكون عليه الأشياء على وجوه معينة مخصوصه منطبقة على ما هى عليه فى الوجود .

وأن القدر هو حصول الأشياء فى الكون على وفق ما فى القضاء .

٥- قول المحقق « الطوسى » الذى ذكره فى شرح الإشارات :

لما كان جميع صور الموجودات الكلية والجزئية التى لانهاية لها حاصلة من حيث هى معقولة فى العالم العقلى بأبداع الأول الواجب لها ، وكان إيجاد ما يتعلق بالمادة فى المادة على سبيل الإبداع ممتنعاً ، إذ المادة غير متأتية لقبول صورتين معا فضلاً عن تلك الكثرة .

وكان الجود الإلهي مقتضيا لتكميل المادة بإبداع تلك الصور فيها وإخراج ما فيها بالقوة من قبول تلك الصور إلى الفعل قدر بلطف حكمته زمانا مستمر التجديد غير مستقر الاتصال تخرج فيه تلك الأمور من القوة إلى الفعل واحدا بعد واحد، فتصير الصور في جميع ذلك الزمان موجودة في موادها، والمادة كاملة بها .

وإذا تقرر ذلك فاعلم أن القضاء عبارة عن وجود جميع الموجودات في العالم العقلي مجتمعة وبمجملة على سبيل الإبداع .
والقدر عبارة عن وجودها في موارد الخارجية أو بعد حصول شرائطها مفصلة واحدا بعد واحد ، كما جاء في التنزيل في قوله —
عن وجل —

« وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم »

والجواهر العقلية وما معها موجوة في القضاء والقدر مرة واحدة باعتبارين والجسمانية وما معها موجودة فيهما مرتين (١) .
٦ — قول « صاحب القبسات » الذي اختاره وبالغ في تفصيله وحاصله بالاختصار ما يأتي : —

وهو أن القضاء عبارة عن نسبة الفاعلية للباري — جل شأنه — على حسب علمه وعنايته إلى العالم في مرتبة شخصيته الوجدانية الجملية والقدر نسبة فاعليته إلى العالم في مرتبة تشریح الأركان وتفصيل الأعضاء .

(١) من حاشية كتاب ابن سينا المسمى بـ « الاشارات والتنبيهات » النط السابع ص (٧٢٨ - ٧٢٩) لمحقق « الطوسي » .

٧ — قول « الصوفية » :

وهو أن القضاء عبارة عن الفيض الأقدس الذي به حصلت الأعيان الثابتة واستعداداتها الأصلية في العلم الأزلي ، وأن القدر عبارة عن الفيض المقدس الذي به حصلت تلك الأعيان في الخارج بلوازمها ولواحقها .

٨ — قول « الإمام الرازي » ، الذي ذكره في شرح النمط السابع من الاشارات وحاصله :

أن القضاء هو المعلول الأول ؛ لأن القضاء هو الأمر الواحد الذي يترتب عليه سائر التفاصيل

وأما القدر فهو عبارة عن سائر المعلولات والتفاصيل الصادرة عنه طويلاً وعرضاً ؛ لأنها بالنسبة إلى المعلول الأول تجرى مجرى تفصيل الجملة .

٩ — قول الأشعري وجمهور أهل السنة :

وهو أن القضاء إرادته — تعالى الأزلية المتعلقة بالاشياء على ما هي عليه فيما لا يزال .

وأن القدر عبارة عن إيجاد — تعالى — إياها على قدر مخصوص في ذواتها ، وصفاتها ، وأفعالها ، وأحوالها ، وأزمنتها ، وأسبابها العادية .

١٠ — قول الماتريدية :

وهو أن القضاء هو الخلق الراجع إلى التكوين ، والقدر هو التقدير ، أي جعل كل شيء على ما هو عليه^(١) .

(١) من كتاب اللمعة في تحقيق مباحث الوجود والحدوث والقدر وأفعال العباد تأليف « الشيخ إبراهيم » المطبوع في مطبعة الأنوار بالقاهرة ص (٢٢ - ٢٦) كما توجد أيضاً هذه الآراء في كتب مختلفة من الفلسفة والكلام وقد أشرت إليها في كتابي الذي ألفته باللغة « البشتو » وجعلته وزارة المعارف الافغانية في المناهج الدراسية الافغانية .

يظهر من كل ما ذكرت أن مسألة القضاء والقدر مخالفة عما تنصورها الجبرية : وهو قولهم أن العبد لا فعل له ولا قدرة ولا اختيار ، فلا تأثير ولا كسب ولا فرق بين الاضطراري من أفعاله وبين الاختياري ، فإذا تكرر إضافة الفعل إليه بمنزلة إضافة الفعل إلى الجمادات ، كما يقال « جرى النهر ، وهذا محال .

وقد ثبت آنفاً أن قضية القضاء والقدر لا تتنافى مع الاختيار والكسب ، فلا تتعارض -- الأمر ، النهي ، والثواب ، والعقاب ، والوعد ، والوعيد .

ومن المناسب أن أذكر أن الاختلاف في مسألة القضاء والقدر قد وجد في جميع مراحل التاريخ الإسلامي التي سبقت عصر « عبد الله الأنصاري » .

إلا أنه في عهده أعنى القرنين الرابع والخامس ، أخذ الفسك في هذه المشكلة طابعا آخر حيث اشتد وعنف ، فلأجل ذلك قال « عبد الله الأنصاري » : لا تبحثوا في هذا الموضوع إلا بقدر ما جاء في الكتاب والسنة ، وفوضوا غاية علمه إلى الله -- سبحانه وتعالى -- .

الشيعة « عبد الله الأنصاري »

الشيعة مذهب من أقدم المذاهب السياسية الإسلامية ، وقد ظهر الشيعة بمذهبهم في آخر عصر « عثمان ، رضي الله -- تعالى -- عنه ، ونما في عهد علي -- كرم الله وجهه -- . لكن من غير أن يعمل على تنميته ، لأنه لما وصل « علي » -- رضي الله عنه -- إلى الخلافة ، واختلط مع الناس ، وتعامل معهم بأحسن المعاملة أعجبهم مواهبه ، وقوة علمه ، وذكائه ، ودينه .

ولما اشتدت المظالم على أولاد علي ، -- كرم الله وجهه -- في عهد الأمويين ، وكثر نزول الأذى بهم ثارت دفائن محبتهم لأولاد علي ، رضى الله -- تعالى -- عنه وذرية الرسول -- صلى الله عليه وسلم -- .

اتفق الشيعة ، على أن علي بن أبي طالب ، هو الخليفة المختار ، وأدء أفضل الصحابة كهم ، وينقسم الشيعة إلى قسمين : --

١ -- الشيعة الذين غالوا في تقدير علي وبنيه ، ومنهم فرقة السبئية ، المنسوبة إلى عبد الله بن سبأ ، اليهودى الأصل الذى حاول فتنه المسلمين وتمزيق وحدتهم ، وفرقة الغراية ، وفرقة الكيسانية .

٢ - الشيعة المعتدلون والمقتصدون :

وقد اقتصر المعتدلون على تفضيله على كل الصحابة من غير تكفير أحد ومن غير أن يجعلوه فى درجة النبى ، أو فوقه ، أو درجة التقديس التى يعلو بها على البشر .

ومن فرق الشيعة المعتدلة فرقة الزيدية ، الذين هم أقرب فرق الشيعة إلى الاعتدال .

وفرقة الإمامية ، الاثنا عشرية ، الذين يوجد منهم كثير من الناس فى بلاد العراق ، و إيران ، و أفغانستان ، و باكستان ، وغيرها من الدول الإسلامية (١) .

ومما ينبغى أن يأخذ المسلمون الآن بين الاعتبار هو ما قاله السيد جمال الدين الأفغانى .

(١) من كتاب تاريخ المذاهب الإسلامية ، ص (٣٦ - ٦٣) .

« أن مسألة تفضيل الإمام ، على كرم الله وجهه على سائر الصحابة والانتصار له في قتال « معاوية » - رضى الله تعالى عنه - لو سلمنا أنه كانت لها فائدة في ذلك الزمن ، لاحقاق الحق ، وازهاق الباطل .

أما اليوم فنرى أن بقاء هذه النعرة ، والتمسك بهذه القضية التي مضى أمرها ليس فيها إلا محض الضرر ، وتفكيك عرى الوحدة الإسلامية . وقضية التفضيل لو استحققت البحث بعد تلك الأجيال لكفى أن يقال لحل أشكائها « إن أقصر الخلفاء الراشدين عمرا تولى الخلافة قبل أطولهم عمرا » ، فلو تولى الخلافة بعد النبي - صلى الله عليه وسلم - « على بن أبي طالب » - كرم الله وجهه - لمات « أبو بكر » و« عمر » و« عثمان » رضى الله - تعالى - عنهم ، ولم يتيسر لهم خدمة الإسلام والمسلمين (١) . فعلى هذا اتضح أن « شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى » إنما خالف الشيعة لانحرافهم في حب على -- كرم الله وجهه -- عن حده ومرتبته .

ومن المناسب أن أذكره أن جميع هذه الفرق كانت موجودة في عصر « شيخ الإسلام » ، ولها نشاط كبير في الدسائس والمؤامرات الخفية ، حتى حينما طرد « عبد الله الأنصارى » إلى مدينة « بلخ » ووصل إليها أراد الشيعة والمعتزلة أن يقتلوه ، فعرف الوالى لمدينة « بلخ » جمال الملك هذا الأمر وقام بدفعهم ، وكما قال « شيخ الإسلام » في حقهم . « لعنة الله على أهل غورجه وغرجستان وفلانه وطالقان ، وهذا لأن هذه المناطق في عصره كان يعيش فيها أهل الشيعة والاعتزال .

(١) من كتاب « نابغة الشرق السيد جمال الدين الأفغانى » ص (١٠٠) .

المعتزلة وعبد الله الأنصارى

بدأت المعتزلة في أواخر العصر الأموى ، وشغلت الفكر الإسلامى فى العصر العباسى الزمن الطويل . وقد وجد فى المعتزلة معتزلة السياسة ومعتزلة الفكر .

روى أن واصل بن عطاء ليس أول من سمي معتزليا بسبب اعتزاله « الحسن البصرى » لقوله « أنا لا أقول أن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقا ، ولا كافر مطلقا ، بل هو فى منزلة بين المنزلتين ، لا مؤمن ولا كافر » ، بل يصعد هذا الاسم فى تاريخ الإسلام إلى سنة (٥٣٥) حينما بدأت الفكرة السياسية ، وامتنع عدد من الأكابر عن مبايعة على ، وبايعه عدد عن طيب خاطرهم وعدد من وراء قلوبهم ، وظل كثير منهم على الحياد ، فتناقلت الألسنة أنهم اعتزلوا الخصومة القائمة .

كما أن سعد بن أبى وقاص ، وعبد الله بن عمر ، ومحمد بن مسلمة ، وأسامة بن زيد كانوا من حزب المحايدين ، ورفضوا المقاتلة ضد « على - كرم الله وجهه - » ، كما رفضوا القتال فى صفه وإن كانوا قد أعلنوا أنهم معه بقلوبهم ، فأطلق عليهم اسم المعتزلة . وهذا الصنف هم معتزلة السياسة .

وأما واصل بن عطاء وأضرابه فيمكن أن يسموا بمعتزلة الفكر ، وقد شغل هؤلاء بمجادلة الزنادقة والروافض والمثوية والمشبهة والمجسمة والكفرة والفجرة وأهل الأهواء ، وذلك لأنه دخل فى الإسلام طوائف من المجوس واليهود والنصارى وغيرهم ، وكانت رؤوسهم ممتلئة بكل ما فى هذه الأديان من التعاليم التى جرت فى نفوسهم مجرى الدم

فمنهم من كان يظهر الإسلام خوفا ورهبة ، أو رجاء لنفع دنيوى ،
أو لقصد الفساد والإفساد وتضليل المسلمين .

وقد أخذت هذه الفرق تشر بين المسلمين ما يشككهم في عقائدهم ،
فظهرت المجسمة والرافضة والزنادقة وسائر فرق الفساد ، ونشروا
خرافاتهم وتضليلاتهم بين المسلمين ، وأيضا بعد ما ترجمت كتب المنطق
والفلسفة إلى العربية أخذ بعض المعادين طرق استدلالهم من
السفسطة ، فتجردت المعتزلة في مقابلتهم للدفاع باسم الدين .

مذهب المعتزلة

قال « أبو الحسن الحياط » ، في كتابه « الانتصار » ، :

ليس أحد يستحق اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة :
التوحيد ، والعدل ، والوعد والوعيد ، والمنزلة بين المنزلتين ، والأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر ، فإذا جمعت فيه هذه الأصول فهو
معتزلى .

١ - « التوحيد » :

التوحيد هو نسبة الوجدانية لله - تعالى - بحيث ينزهه من العيوب
ولا يشاركه أحد في صفاته الكمالية ، وحاصل ما قالوا في التوحيد :

هو أن الله - تعالى - منزّه عن جميع العيوب والنقائص ، وأن
جميع صفات الكمال في الحقيقة ، هو ذاته الأحد لا يشاركه أحد في
صفاته ، ويبنون على ذلك الأصل استحالة رؤية الله - سبحانه -
يوم القيامة ؛ لاقتضاء ذلك الجسمية والجهة ، كما بنوا عليه أن الصفات

ليست شيئاً غير الذات وإلا تعدد القدماء ، وبنوا أيضاً أن القرآن مخلوق لله - سبحانه وتعالى - لمنع تعدد القدماء ، وينفى كثيرون منهم صفة الكلام عن الله - تعالى - .

٢ - العدل :

قال المسعودي ، في عدل الله - جل جلاله - :

إن الله - تعالى - لا يحب الفساد ولا يخلق أفعال العباد ، بل هم يفعلون بالقدرة التي جعلها الله - تعالى - لهم وركبها فيهم ، وأنه - تعالى - لا يأمر إلا بما أراد ولم ينه إلا عما كره ، وأنه - تعالى - ولي كل حسنة أمر بها وبرىء من كل سيئة نهى عنها ، ولم يكلفهم مالا يطيقون ولا أراد لهم مالا يقدرون عليه ، وإن أحدا لا يقدر على قبض ولا بسط إلا بقدرة الله - تعالى - التي أعطاهم إياها ، وهو المالك لها دونهم يفتنيها إذا شاء ، ولو شاء لجبر الخلق على طاعته ومنعهم اضطراباً عن معصيته ، ولكنه لا يفعل ؛ إذ كان في ذلك رفع للمحنة وإزالة للبلوى ، (١) .

وقد ردوا بهذا الأصل على الجبرية الذين قالوا : إن العبد في أفعاله غير مختار ، فعدوا العقاب على ذلك يكون ظلماً ؛ إذ لا معنى لأمر الشخص بأمر هو مضطر إلى فعله .

ولما بنوا على ذلك الأصل أن الإنسان خالق لأفعال نفسه ولا حظوا في ذلك تنزيه الله - تعالى - عن العجز ، فقالوا : إن هذا بقدرة أودعها الله - في العباد ؛ ليتم التكليف .

(١) أصل النص من كتاب « مروج الذهب » ، وذكره كتاب تاريخ المذاهب الإسلامية في ص (١٥١) .

٣ - الوعد والوعيد :

المعتزلة يعتقدون بأن الوعد والوعيد من الله - تعالى - لا محالة ، فوعده بالثواب وقبول التوبة النصوح واقع ، ووعيده بالعقاب واقع أيضا .

فمن أحسن يجازى بالإحسان إحسانا ، ومن أساء يجازى بالإساءة عذابا ألما ، فلا عفو عن كبيرة من غير توبة ، كما لا حرمان من ثواب لمن عمل خيرا ، وفي هذا رد على المرجئة ، الذين قالوا .

لا يضر مع الإيمان معصية ، كما لا تنفع مع الكفر طاعة ؛ إذ لو صح هذا لكان وعيد الله - تعالى - في مقام اللغو - تعالى الله - عما يقولون علوا كبيرا .

٤ - المنزلة بين المنزلتين :

بين الشهرستاني ، رأى واصل بن عطاء ، في المنزلة بين المنزلتين أنه قال :

إن الإيمان عبارة عن خصال خير إذا اجتمعت سمي المرء مؤمنا وهو اسم مدح ، والفاسق لم يستكمل خصال الخير ولا استحق اسم المدح ، فلا يسمى مؤمنا وليس هو بكافر مطلقا أيضا ؛ لأن الشهادة وسائر أعمال الخير موجودة فيه لا وجه لانكارها . لكنه إذا خرج من الدنيا على كبيرة من غير توبة ، فهو من أهل النار خالدا فيها ، إذ ليس في الآخرة إلا فريقان : « فريق في الجنة وفريق في السعير » . لكنه يخفف عنه العذاب . (١)

(١) من كتاب الملل والنحل للإمام الشهرستاني تخريج الأستاذ بدران ص (٥٢) .

والمعتزلة مع اعتقادهم أن العاصي من أهل القبلة يقررون بأنه في منزلة بين المنزلتين ، ويرون أنه لا مانع من أن يطلق عليه اسم المسلم تميزا له عن الذميين لا مدحا ولا تكريما ، وأنه في الدنيا يعامل معاملة المسلمين ؛ لأن التوبة له مطلوبة والهدايا مرجوة ، كما قال ابن أبي الحديد ، في ذلك .

إننا وإن كنا نذهب إلى أن صاحب الكبيرة لا يسمى مؤمنا ولا مسلما نجز أن يطلق عليه هذا اللفظ إذا قصد به تميزه عن أهل الذمة وعابدى الأوثان .

هـ - الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر .

فقد اتفق المعتزلة على هذا الأصل وقرروا أن على المؤمنين أجمعين نشر دعوة الإسلام ، وهداية الضالين ، ودفع هجوم الذين يحاولون تلبيس الحق بالباطل ؛ ليفسدوا على المسلمين أمر دينهم ، ولذا تصدوا أمام سيل الزندقة ، في أوائل العصر العباسي .

وروى أن المعتزلة كانوا معتمدين على العقل ، ويحكمون بحسن الأشياء وقبحها عقلا ، وكانوا يقولون المعارف كلها معقولة بالعقل واجبة بنظر العقل ، وشكر المنعم واجب قبل ورود السمع ، والحسن والقبح صفتان ذاتيتان للحسن والقبيح .

قال الجبائي ، :

كل معصية كان يجوز أن يأمر الله - سبحانه - بها فهي قبيحة للنهي ، وكل معصية لا يجوز أن يبيحها الله سبحانه - فهي قبيحة لنفسها ، وكذلك كل ما جاز أن لا يأمر الله به فهو حسن الأمر

به ، وكل ما لم يحز أن لا يأمر الله - تعالى - به فهو حسن لنفسه .

وقد بنوا على هذا ما قرروه من أن فعل الصلاح والأصلح واجب لله - تعالى - ؛ إذ أنه ما دام في الأشياء حسن ذاتي وقبح ذاتي ، فمستحيل أن يأمر الله - تعالى - بفعل ما هو قبيح لذاته وينهى عن فعل ما هو حسن لذاته ، وإن الله - سبحانه - لا يترك الأمر الحسن لذاته ، وذلك عبارة عما يسمى بفعل الصلاح ، كما قال جمهورهم .

إن الله - تعالى - لا يصدر عنه إلا ما فيه الصلاح ، فالصلاح واجب له ، ولا شيء مما يفعله - جلّت قدرته - إلا وهو صالح ، ويستحيل عليه - سبحانه - أن يفعل غير الصالح (١) .

أهم ما حدث من المعتزلة

لا شك أن المعتزلة جادلوا بقوة الفصاحة ، والبرهان ، والدليل ، والمنطق ، والفلسفة في مقابلة المجوس ، والثنوية ، والجبرية ، وأهل الأهواء ، والسوفسطائية .

مثلا روى صاحب كتاب « سرح العيون » ، محادثة إبراهيم النظام ، تلميذ « أبي الهزبل » ، مع « صالح بن عبد القدوس » ، الذي كان « سوفسطائيا » ، يشك في كل شيء وينكر حقائق الأشياء ، فيقول .

إن صالح بن عبد القدوس قد مات له ولد فمضى إليه « أبو الهزبل » العلاف ، و « النظام » معه - وكان غلاما حدثا وتابعا له ، فرأى « أبو الهزبل » ، « السوفسطائي » ، محترقا ، فقال له « أبو الهزبل » .

(١) من كتاب « تاريخ المذاهب الإسلامية » ، ص (١٥٣ - ١٥٤) . كما توجد أيضا هذه المطالب في سائر المکتب التي تشرح آراء المعتزلة .

لا أدري لجزعك وجهها إذا كان الناس عندك كالزرع ، فقال « صالح ، يا « أبا الهزيل ، إنما أجزع عليه ؛ لأنه لم يقرأ كتاب الشكوك . فقال : « أبو الهزيل ، وما كتاب الشكوك ؟ .

قال : كتاب وضعته من قرأه شك فيما كان ، حتى يتوهم أنه لم يكن ، وفيما لم يكن حتى يتوهم أنه كان .

قال « النظام ، : فشك أنت في موت ابنك واعمل على أنه لم يموت وإن مات ، وشك أيضا في إنه قرأ هذا الكتاب ولم يكن قد قرأ ، (١)

يظهر من هذا أن المعتزلة لم يكونوا في الأوائل منحرفين كل الانحراف لكنهم بعدها افترقوا إلى عشرين فرقة وجاءت كل فرقة بخلافات وانحرافات كثيرة حتى أنزلوا في عصر قدرتهم على أهل الحديث والفقهاء محنا كثيرة خصوصا على الإمام « أحمد بن حنبل ، في مسألة خلق القرآن الكريم ، ويعد ذلك الخلاف لإحدى المسائل التي صارت موجبة لفشل المسلمين ، وضاياع وقتهم فيما لا يعنى ، كما قال بعض العلماء أن الاختلاف في مسألة خلق القرآن وقدمه يرجع إلى النزاع اللفظي ، والنزاع اللفظي لا يليق بشأن العقلاء .

نعم : وصل الاختلاف في مسألة خلق القرآن الكريم إلى حد الهزل ، كما روى أنه دخل مضحك اسمه « عبادة ، على « الواثق ، فقال .

يا أمير المؤمنين أعظم الله أجرك في القرآن .

(١) من كتاب « تاريخ المذاهب الإسلامية » ص (١٦٨) .

فقال : الواصل : : ويلك القرآن يموت ؟

قال يا أمير المؤمنين : كل مخلوق يموت ، ثم قال : بالله يا أمير المؤمنين من يصلي بالناس التراويح إذا مات القرآن فضحك : الواصل ، وقال : قاتلك الله أمسك .

روى أن : الواصل ، رجع في آخر حياته عن انزال المحنة بمن لا يرى هذا الرأي ؛ إذ دخل عليه يوما شيخ من نزلت بهم المحنة لعدم قولهم بخلق القرآن ، فقال له : أحمد بن أبي دؤاد ، الذي كان من كبار علماء المعتزلة ، ويحكم على الذين لا يقولون بخلق القرآن الكفر .

ذلك الأمر شيء لم يدع إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر ، ولا عمر ، ولا عثمان ، ولا علي ، وتدعو أنت الناس إليه ، فليس يخلو الأمر أن تقول : علموه أو جهلوه ؟ فإن قلت علموه وسكتوا عنه ، فبوسعي وإياك السكوت مثلما كان بوسع القوم .

وإن قلت جهلوه وعلمته أنت فيالكع بن لكع يجهل النبي - صلى الله عليه وسلم - والخلفاء الراشدون - رضى الله عنهم - شيئا تعلمه أنت ، فلما سمع : الواصل ، ذلك وثب من مجلسه ، وعفا عن الشيخ ، ورجع عما كان يفعل كما روى عنه ابنه : المهدي ، أنه رجع .

: المسائل التي خالف فيها (عبد الله الأنصارى) المعتزلة :

وبما يلزم أن أذكره هنا أن : المعتزلة ، كانوا موجودين بكثرة في عصر عبد الله الأنصارى ، في : خراسان ، ومدينة ، هراة ، وحواليها وسائر البلاد ، وأنه كان مخالفا لآرائهم وفق مخالفة الإمام

« أحمد بن حنبل ، لهم . ومن جملة تلك المسائل التي كان مخالفا فيها
لآرائهم المسائل الآتية : -

١ - مسألة صفات الله ؛ لأن « عبد الله الأنصارى » يعتقد بصفات
الله - تعالى - مثلما جاء في الكتاب والسنة .

٢ - مسألة أفعال العباد ؛ لأنه لم يكن يرى أن يكون العبد خالقا
لأفعاله ويقرر باختيار العبد .

٣ - مسألة « المعصية الكبيرة » ؛ لأنه كان لا يرى أن يكون
صاحب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين بحيث لا يكون مؤمنا ولا كافرا
ويفوض أمر العفو عن الكبيرة إلى الله - تعالى - .

٤ - مسألة « الاعتماد على العقل » ، وما يترتب عليه ؛ لأنه لا يعتمد
على العقل فقط ومخالف أيضا لما يترتب على الاعتماد على العقل .

٥ - مسألة خلق القرآن الكريم « كما سنوضحه فيما بعد في آرائه
وآراء الإمام « أحمد بن حنبل » رحمه الله - تعالى - .

٦ - كان « عبد الله الأنصارى » مخالفا عموما للإختلافات في
المسائل الكلامية العويصة الخارجة عن حدود الكتاب والسنة ، فلأجل
هذا قام « شيخ الإسلام » بمخالفة المعتزلة ، وشدد النكير عليهم .

« الأشاعرة وعبد الله الأنصارى »

قد قلنا فيما سبق أن المعتزلة في أول الأمر كانوا يدافعون عن
الإسلام ، لكن من سوء الحظ وجد بينهم التشتت ، والانحراف
عن الحق ، والافراط والتفريط ، حتى صاروا سبياً لشقاء ، الفقهاء

والمحدثين ، ولم يسلم من حملتهم فقيه معروف أو محدث مشهور إلى أن جاء عصر « المتوكل » وفك قيود العلماء ، فلأجل ذلك جاد لهم « أبو الحسن الأشعري » .

وقد ولد « أبو الحسن الأشعري » في « البصرة » سنة (٢٦٠ هـ) وتوفي سنة نيف وثلاثين وثلاثمائة بعد الهجرة ، وكان تلميذاً لـ « أبي علي الجبائي » المعتزلي المعروف ، وكان « الأشعري » لفصاحته وقوة استدلاله يتولى الجدل نائبا عن شيخه ، ولقد نال من ثمرات التفكير المعتزلي ، ثم وجد ميلا إلى آراء الفقهاء والمحدثين ؛ ولذا عكف في بيته مدة وازن فيها بين أدلة الفريقين ، ثم بعد الموازنة خرج إلى الناس ، فناداهم بالاجتماع إليه ، ورقى المنبر يوم الجمعة في المسجد الجامع في « البصرة » ، وقال :

« أيها الناس من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسى أنا « فلان » بن « فلان » ، كمنت أقول بخلق القرآن ، وأن الله - تعالى - لا يرى بالآبصار ، وأن أفعال الشر أنا أفعالها ، فأنا تائب ، مقلع ، متصد للرد على المعتزلة ، مخرج لفضائهم : معاشر الناس . . . إنما تغيبت عنكم هذه المدة ، لأنني نظرت ، فتكافأت عندي الأدلة ، ولم يترجح عندي شيء على شيء ، فاستهديت الله - تعالى - فهداني إلى اعتقاد ما أودعته كتيبتي هذه ، وانخلعت من جميع ما كنت اعتقد على خلاف طريقة الجماعة من الفقهاء والمحدثين اهـ .

وقد جاء في مقدمة كتابه « الإبانة » بعد أن حمد الله - تعالى - ، وأثنى عليه ما يأتي :

أما بعد : فإن كثيرا من المعتزلة وأهل القدر مالت بهم أهواؤهم إلى التقليد لرؤسائهم ومن مضى من أسلافهم . فتأولوا القرآن على آرائهم تأويلا لم ينزل الله - تعالى - به سلطانا ، ولا أوضح به برهانا ، ولا نقلوه عن رسول رب العالمين ، ولا عن السلف المتقدمين ، فخالفوا رواية الصحابة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في رؤيته بالآبصار ، وقد جاءت في ذلك الروايات من الجهات المختلفة ، وتواترت الآثار ، وتتابعَت الأخبار .

وأنكروا شفاعة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وردوا الرواية في ذلك عن السلف المتقدمين ، وجحدوا عذاب القبر وأن الكفار في قبورهم يعذبون ، وقد أجمع على ذلك الصحابة والتابعون . ودانوا بخلق القرآن نظيرا لقول إخوانهم من المشركين الذين قالوا : « إن هذا إلا قول البشر ، فزعموا أن القرآن كقول البشر . وأثبتوا وأيقنوا أن العباد يخلقون الشر نظيرا لقول المجوس الذين يثبتون خالقين : أحدهما يخلق الخير والآخر يخلق الشر . وزعموا أن الله - عز وجل - يشاء ما لا يكون ويكون ما لا يشاء خلافا لما أجمع عليه المسلمون من أن ما شاء الله كان وما لا يشاء لا يكون ، وردا لقول الله - تعالى - :

« وما تشاءون إلا أن يشاء الله » ، ولقوله - تعالى - « ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها » ، ولقوله - تعالى - : « فعال لما يريد » ، ولقوله مخبرا عن « شعيب » أنه قال : « وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا » .

ولذا سماهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «مجوس هذه الأمة» ، لأنهم دانوا بديانة المجوس وضاهوا أقوالهم ، وزعموا أن للشر والخير خالقين . كما زعمت المجوس ، وأنه يكون من الشر ما لا يشاء الله كما قالت المجوس ، وزعموا أنهم يملكون الضر والنفع لأنفسهم ردا لقول الله - تعالى - :

« قل لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا إلا ما شاء الله » .

وانحرافا عن القرآن وعما أجمع عليه المسلمون ، وزعموا أنهم ينفردون بالقدرة على أعمالهم دون ربهم ، وثبتوا لأنفسهم غنى عن الله - عز وجل - ، ووصفوا أنفسهم بالقدرة على ما لم يصفوا الله بالقدرة عليه ، كما أثبت المجوس للشيطان من القدرة على الشر ما لم يثبتوه لله - عز وجل - ، فكانوا مجوس هذه الأمة ؛ إذ دانوا بديانة المجوس ، وتمسكوا بأقوالهم ، ومالوا إلى أضاليلهم ، وقنطوا الناس من رحمة الله ، وآيسوهم من روحه .

وحكموا على العصاة بالنار والخلود خلافا لقول الله - تعالى - :
ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ،

وزعموا أن من دخل النار لم يخرج منها خلافا لما جاءت به الرواية عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بما معناه « أن الله - عز وجل - يخرج من النار قوما بعد ما صاروا حمما » .

ودفعوا أن يكون لله - عز وجل - وجه مع قوله - تعالى - :
« ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام » ، وأنكروا أن يكون لله يدان مع قوله - تعالى - « لما خلقت بيدي » .

«أنكروا أن يكون لله عين مع قوله - تعالى - «تجرى بأعيننا» ،
وقوله - تعالى - «ولتصنع على عيني» .

ونفوا ما روى عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «أن الله
ينزل إلى السماء الدنيا» ، وقد قال الأشعري :

«قولنا الذي نقول وديانتنا التي ندين بها هو التمسك بكتاب الله
وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - ، وبما روى عن الصحابة والتابعين
وأئمة الحديث ، ونحن بذلك معتمدون ، وبما كان عليه «أحمد بن
حنبل» - نضر الله وجهه - .»

وقد سلك «الأشعري» في الاستدلال على العقائد مسلك النقل
ومسلك العقل ، فهو يثبت ما جاء في القرآن الكريم : الحساب
والعقاب والثواب ، ويتجه إلى الأدلة العقلية والبراهين المنطقية يستدل
بها على صدق ما جاء في القرآن والسنة عقلا بعد أن وجب التصديق
بها كما هي نقلا ، فهو لا يتخذ من العقل حاكما على النصوص ليؤولها ،
أو يعضي على ظاهرها ، بل يتخذ العقل خادما لظواهر النصوص
ويؤيدها ، وفي الحق أنه قد ضعف شأن المعتزلة في القرن الثالث
والقرن الرابع الهجري ، فلما ضعف شأنهم لا بد أن يكون بين علماء
الإسلام من يتصدى للرد على أهل الأهواء ، وعلى الذين يهاجمون
الإسلام ، فتقدم «أبو الحسن الأشعري» لذلك العمل بعد أن زالت
دولة المعتزلة ، وقد نال «الأشعري» بذلك منزلة عظيمة ، وصار له
كثير من الأنصار ، ولقى من الحكام تأييدا ونهضة ، فتعقب خصومه
من المعتزلة وأهل الأهواء والكفار ، وبث أنصاره في الأقاليم ، ولقبه
أكثر علماء عصره بإمام أهل السنة والجماعة (١) .

(١) من كتاب تاريخ المذاهب الإسلامية ص (١٩١ - ١٩٤) .

أسباب الخلاف بين الأشاعرة و « عبد الله الأنصارى »

ومما يلزم أن أذكره أن « الأشعرى » وإن كان يتبع مذهب الإمام « أحمد بن حنبل » لكن جاء منه ومن أتباعه بعض ما لا يوافق مذهب الإمام « أحمد بن حنبل » ، وأيضاً اشتهر عن « الأشعرى » كثير من الآراء التى تسببت فى الجدل الكثير ، وهذه الآراء عبارة عما يأتى : -

١ - أن « الأشعرى » بحث فى المسائل الكلامية العويصة بالعقل والاستدلال مع أن العقل عند المحدثين لا اعتماد عليه ، وأن العقيدة فى قوتها وصفائها لا تحتاج إلى الدلائل العقلية السخيفة .

٢ - أن « الأشعرى » وإن كان يدعى أنه يستخدم الأدلة العقلية لإثبات النقل إلا أن ذلك الفكر ساقه أخيراً إلى التأويل ، فأول ماورد فى الكتاب والسنة من الألفاظ الموهمة للتشبيه مثل اليد فى « يد الله فوق أيديهم » ، بالقدرة كما أولها « المعتزلة » .

٣ - « قال ابن حزم » ، إن رأى « الأشعرى » فى أفعال العباد حيث يلزم من قوله أنه لا يثبت للعباد اختيار كان مثل رأى « الجبرية » .

٤ - « عد » ابن حزم ، رأيه فى مرتكب الكبيرة أنه قريب لرأى « المرجئة » .

٥ - جاء بعد الأشعرى « بعض أتباعه باسم مذهبه بآراء من عند أنفسهم » ، كما جاء « أبو بكر الباقلانى » المتوفى سنة (٤٠٢ هـ) ، فأوجب على الناس اتباع مذهب « الأشعرى » حتى اتباع ماساقه « الأشعرى » ،

من المقدمات في الاستدلال على المسائل الكلامية ، ولذلك خالفه
والغزالي ، أشد المخالفة .

٦ - اشتهر بين الناس عن الأشعري ، الآراء التي رد
والقشيري ، - في رسالته - (١) انتسابها إليه ، وتلك الآراء عبارة
عما يأتي : -

(أ) الرسول بعد موته لم يكن رسولا .

(ب) أن المكافآت والجزاءات من الله - تعالى - لم تكن لإطاعة
العباد وعدم إطاعتهم .

(ج) أن موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام لم يسمع صوت
الله - تعالى - .

(د) القرآن الكريم ليس هو عبارة عما عندنا في الأوراق
والمجلدات .

(هـ) عامة الناس الذين لهم عقيدة التقليد كافرون .

فلأجل ذلك خالف ، شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري ،
والأشاعرة ، الموجودين في عصره مخالفة شديدة .

(١) فليرجع إلى المجلد الثاني من كتاب ، التبيين ، لـ ، ابن عساكر ، ، والمجلد
الثاني من كتاب ، الطبقات ، للسبكي .

« الماتريدية وعبد الله الأنصاري »

الماتريدية هم أتباع « محمد بن محمد بن محمود، المعروف بأبي منصور الماتريدية الذي ولد بماتريد وهي محلة بسمرقند فيما وراء النهر، وقد ثبت أنه توفي سنة (٢٢٣ هـ) في العصر الذي كانت المعتزلة فيه ينالون غضب الشعب جزاء ما أنزلوا بالفقهاء والمحدثين في الثلث الأول من هذا القرن نفسه، ولا يعرف بالضبط عصر ولادته لكن يقال :

إنه ولد حوالي منتصف القرن الثالث، وقد ثبت أنه تلقى الفقه الحنفي وعلم الكلام على « نصر بن يحيى البلخي، المتوفى سنة (٢٦٨ هـ)، وقد عاش « الماتريدي، في زمن كان السباق فيها لنتائج الفسك والعقل، وكان حنفي المذهب، وقد بلغت جولاته في أصول الدين إلى حد يشار إليه بالبنان، وكانت له رحلات إلى البصرة للمناظرة في العقائد بلغت نحو اثنتين وعشرين رحلة، وقد نقل عن « أبي حنيفة، رسائل صغيرة في هذا العلم هي : « الفقه الأكبر، و « الفقه الأبسط، ورسالة « أبي حنيفة، إلى « عثمان البتي، ووصيته رحمه الله - تعالى - عنه لتلميذه « يوسف بن خالد السمطي، و « كتابه، العلم برا، وبحرا، وشرقا، وغربا، وبعدا، وقربا، لكن في إثباتها له اشتباه، و « الماتريدي ألف كتباً كثيرة منها : كتاب « تأويل القرآن، وكتاب « مأخذ الشرائع، وكتاب « الجدل، وكتاب « رد أوائل الأدلة، للكعبى، وكتاب « رد تهذيب الجدل، للكعبى، وكتاب « رد الأصول الخمسة، لـ « أبي محمد الباهلي، وكتاب « الإمامة لبعض الروافض، و « الرد على القرامطة، .

منهاج الماتريدي :

لاشك أن « الأشعري » و « الماتريدي » كليهما يحاولان إثبات العقائد التي وردت في الكتاب والسنة بالعقل والبراهين المنطقية لكن « الماتريدي » أعطى للعقل سلطاناً أكثر مما أعطاه « الأشعري » مثلاً كلاهما قال :

معرفة الله - تعالى - واجبه بالشرع ، ثم قال « الماتريدي » اتباعاً لمنهاج « ابن حنيفة » العقل يدرك هذا الوجوب ، و « الأشعري » لا يقر بذلك ؛ لأن الأشاعرة لا يعتبرون للأشياء حسناً ذاتياً يدركه العقل من غير أمر الشارع ، و « الماتريدي » يعتبرون للأشياء حسناً ذاتياً يدركه العقل .

الحق أن الخلاف بين « الأشاعرة » و « الماتريدية » ليس كبيراً كما قال « الإمام الشيخ محمد عبده » في تعليقاته على « العقائد العضدية » :

أن الخلاف بين « الماتريدية » و « الأشاعرة » لا يتجاوز عشر مسائل . اهـ .

المسائل الخلافية بين « الماتريدية »

و « المعتزلة » و « الأشاعرة »

ولما كان من ذكر بعض الاختلافات التي دارت بين « الماتريدية » و « المعتزلة » ، و « الأشاعرة » يحصل لنا التعرف على دوافع انكار « عبد الله الأنصاري » وكرهيته للاختلافات الكلامية ، فإننا نحاول شرحها كما يأتي : -

١ - قال « الماتريدي » :

معرفة الله - تعالى - يمكن أن يدرك العقل وجوبها كما أمر الله - تعالى - بالنظر في ملكوت السموات والأرض ووجههم إلى أن العقل لو اتجه اتجاهها مستقيماً خالياً من الهوى والتقليد يصل إلى الإيمان بالله - تعالى - ومعرفة ، فذلك تحقيق للنصوص القرآنية ، وترك النظر يكون اهمالاً لها ، وعدم اعتبار العقل سبيلاً لمعرفة الله - تعالى - يكون تعطيلاً للنتائج التي رتبها سبحانه - وتعالى - على النظر ، فلو كانت المعرفة لا تترتب على النظر لكان ذلك قطعاً للنتائج التي قرر الله - تعالى - أنها نتائج للنظر لكن مع أن العقل يمكن أن يستقل عند « الماتريدي » بمعرفة الله - تعالى - ، كما هو رأى « أب حنيفة » لا يجوز أن يستقل بمعرفة الأحكام التكليفية ؛ لأن الوجوب لا يكون إلا بمن يملك الإيجاب ، ومالك الإيجاب هو الله - تعالى - .

٢ - يثبت « الماتريدي » للأشياء حسناً وقبحاً ذاتياً ، وأن العقل عندهم يستطيع أن يدرك حسن بعض الأشياء وقبحها ، وأن الأشياء عندهم ثلاثة أقسام :-

(أ) أشياء يستطيع العقل البشري إدراك الحسن فيها .

(ب) القبح فيها .

ج - أشياء يستبهم وجه الحسن ووجه القبح فيها ، ولا يعرف الأمر فيها من حيث الحسن والقبح إلا من الشارع :

والمعتزلة يقسمون الأشياء إلى هذه الأقسام أيضاً لكنهم يرتبون على التقسيم أن ما يدرك العقل حسنه يكون واجب الفعل بتكليف

العقل ، وما يدرك العقل قبجه يكون منها عنه . والماتريدي تبعاً للإمام
« أب حنيفة » يقول :

ومع أن العقل يدرك الحسن والتقبيح لكن العقل لا يمكن أن يستقل
بالتكليف الديني قط ؛ إذ الحاكم في التكليف الديني هو الله - تعالى -
و « الأشعري » لا يرى للأشياء حسناً ذاتياً أو قبحاً ذاتياً ، بل يقول :

إن التحسين بأمر الشارع والتقبيح بنهي الشارع ، فالحسن حسن ؛
لأن الله أمر به ، والتقبيح قبيح ، لأن الله - تعالى - نهى عنه .
٣ - يرى « الأشاعرة » أن أفعال الله - تعالى - لا تعلل ، لأنه لا يسأل
عما يفعل ، وهم يسألون ، وقال « المعتزلة » .

إن الله - تعالى - يعمل الأعمال معللة بمقاصد وأغراض ، لأنه حكيم
لا يصدر عنه فعل جزافاً ، بل قدر كل شيء تقديراً ، ثم يصلون من هذا
إلى القول بوجوب الصلاح والأصلح ، فإنه بمقتضى أن الأشياء لها حسن
ذاتي وقبح ذاتي ، وبمقتضى أن الله - تعالى - لا يفعل إلا ما يكون فيه
حكمة ، فستحيل أن يأمر بغير الصالح ، وأن ينهى عن الصالح ، فيجب له
الصلاح ، ويجب له الأصلح .

و « الماتريدي » يخالف الفريقين ، فيقول :

إن الله تعالى منزّه عن العبث ، وأن أفعاله - سبحانه - وتعالى - تكون
على مقتضى الحكمة ، لأنه الحكيم العليم ، كما وصف نفسه ، فاذن هو
- جل شأنه - في حكمه التكميلي ، وفي أفعاله التكوينية قد أراد هذه
الحكمة وقصدها . لكنّه - تعالى - غير مجبر عليها ، ولا ملزم بها ،
لأنه مختار وفعال لما يريد ، فلا يقال : أنه يجب عليه فعل الصلاح

أو الأصلح لأن الوجوب يناهى الاختيار والإرادة ، ويستلزم أن يكون لغيره حق عليه ، والله - سبحانه وتعالى - فوق عباده لا يُسأل عما يفعل ، والوجوب عليه يقتضى أن يسأل عما يفعل - تعالى عن ذلك علوا كبيرا .
 ٤ - أجاز « الأشاعرة » أن يخلق الله - تعالى - الناس ولا يكلفهم شيئا ، إذ أن التكليف بإرادة الله - تعالى - ، فيجوز أن يريد غيرها .

قال « الماتريدية » .

إرادة الله - تعالى - لحكمة اختارها ، ولا يريد - سبحانه - غير الحكمة التي قررها وأرادها ، وأيضا أجاز « الأشاعرة » - بفرض عقل لا شرعى ونقلى - أن الله - سبحانه وتعالى - يجوز له أن يعاقب الطائع ويثيب العاصي ، لأن إثابة الطائع بفضل رحمة ، وعقوبة العاصي بمحض إرادته ولا معقب له على ما يفعل وما يريد .

ويقول « الماتريدية » إن ثواب الطائع وعقاب العاصي لحكمة قصدها وإرادة أرادها ، إذ أن الله - سبحانه - حكيم عليم ، وكثيرا ما ذكر بعد العقاب والثواب وصفه بالحكمة ، كما قال الله - تعالى - :

والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم . .

وأجاز « الأشاعرة » أن يخلف الله وعيده إجازة عقلية لا شرعية ، ومنع « الماتريدية » ذلك ، لأن الله - تعالى - وعد بمقتضى حكمته ، وقد قال - تعالى - .

« إن الله لا يخلف الميعاد » ، وعلى ذلك فلا خلف منه لافى الوعد ، ولا فى الوعيد .

— ١٥٤ —

هـ - اختلف المعتزلة ، و الأشاعرة ، و الماتريدية ، في مسألة الجبر والاختيار ، فالمعتزلة يقولون ،

إن العبد يخلق أفعال نفسه حتى يمكن أن يخاطب ويتم التكليف ، وأن هذه القدرة التي بها يخلق أفعال نفسه هي من خلق الله - تعالى - التي أودعها إياه .

والأشاعرة قالوا :

إن الفعل مخلوق لله - تعالى - ، والكسب من العبد ، وبالكسب يكون التكليف ، ويكون الثواب ، ويكون العقاب .

والماتريدي يقول :

إن الله - تعالى - خالق الأشياء كلها ، فلا شيء في هذا الوجود إلا وهو مخلوق لله - تعالى - لا شريك له - سبحانه - ، وإثبات الخلق لغيره إثبات للشريك ، وذلك غير معقول ولا مقبول ، ثم يقول أيضاً .

إن حكمة الله - تعالى - تقضى ألا يكون ثواب إلا للعبد اختيار فيما يستحق عليه الثواب ، فلا عقاب بالأولى إلا فيما يكون للعبد فيه اختيار ، وذلك فوق أنه مقتضى الحكمة هو مقتضى العدالة أيضاً ، ولكن كيف يوفق بين اختيار العبد وبين كون الفعل بقدره الله - تعالى - ومخلوق له - سبحانه - ؟

فيقول الماتريدي ، في ذلك ما قاله الأشعري . .

إن العبد له الكسب وهو مختار فيه ، وبهذا الكسب يكون الثواب والعقاب ، لكن سرعان ما يفترقان :

فالأشعري يقرر أن ذلك الكسب هو الاقتران بين الفعل الذى هو مخلوق لله - تعالى - واختيار العبد من غير أن يكون للعبد تأثير في هذا الكسب ، وعلى ذلك يكون الكسب مخلوق لله - تعالى - كالفعل نفسه . وقد قرر العلماء أن ذلك الرأى يؤدى إلى الجبر لا محالة ، إذ لا معنى لاختيار العبد في العمل ، ولذلك يقولون :

إنه الجبر المتوسط ، ويقول « ابن حزم » و « ابن تيمية » إنه الجبر الكامل . .

أما الكسب عند « المانريدى » فإنه يكون بقدرة أودعها الله - سبحانه وتعالى - في العبد بحيث يستطيع العبد أن يكسب الفعل بقدرة مخلوقة فيه ، ويستطيع أن لا يكسبه بهذه القدرة ، فهو حر مختار في هذا الكسب إن شاء فعل وإن شاء ترك ، وبذلك يكون الثواب ويكون العقاب ، فينتد لا يتنافى كون الله خالقاً لأفعال العباد مع اختيارهم ، وهذه القدرة هى الاستطاعة التى بها يكون التكليف عند « أبى حنيفة » وتكون عند الفعل ؛ لأنها القدرة المتجددة الحادثة ، فلا يلزم أن تكون قبل الفعل .

والمعتزلة قرروا أن الاستطاعة تكون قبل الفعل ؛ لأن التكليف والخطاب به يكون قبل الفعل لا بعده .

٦ - نفى المعتزلة الصفات ، وقالوا لاشئ غير الذات ، وأن المذكور في القرآن مثل قوله - تعالى - « عليم ، وخبير ، وحكيم ، وسميع ، وبصير هو أسماء له - تعالى - .

وأثبت « الأشاعرة » الصفات وقالوا :

إنها شيء غير الذات فأثبتوا القدرة، والإرادة، والعلم، والحياة، والسمع، والبصر، والكلام، وقالوا: إنها شيء غير الذات. (١)

وأثبت الماتريدي، أيضا هذه الصفات لكنه قال:

ليست شيئا غير الذات، فهي ليست صفات قائمة بذاتها ولا منفكة عن الذات، فليس لها كينونة مستقلة عن الذات، حتى يقال: إن تعددها يؤدي إلى تعدد القدماء.

٧ - أنكر المعتزلة، أن يكون لله - تعالى - صفة اسمها الكلام تكون مستقلة عن الذات، وقالوا:

إن القرآن مخلوق، ونهج الأشاعرة، في هذه القضية منهج الفقهاء والمحدثين، وقالوا:

إن القرآن كلام الله - تعالى - وهو غير مخلوق، وإن لم يصرحوا بأنه قديم.

وقال الماتريدي، .

إن كلام الله - تعالى - هو المعنى القائم بذاته - سبحانه وتعالى - وصفة من صفاته متصلة بذاته قديمة بقدم الذات غير مؤلفة من حروف ولا كلمات؛ لأن الحروف والكلمات محدثة والحادث لا يقوم بالقديم الواجب الوجود، لأن الحادث عرض من الأعراض والعرض لا يقوم بذاته - تعالى - .

(١) وقد كتب ملا أحمد الجندی . . في حاشيته على شرح العقائد النسبية تحت قول النسفي والأشاعره إلى نفي غيريتها وعينيتهما، أى قدماء الأشاعرة وأما المتأخرون منهم فذهبوا إلى مغايرتها .

٨ - يقرر «الماتريدي» ،

تنزيه الله - تعالى - عن الجسمية وعن المكان والزمان ويقف من الآيات التي تشتمل على أوصاف خبرية بأن الله - سبحانه - وجهها ويبدأ وعينا إلى آخره موقف المؤول ، ويسير على مبدئه وهو حمل المتشابه من القرآن على المحكم ، فيفسر قوله - تعالى - « ثم استوى على العرش » بأنه يحتمل أن يكون قصد إليه ، وخلقه سويا مستقيما مستقرا ، ويفسر قوله - تعالى - « ونحن أقرب إليه من حبل الوريد » بأنه إشارة إلى سلطانه ، وكمال قدرته ، وهكذا يؤول كل خبر فيه ما يؤهم «التشبيه» أو «التجسم» أو «المكان» أو «الزمان» .

أما «الأشعري» ، فقد روى عنه رأيان :

أحدهما ما ذكره في «الابانة» من أنه لا يؤول ، بل يقول إن الله يداً لا نعلمها ، ولكنها لا تشبه يد المخلوق ؛ إذ يقول - سبحانه وتعالى - « ليس كمثل شيء » ،

والآخر ذكره في «اللمع» وهو أن هذه الآيات التي فيها ما يؤهم التشبيه تحمل على المحكم كما سلك «الماتريدي» .

٩ - نفى «المعتزلة» رؤية الله - تعالى - ؛ لأن الرؤية تقتضى مكاناً للرأى ومكاناً للمرئى ، فتقتضى لا محالة أن يكون لله - تعالى - مكان ، والله - تعالى - منزّه عن أن يكون في مكان ، وأن يعتريه تقلب الزمان «وأثبت» «الأشعري» و «الماتريدي» رؤية الله - تعالى - يوم القيامة ؛ لأن النصوص التي وردت تثبت الرؤية مثل قوله - تعالى -

«وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة» ، «ويحيب» «الماتريدي» عما ألزموه «المعتزلة» بأن رؤية الله - تعالى - يوم القيامة هي من أحوال

القيامة ، وأحوال القيامة قد اختص علم الله - تعالى - بكيفيتها وأحوالها ، وفوق ذلك ، فإن المعتزلة يقيسون رؤية ، الله تعالى ، على رؤية الأجسام ، أى يقيسون رؤية ما ليس بجسم على رؤية الجسم ، وذلك قياس مع الفارق ، وقياس الغائب على الشاهد يصح إذا كان النائب من جنس الشاهد أما إذا لم يكن من جنسه فالقياس لا يستوفى أركانه ، وعلى ذلك يقرر الرؤية ، ويقرر أنها من أحوال القيامة ، فمن حاول معرفة كيفيتها سلبا أو إيجابا ، فقد تعدى حده وطلب ما ليس له به علم قال الله تعالى : « ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » .

١٠ - أجمع علماء المسلمين على أن المؤمن لا يخلد في النار لكن اختلفوا في أن المؤمن الذى لا يخلد في النار هو من ؟ .
قال « الخوارج » مرتكب الذنب صغيرا أو كبيرا كافر لا مسلم ولا مؤمن .

وقال « المعتزلة » مرتكب الكبيرة لا يعد مؤمنا ، وإن كان يعد مسلما ، فإذا لم يتب توبة نصوحا يخلد في النار لكن عذابه يكون أخف من عذاب من لم يؤمن بالله ورسوله .
لا يخرج « الأشاعرة » و « الماتريدية » من يرتكب المعاصى صغيرة أو كبيرة عن دائرة الإيمان ، وإن كان له حساب وعقاب ، وقد يتغمده الله برحمته ، ويقول « الأشاعرة » و « الماتريدية » .

إن مرتكب الكبيرة لا يخلد في النار ولو مات من غير توبة ، فعلى ذلك الاختلاف يقولون :

إن « الخوارج » و « المعتزلة » يعدون العمل جزءا من الإيمان ، و « الأشاعرة » و « الماتريدية » لا يعدون العمل جزءا من الإيمان .
قال « الماتريدى » مستدلا على أن مرتكب الكبيرة لا يخلد في النار

ولو مات من غير توبة ، بأن الله - تعالى - قد بين في القرآن الكريم أنه لا يجزى على السيئة إلا بمثلها ، فقال - تعالى -

« ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون » .

ولا شك أن من لا يكفر بالله ولا يشرك به يكون ذنبه دون ذنب الكافر والمشرک ، وقد جعل الله - تعالى - التخليد عقوبة الشرك والكفر ، فلو عذب صاحب الكبيرة مع وجود التصديق مثل عذاب الكافر لكانت عقوبته زائدة على قدر ذنبه ، وهذا خلف في الوعد ، والله - تعالى - لا يظلم العباد ، ولا يخلف الوعد ، ثم المساواة في الجزاء بين الكافر والمؤمن العاصي ما يخالف حكمة الله - تعالى - وعد له ؛ لأن المؤمن العاصي قد جاء بما هو أعظم الخير وهو الإيمان ، ولم يأت بأقبح الشر وهو الكفر فلو خلده الله في النار أبدا لجعل جزاء أقبح الشر بدل ثواب أفضل الخيرات ، ومقتضى العدل والحكمة الجزاء بالمثل لا بالزيادة إلا في الثواب ، ثم قال - رحمه الله - تعالى :

والحق في أصحاب الذنوب من المؤمنين تفويض أمرهم إلى الله - تعالى - إن شاء عفا عنهم فضلا منه وإحسانا ورحمة ، وإن شاء عذبهم بتدر ذنوبهم فلا يخلدون في النار ، فيكون أدل الإيمان بين الرجاء والخوف ، فيجوز له - تعالى - العقاب على الصغيرة والعفو عن الكبيرة ، كما قال الله - تعالى -

إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما ، (١)

(١) من كتاب تاريخ المذاهب الإسلامية ص (٢٠٧ - ٢٢٣) مع بعض التغيير اللفظي .

وما يلزم أن أذكره هو أن بلاد «خراسان» كانت مثل المهد لمذهب «الماتريدي» وكان في عصر «عبد الله الأنصاري» كثير من الناس في مدينة «هراة» وسائر مدن «خراسان» و «أفغانستان» يعتقدون مذهب الإمام «الماتريدي» ، وقد عرفنا سابقا أن منهاج «الماتريدي» أعطى للعقل سلطانا كبيرا ويحاول ، في تفسير القرآن الكريم وشرح الأحاديث ، ما استطاع : أن يحول المتشابه إلى المحكم ، حتى أنه في معرفة الله - تعالى - يقر بأن لها مصدراً آخر أيضاً غير النقل وهو العقل ، فنجد «الماتريدي» يتترف بأن النقل مصدر ، والعقل أيضاً مصدر .

ولما كان ذلك الرأي مخالفاً لآراء المحدثين الذين لا يعتمدون على العقل ويخشون عليه الزلل خالف «عبد الله الأنصاري» «الماتريدي» ، واستدل في المسائل الاعتقادية بالكتاب والسنة ، وأثبت ما ثبت عنده من العقيدة الإسلامية للأولين ، وأظهر أضرار المناهج التي بنيت على الاعتماد على العقل في المسائل الاعتقادية ، ثم كشف النقاب عن المفاسد التي حصلت من تلك الاختلافات الفلسفية والمنطقية والكلامية في تضعيف العقيدة الإسلامية الخالصة ، فأعلن أن أكثر المباحث الكلامية في عصره بدعة وفتنة في الإسلام ، وحاول أن يبين عقيدته على مذهب الإمام «أحمد بن حنبل» .

«الإمام أحمد بن محمد بن حنبل» و «عبد الله الأنصاري»

لما كان «عبد الله الأنصاري» أعلن أن مذهبه هو مذهب الإمام «أحمد» ، لزم علينا أن نعرض إجمالاً لحياة الإمام «أحمد» وآرائه لكي نعرف أي منهج اتبع «عبد الله الأنصاري» .

حياة الإمام أحمد بن محمد بن حنبل :

ولد «أحمد بن حنبل» في شهر ربيع الأول سنة (١٦٤ هـ) في «بغداد» وتوفي في سنة (٢٤١ هـ) وكان جده واليا على ولاية «سرخس» من ولايات خراسان، وكان أبوه قائدا من قواد المسلمين . وقد وجه «أحمد» منذ صباه إلى الدراسة الإسلامية ، حفظ القرآن الكريم، وأخذ يدرس العربية، والحديث، وآثار الصحابة والتابعين، وسيرة النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وسيرة صحابته المقربين والتابعين، وقد اشتهر بين الأقران بالتقوى والصبر واحتمال المكاره، ولعل ذلك من فرط اعتماده على نفسه واحساسه بالاستقلال النفسى .

ولقد اتجه إلى انفعه الجامع بين الرواية والدراية، ثم اختار أن يكون محدثا، فطلب علم الحديث والفقهاء من الأساتذة العظماء، وكان في جملتهم «أبو يوسف» تلميذ «أبي حنيفة» رحمه الله - تعالى - . ولقد التقى لأول مرة بالإمام «الشافعى» - رحمه الله - تعالى - في المسجد الحرام بمكة سنة (١٨٧ هـ)، ثم التقى به بعد ذلك في مدينة «بغداد» عندما جاء إليها لينشر مذهبه .

وقد حج خمس مرات قاصداً للحج وطلب حديث النبي - صلى الله عليه وسلم - .

ولقد طاف «أحمد بن حنبل» في الأقاليم الإسلامية طلبا للعلم بحيث أنه كان يحمل حقائب كتبه على ظهره، ورد رحمه الله - تعالى - مرة على جواب من كان معترضا عليه ومستكثرا ما حفظ وما كتب وما روى : مرة إلى السكوفة، ومرة إلى البصرة ! إلى متى ؟ فقال رحمه الله - تعالى - .

« مع المحبرة إلى المقبرة » .

وروى أنه كان يعرف اللغة الفارسية ، ويتحدث بها أيضا ، وكان في عصر الإمام « أحمد بن حنبل ، رحمه الله - تعالى - « يوحنا ، الدمشقي ييث بين علماء النصارى في البلاد الإسلامية طرق المناظرات التي تشكك المسلمين في دينهم ، وينشر بين المسلمين الأكاذيب عن نبيهم ، فكثر في عصره الكلام في العقائد ، حتى من غير التزام باتباع الكتاب والسنة ، بل خاضوا في أمور حول العقيدة مثل الجبر والاختيار ، ومثل الكلام في أسماء الله - تعالى - المذكورة في القرآن « أهى صفات الله - تعالى - غير الذات ؟ أو هى والذات شىء واحد ؟

وهل الكلام من صفات الله - تعالى - ؟ ثم هل القرآن قديم ؟ أو هل القرآن مخلوق ؟ وغير ذلك مما كان يخوض فيه العلماء الذين سموا بعلماء الكلام ، ويعدهم من أهل الزيغ .

ومن سوء الحظ أنه كان في ذلك العصر على رأس الحكومة العباسية « عبد الله المأمون بن الرشيد ، الذى يعد نفسه من المعتزلة وعالما من علمائها ، فيعقد المناظرات ؛ لتأييد مذهب الاعتزال ، ويشير المناقشات حول كون القرآن مخلوقاً أو غير مخلوق ، حتى اتجه في آخر حياته إلى إكراه العلماء من الفقههاء والمحدثين على ذلك القول ومن هنا نزلت المحنة بالإمام « أحمد بن حنبل ، حتى سجن واستمر في محبسه ثمانية وعشرين شهرا ، وفي هذه المدة أخذوا يضربونه بالسياط مرة بعد أخرى ، ولم يترك في كل مرة إلا بعد أن يغمى عليه ، فلما استيقظوا منه ، وأنه لن يرجع إلى القول بخلق القرآن الكريم أطلقوا سراحه وأعادوه إلى بيته ، ثم بعد مدة عاد إلى الإفتاء ، كما كان حتى

جاء عصر «الوائق» ، فمنعه من الاجتماع بالناس والتحدث إليهم والفتوى ، حتى مات «الوائق» ، فلما جاء «المتوكل» رفع المحنة ، وقرب الفقهاء والمحدثين وطرده المعتزلة ، وأخرجهم من القوة التي كانوا فيها .

آراء أهل السنة وآراء الإمام «أحمد بن حنبل»

لما كان للإمام «أحمد بن حنبل» وأهل السنة آراء بمقابلة آراء المخالفين أردت ذكر أهمها فيما يأتي : -

(الاعتقاد) والإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وبما جاء من عند الله ، وما رواه الثقات عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا يردون من ذلك شيئاً ، وأن الله - سبحانه - إله واحد فرد صمد ، لا إله غيره ، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ، وأن محمداً عبده ورسوله - وأن الجنة حق ، وأن النار حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور .

(الاعتقاد) والإقرار بأن الله - سبحانه - على عرشه ، كما قال :
«الرحمن على العرش استوى» .

وأن له يدين بلا كيف ، كما قال :

«خلقت يدي» ، وكما قال : «بل يده مبسوطتان» .

وأن له عينين بلا كيف ، كما قال : «تجري بأعيننا» .

وأن له وجهاً كما قال :

«ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام» .

وأن أسماء الله لا يقال أنها غير الله ، كما قالت المعتزلة والخوارج ،

وأقروا أن الله - سبحانه - علماً كما قال :

«أنزله بعلمه» ، وكما قال : «وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه» .

وأثبتوا له - تعالى - السمع والبصر ، ولم ينفوا ذلك عن الله كما نفته المعتزلة ، وأثبتوا لله القوة ، كما قال :

« أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة » .

وقالوا : إنه لا يكون في الأرض من خير ولا شر ، إلا ما شاء الله ، وأن الأشياء تكون بمشيئة الله ، كما قال - عز وجل - :

« وما تشاءون إلا أن يشاء الله » ، وكما قال المسلمون : « ما شاء الله كان وما لا يشاء لا يكون » .

وقالوا : إن أحدا لا يستطيع أن يفعل شيئا قبل أن يفعله ، ولا يكون أحد قادراً بأن يخرج عن علم الله ، أو أن يفعل شيئا علم الله أنه لا يفعله .

وأقروا أنه لا خالق إلا الله ، وأن سيئات العباد يخلقها الله ، وأن أعمال العباد يخلقها الله - عز وجل - ، وأن العباد لا يقدر أن يخلقوا منها شيئا .

وأن الله وفق المؤمنين لطاعته وخذل الكافرين ولطف بالمؤمنين ونظر لهم وأصلحهم وهداهم ، ولم يلطف بالكافرين ولا أصلحهم ولا مدهم ولو أصلحهم لكانوا صالحين ، ولو هدامهم لكانوا مهتدين ، وأن الله - سبحانه - يقدر أن يصلح الكافرين ويلطف بهم ، حتى يكونوا مؤمنين ، ولكنه أراد أن يكونوا كافرين كما علم ، وخذلهم ، وأضلهم ، وطبع على قلوبهم .

وأن الخير والشر بقضاء الله وقدره ، ويؤمنون بقضاء الله وقدره - خيره وشره حلوه ومره ، ويؤمنون أنهم لا يملكون لأنفسهم نفعا

ولا ضرا إلا ما شاء الله كما قال ، ويلجئون أمرهم إلى الله - سبحانه -
ويثبتون الحاجة إلى الله في كل وقت ، والفقر إلى الله في كل حال .
ويقولون : إن القرآن كلام الله غير مخلوق ، ولا يقال : للفظ القرآن أنه
مخلوق ، ولا غير مخلوق .

ويقولون : إن الله - سبحانه - يرى بالابصار يوم القيامة ، كما يرى
القمر ليلة البدر ، يراه المؤمنون ولا يراه الكافرون ؛ لأنهم عن الله
محجوبون ، قال الله - عز وجل - :

« كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ، وأن موسى - عليه السلام -
سأل الله - سبحانه - الرؤية في الدنيا ، وأن الله - سبحانه - نجلى للجبل ،
فجعله دكا فأعلمه بذلك أنه لا يراه في الدنيا ، بل يراه في الآخرة .
ولا يكفرون أحدا من أهل القبلة بذنب يرتكبه كمنحوا الزنا والسرقة
وما أشبه ذلك من الكبائر ، وهم بما معهم من الإيمان مؤمنون وإن
ارتكبوا الكبائر .

الإيمان عندهم هو الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسوله ، والقدر
خيره وشره ، حلوه ومره ، وأن ما أخطأهم لم يكن ليصيبهم ، وأن
ما أصابهم لم يكن ليخطئهم ^(١) .

والإسلام هو : أن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ،
على ما جاء في الحديث ، والإسلام عندهم غير الإيمان .

ويقرون بأن الله - سبحانه - مقلب القلوب ، ويقرون بشفاعة
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وأنها لأهل الكبائر من أمته ،

(١) لا يتعارض هذا القول بما يأتي بعد من أن الإيمان قول وعمل ، لأن المراد
هنا بيان ما يؤمن به بالاعتقاد.

وبعذاب القبر ، وأن الخوض حق ، والصراط حق ، والبعث بعد الموت حق ، والمحاسبة من الله - عز وجل - للعباد حق ، والوقوف بين يدي الله حق .

ويقرون بأن الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص ، ولا يقولون : مخلوق ولا غير مخلوق ، ويقولون : أسماء الله هي الله ، ولا يشهدون على أحد من أهل الكبائر بالنار ، ولا يحكمون بالجنة لأحد من الموحدين حتى يكون الله - سبحانه - ينزلهم حيث شاء ، ويقولون ، أمرهم إلى الله ، إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم ، ويؤمنون بأن الله - سبحانه - يخرج قوما من الموحدين من النار ، على ما جاءت به الروايات عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وينكرون الجدل والمرء في الدين ، والخصومة في القدر ، والمناظرة فيما يتناظر فيه أهل الجدل ويتنازعون فيه من أمر دينهم ، بالتسليم للروايات الصحيحة ولما جاءت به الآثار التي رواها الثقات عدلا عن عدل ، حتى ينتهي ذلك إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، ولا يقولون كيف ؟ ولا لم ؟ لأن ذلك بدعة ، ويقولون : إن الله لم يأمر بالشر ، بل نهى عنه ، وأمر بالخير ، ولم يرض بالشر وإن كان مريدا له .

ويعرفون حق السلف الذين اختارهم الله سبحانه ، لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ، يأخذون بفضائلهم ، ويمسكون عما شجر بينهم صغيرهم أو كبيرهم ، ويقدمون «أبا بكر» ، ثم «عمر» ، ثم «عثمان» ، ثم «علي» ، رضوان الله عليهم .

ويقولون أنهم الخلفاء الراشدون المهديون ، أفضل الناس كلهم بعد النبي - صلى الله عليه وسلم - .

ويصدقون بالأحاديث التي جاءت عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

أن الله - سبحانه - ينزل إلى السماء الدنيا فيقول : هل من مستغفر ؟
 كما جاء في الحديث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، يأخذون
 بالكتب والسنة ، قال الله - عز وجل - :

« فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول ، ، ويرون اتباع
 من سلف من أئمة الدين وألا يتدعوا في دينهم ما لم يأذن به الله .

ويقرون أن الله - سبحانه - يحيى يوم القيامة ، كما قال :
 « وجاء ربك والملك صفا صفا ، . وأن الله يقرب من خلقه كيف شاء ،
 كما قال :

« ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ، ، ويرون أداء العيد والجمعة
 والجماعة خلف كل إمام بر وفاجر ، ويثبتون أن المسيح على اثنين
 سنة ، ويرون أنه في الحضر والسفر ، ويثبتون فرض الجهاد منذ بعث
 الله نبيه - صلى الله عليه وسلم - إلى آخر عصابة تقاتل الدجال
 وبعد ذلك .

ويرون الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح ، وألا يخرجوا عليهم بالسيف ،
 وألا يقاتلوا في الفتنة ، ويصدقون بخروج الدجال ، وأن عيسى
 ابن مريم يقتله .

ويؤمنون بمنكر ونكير ، وبالمعراج والرؤيا في المنام ، وأن الدعاء
 لموتى المسلمين والصدقة عنهم بعد موتهم تصل إليهم .

ويصدقون بأن في الدنيا سحرة وأن الساحر كافر ، كما قال الله
 - تعالى - ، وأن السحر كائن موجود في الدنيا .

ويرون الصلاة على كل من مات من أهل القبلة برهم وفاجرهم ،
 وموارثهم .

ويقرون أن الجنة والنار مخلوقتان ، وأن من مات مات بأجله ، وكذلك من قتل قتل بأجله ، وأن الأرزاق من قبل الله — سبحانه — يرزقها عباده حلالا كانت أم حراما ، وأن الشيطان يوسوس للإنسان ويشككه ويتخبطه ، وأن الصالحين قد يجوز أن يخصهم الله بآيات تظهر عليهم ، وأن السنة لا تندسخ بالقرآن ، وأن الأطفال أمرهم إلى الله : إن شاء عذبهم وإن شاء فعل بهم ما أراد ، وأن الله عالم بما يعمل العباد ، ثم كتب أن ذلك يكون ، وأن الأمور بيد الله .

ويرون الصبر على حكم الله ، والأخذ بما أمر الله به ، والانتفاء عما نهى عنه ، وإخلاص العمل ، والنصيحة للمسلمين ، ويدينون بعبادة الله في العبادين ، والنصيحة لجماعة المسلمين ، واجتناب الكبائر ، والزنا ، وقول الزور ، والعصبة ، والفخر ، والكبر ، والأزراء على الناس ، والعجب .

ويرون مجانبة كل داع إلى بدعة ، والتشاغل بقراءة القرآن وكتابة الآثار ، والنظر في الفقه مع التواضع والاستكانة وحسن الخلق ، وبذل المعروف ، وكف الأذى ، وترك الغيبة والنميمة والسعاية ، وتفقد المأكل والمشرب (١) .

هذه جملة ما يعتقده ، ويقره ، ويأمر به الإمام أحمد بن حنبل ، وأهل الحديث ، وتوجد هناك فرق تخالفهم في هذه المسائل بسبب ميل هذه الفرق إلى الفلسفة والمنطق والكلام ، ويتأولون نصوص الكتاب والسنة .

(١) من كتاب مقالات الإسلاميين ، واختلاف المصلين ، للأشعري ، ص (٣٢٠ - ٣٢٥) ، وكتاب تاريخ المذاهب الإسلامية ، ص (١٩٤ - ١٩٦) .

آراء الإمام أحمد بن حنبل ، التي تمسك بها عبد الله الأنصاري ،

١ - رأيه في الإيمان :

لا شك أن العلماء في عصره ومن قبله قد خاضوا في حقيقة الإيمان .
فمنهم من قال :
إنه المعرفة ، ومنهم من قال :
إنه التصديق والإذعان ولا يزيد ولا ينقص ، ومنهم من قال :
إنه يزيد وينقص .
وقد روى عنه أنه قال :

الإيمان قول وعمل يزيد وينقص زيادته إذا أحسنت ، ونقصانه إذا
أسأت ، ويخرج الرجل من الإيمان إلى الإسلام فإن تاب رجع إلى الإيمان ،
ولا يخرج من الإسلام إلا الشرك بالله العظيم ، أو يرد فريضة من الفرائض
جاحداً لها ، فإن تركها تمواناها وكسلا كان في مشيئة الله ، إن شاء
عذبه وإن شاء عفا عنه ، هو في هذا الرأي يعتمد على النصوص
وحدها ، ولا يخوض في أمور عقلية .

٢ - رأيه في الصفات :

أثبت الإمام أحمد بن حنبل ، لله - تعالى - كل ما جاء في القرآن
والأحاديث من صفات الله - تعالى - فهو يصف الله - تعالى - بأنه سميع ،
بصير ، متكلم ، قادر ، مرید ، عليم ، خبير ، لطيف . عزيز ، حكيم ، ليس
كمله شيء ، ، ويذكر كل ما وُصف به الله - تعالى - ذاته من غير
محاولة تأويل ، وكذلك ما روى عن النبي - صلى الله عليه وسلم -

فهو لا يبحث عن كنه الصفات ولا عن حقيقتها ، ويعتبر التأويل خروجاً على الكتاب والسنة .

٣ - « رأيه في القدر وأفعال الإنسان » :

روى أن مناج « أحمد حنبل » في دراسة مسائل الدين هو من مناج السلف ، ولا يعتمد على العقل دون النقل ، فيقرر ما يقرره السلف ويكف عما كف عنه السلف ، وكذلك كان كلامه في القضاء والقدر وأفعال الإنسان ، ينطق بما قرر السلف ولا يخوض في أمر عقلي لم يخوضوا فيه ، ولا يجادل ولا يمارى ، كما قال في القدر :

« أجمع سبعون رجلاً من التابعين وأئمة المسلمين وفقهاء الأمصار على أن السنة التي توفي عنها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الرضاء بقضاء الله ، والتسليم لأمره ، والصبر تحت حكمه ، والأخذ بما أمر الله به ، والبدع عما نهى عنه ، والإيمان بالقدر خيره وشره ، وترك المراء والجدال والخصومات في الدين (١) ، وهو يقرر وجوب الإيمان بالقدر خيره وشره ، ووجوب الطاعة ، ويظهر من كلامه أن القدر عنده لا ينافى التكليف والا ختيار في الطاعة ، وهو يقرر أيضاً أن الله - تعالى - يعلم كل ما يفعله العباد ، ويريده ، ولا يمكن أن يقع في الكون ما لا يريد .

٤ - « رأيه في مرتكب الكبيرة » :

رأى الإمام « أحمد بن حنبل » في مرتكب الكبيرة كراى الفقهاء .

(١) من المناقب ، ص (١٧٦) .

وهو أنه ، أرجأ ما غاب عنه من الأمور إلى الله ، وفوض أمره إليه ، ولم يقطع بالذنوب العصمة من عند الله ، وعلم أن كل شيء بقضاء الله وقدره الخير والشر جميعاً ، ورجا لمحسن أمة محمد ويتخوف على مسيئتهم ، ولم ينزل أحداً من أمة محمد الجنة بالإحسان ولا النار بذنوب اكتسبها ، حتى يكون الله الذي ينزل خلقه حيث شاء . .

يظهر منه أنه يرجى أمر العصاة إلى الله - تعالى - وليسكن يتخوف عليهم ، ويرد على المعتزلة قولهم أن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ، فيقول : فمن كان منهم كذلك فقد زعم أن آدم كفر وأن أخوة يوسف حين كذبوا أباهم كفار ، (١) .

هـ - رأيه في خلق القرآن ، :

وقد ثبت أن الإمام أحمد ، ما كان يرى الخوض في مثل هذه الأمور التي لم يخض فيها السلف الصالح - رضوان الله تبارك وتعالى عليهم - فلأجل ذلك قال بعض العلماء إنه كان متوقفاً في هذه المسألة ، وقال فريق آخر من العلماء إنه كان يرى أن القرآن غير مخلوق ، واستدلوا على ذلك ببعض العبارات التي وردت في رسالته التي كتبها إلى المتوكل ، ولقد جاء فيها القول الآتي :

« لقد روى عن غير واحد من مضي من سلفنا أنهم كانوا يقولون : القرآن كلام الله غير مخلوق ، وهو الذي أذهب إليه ، لست بصاحب كلام ولا أرى الكلام في شيء من هذا إلا ما كان في كتاب الله أو في حديث عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أو عن أصحابه

(١) من المناقب ، ص (١٦٨) .

أو عن التابعين ، فأما غير ذلك فإن الكلام فيه غير محمود ، وعند النظر في التوفيق بين الرأيين يظهر لنا حقيقتان :

أولاهما - أن الإمام أحمد ، رحمه الله تعالى - كان يتوقف عن القول بأن القرآن مخلوق أو غير مخلوق ؛ لأنه يرى أن ذلك بدعة من القول ، لكن لما كثرت الكلام والاختلاف فيه ، وزالت عنه المحنة فاختار ما رآه أسلم في نظره وهو أن يقول : إن القرآن ليس بمخلوق ، وليس معنى ذلك أنه قديم ، فإنه لم يؤثر عنه أنه قال : لأنه قديم ، ولكنه احتراز عن أن يقول إنه مخلوق ؛ لأنه كلام الله ، ولأنه من علم الله - تعالى - ، ولأن الله نسبه إليه على أنه من كلامه ومن أمره .

ثانيهما - أنه ذكر في صدر رسالته إلى «المأدون» الرويات الكثيرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وعن الصحابة الكرام ، فقد روى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال :

« لا إمار في القرآن فإن المرء فيه كفر » ، فثبت أنه يرى أن القرآن غير مخلوق ، لأنه لم يرد عن السلف أنهم قالوا : إنه مخلوق ، ولأنه يتعلق بأمر الله ، وأمر الله غير خلقه ، ولكن أهو قديم ؟ وللإجابة على هذا السؤال أقول ، أن القرآن له ناحيتان :

أولاهما - معانيه وهي متعلقة بعلم الله - تعالى - الأزلي ، فهي من علمه - تعالى - وعلمه قديم ، لأن صفات الله - تعالى - قديمة .

وثانيتهما - ما يتعلق بالناظر وحروفه التي أرحى بها إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - عن طريق الروح الأمين جبريل ، وقد

قرأها للنبي ، وأقرأها النبي للصحابة ، وهؤلاء بدورهم أقرأوها للتابعين ، وتواترت القراءة والاقراء بها ، فهذه الألفاظ والحروف مخلوقة لله - تعالى - وكونها كذلك لا ينافي أن القرآن من عند الله وأنه معجزة النبي - صلى الله عليه وسلم - التي تحدى به المشركين في أن يأتوا بمثله أو بأقصر سورة من مثله ففعلوا .

هذه الآراء من الإمام « أحمد » قد أعجب بها « عبد الله الأنصارى » ولهذا نراه في كتبه ، وآثاره ، وتدريسه ، وتلقيه قد أيدها وتمسك بها .

ويثبت مما ذكرت عن الإمام « أحمد بن حنبل » - رحمه الله تعالى - أنه إمام صالح ، متمسك بالكتاب والسنة ، ويحاول أن يتبع العقل للنقل ، يأخذ بالإطاعة والتسليم للكتاب والسنة أساساً ومنهجاً في كثير من المسائل الاعتقادية ، فهذا الأساس والمنهج هو الذي اختاره « عبد الله الأنصارى » وجادل به من خالفه من أهل الأهواء والبدع ، وسنشرح بالتفصيل فيما يأتي آراءه ، ومنهجه ، وكفاحه ضد أهل الأهواء والبدع .

آراء « عبد الله الأنصارى » التي تتعلق بالعقيدة والكلام

قد عرفنا فيما سبق أن « عبد الله الأنصارى » يتبع ما جاء في الكتاب والسنة على منهج الإمام « أحمد بن حنبل » ، ولا يعتمد على العقل ، ولا على الاستدلال الفلسفي والمنطقي ، بل هو يبنى عقيدته على ما جاء في القرآن الكريم والحديث المبين ، ويرجع الآثار المنقولة عن الصحابة والتابعين على القياس ، ويميل إلى أقوال أئمة الدين في كثير من المسائل الاختلافية ، ولا يؤول المتشابه بالتأويلات العقلية والكلامية ، ولا يعطى

الجواز لأحد أن يخوض في هذه المعضلات مخالفا عما جاء به السلف الصالح ، فلأجل هذا خاض صراحة كل من كان مخالفا لهذا المنهج .

عقيدة « عبد الله الأنصارى » ، بالله وصفاته

أسس « شيخ الإسلام » - وفقا لمنهجه - عقيدته بالله وصفاته طبق ما جاء في الكتاب والسنة ، كما أنه قد أورد في آخر كتابه « منازل السائرين » ، « باب التوحيد » وذكر تحتها : « قال الله - عز وجل -

شهد الله أنه لا إله إلا هو » والتوحيد تنزيه الله - تعالى - عن الحدث وإنما نطق العلماء بما نطقوا به وأشار المحققون بما أشاروا إليه في هذا الطريق لقصد تصحيح التوحيد ، والتوحيد على ثلاثة أوجه :-

الأول - توحيد العامة الذى يصح بالشواهد .

والثاني - توحيد الخاصة وهو الذى يثبت بالحقائق .

والثالث - توحيد قائم بالقدم وهو توحيد خاصة الخاصة (١) الخ .

أقول لتوضيح ما أراده « عبد الله الأنصارى » من بيانه في حق « التوحيد » هو أنه أشار أولا بذكر قول الله - عز وجل - .

« شهد الله أنه لا إله إلا هو » ، إلى أن مبدأ التوحيد وأساسه هو قوله - تعالى - « لا إله إلا هو » ، لا شريك له ، الأحد ، الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد .

فإذن التوحيد الذى هو فعل العبد عبارة عن تنزيه الله - تعالى -

(١) من كتاب منازل السائرين إلى الحق عن شأنه - ص (٢٣ - ٢٤) .

عن كل ما يعرض للحوادث ، وافراده بالعبادة ، وتنزيهه عن الشرك ، لأن كل ذلك يقتضى الحدوث ويخالف التوحيد ، فيلزم أن ينزه العبد الله - تعالى - عنه ، ثم أشار إلى أن الوجدانية التي كان بها الله - تعالى - غير ما ينسبها العباد إليه ، وهذا لأن كنهه الله - تعالى - لا يستطيع أن يدركه أحد من العباد إذ أن العبد في أى درجة يصل إليها يستدل على الله بمخلولاته ، وآثاره ، وموجوداته ، ومخلوقاته ، حتى أن من يدعى أنه وصل إلى معرفة الله - تعالى - لا يمكن أن يصل إلى كنهه الله - تعالى - ، بل لعله وصل إلى مرتبة أعلى في معرفته تعالى .

وعلى ذلك فالناس في توحيد الله - تعالى - على ثلاثة أقسام : —
 ١ — عامة الناس وهم الذين يصدقون بما جاء في الكتاب والسنة في حق توحيد الله - تعالى - من غير شك ولا ارتياب ، وهذا التوحيد : هو التوحيد في مرتبة علم اليقين الذى أمر الله - تعالى - به كل من له عقل من البشر ، وجاء به الأنبياء والرسل ، وبه تترتب الأحكام من الشرائع والأديان السماوية ، وهذا التصديق والإيمان عند عبد الله الأنصارى ، يزيد وينقص .

٢ — خاصة الناس فتوحيدهم الانقياد والاطمئنان القوى بالنسبة إلى عامة الناس بواحدانيته - تعالى - ، وهو يحصل بعد التمسك والمتابعة بالدين القيم عن طريق مكاشفة بعض الحقائق من آثار الله - تعالى - وأنواره وتأيداته ، ويصل العبد في هذه المرتبة إلى درجة عين اليقين بأن كل ما فى الكون من الأسباب والعلل الظاهرية يستفيد تأثيرها من وحدانيته - تعالى - ، وقدرته ، وإرادته ، وعلمه ، وحكمته .

٣ — خاصة الخاصة وتوحيدهم ينبع من حق اليقين ، وهو التوحيد

القديم الذى اتصف به الله - تعالى - فى الواقع ويحصل التعرف به بعد كثرة العبادة والرياضة ، وقوة ارتباط قلب العبد ، وشدة تعلق حبه به - تعالى - بحيث يكون العبد فى هذه المرتبة يحس من حب الله - تعالى - وانقياده له إحساسا وشعورا ، ويتذوق ذوقا ولذة لا يستطيع أن يعبر عن كيفية ما أحس وما ذاق ، فهو يرى من البراهين ، ويلوح على سره اللوامح التى يعجز عن بثها .

رأى « عبد الله الأنصارى »

فيما يصح أن ينسب إلى الله - تعالى - ويطلق عليه

قد ثبت أن رأى « عبد الله الأنصارى » ، فيما يصح أن ينسب إلى الله - تعالى - ويطلق عليه مثل رأى الإمام « أحمد بن حنبل » ، فهو يتبع ما أفاده الكتاب والسنة فى هذا الأمر ، ولا يؤول النصوص الواردة فى هذا الشأن بالرأى والعقل خارجا عن منطوقها ، ومنصوصها ، ويحسب أن هذا النوع من التأويل انحراف عن الصراط المستقيم الذى يوقع الناس فى الزيغ والبدعة ؛ ولهذا أورد « عبد الله الأنصارى » فى رسالته الأربعين « فى التوحيد » الأحاديث التى يتضح فيها ما يصح أن ينسب إلى الله - عز وجل - ويطلق عليه .

الأحاديث التي جاءت في رسالته

المسألة بـ «الأربعين في دلائل التوحيد»^(١)

في حق ما يصح أن ينسب إلى الله - تعالى - ، ويطلق عليه

وما يلزم أن أقول أن عبد الله الأنصاري ، أورد في أربعين من الأحاديث في حق ما يصح أن ينسب إليه - تعالى - وكل هذه الأحاديث بإسناد تام ، لكنني لأجل الاختصار أكتفي بذكر متونها مع ذكر اسم من جاء في آخر الإسناد : -

باب د إيضاح البيان أن الله حي ، :

« عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

إن لله تسعة وتسعين اسما (مائة إلا واحدا) إنه وتر يحب الوتر من أحصاها دخل الجنة وعد الأسماء فيها الحى القيوم .

باب د في بيان الدليل أنه عز وجل لا ينام ، :

« عن أبي موسى - رضي الله عنه - قال :

قام فينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بأربع : أن الله - تعالى - لا ينام ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه . يرفع إلى الله عمل

(١) أخذت صورة هذه الرسالة من مخطوط شريط رقم (٤٣٠) بالجامعة العربية ، أصل المخطوط في (١٣) صفحة ثم لما كانت الكلمات في الصورة غير واضحة أخذت مكبر الحروف وكتبت منها ما أردت ذكره في هذه الرسالة بكامل الدقة .

الليل قبل النهار، وعمل النهار قبل الليل، حجاب النار لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه .

باب « بيان أن الله - تبارك وتعالى وتقدس - شيء » :

« عن عروة عن أمه أسماء بنت أبي بكر - رضى الله عنها - أنها سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول على المنبر « ما شيء أغير من الله - عز وجل - » .

باب « بيان أن الله - عز وجل - شخص »

« عن المغيرة - رضى الله عنه - قال قال سعد بن عباد :
لو رأيت رجلا مع امرأتى لضربته بالسيف غير منى فبلغ ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال :
أتعجبون من غيرة سعد فوالله لأنا أغير منه ، والله أغير منى ، ومن أجل غيرته حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا شخص أغير من الله - عز وجل - ، ولا شخص أحب إليه العذر من الله - عز وجل - ، ومن أجل ذلك بعث المرسلين مبشرين ومنذرين ، ولا شخص أحب إليه الموحّد من الله عز وجل - » .

باب « بيان إثبات النفس لله - عز وجل - »

« عن ابن عباس - رضى الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال :

سبحان الله وبحمده عدد خلقه ومداد كلماته ورضى نفسه - سبحانه عز وجل - .

باب «الدليل على أنه - تعالى - في السماء»

«عن ابن عباس - رضي الله عنه - قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم - ومعه جارية أعجمية سوداء فقال على رقبة فهل تجزي هذه عني ، فقال : أين الله ؟ فأشارت بيدها إلى السماء ، فقال : من أنا ؟ قالت : أنت رسول الله ، قال : اعتقها فإنها مؤمنة .»

باب «الدليل على أنه - عز وجل - على العرش»

«عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم - لما قضى الله - عز وجل - الخلق كتب كتابا فهو عنده على عرشه أن رحمتي غلبت غضبي .»

باب «ذكر حجاب الله - عز وجل - :

«عن أبي موسى - رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال : حجابي - تعالى - النار لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره .»

باب «إثبات فوق ودون الله - عز وجل -»

«عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم - قال في دعائه : «أنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء .»

باب «إثبات الجهات لله - عز وجل -»

«أخبرني عمرو بن أوس «إنه سمع ، عبد الله بن عمر ، - رضي الله

عنه - يقول : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « إن المقسطين على منابر من نور عن يمين الرحمن - عز وجل - وكلتا يديه يمين » .

باب « إثبات الوجه لله - عز وجل - »

« قال عبد الله ، - رضى الله عنه - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من قال بسم الله ، وقال مرة من قال سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله وتبارك الله ، تلقاهن ملك فضم عليهن جناحه ، وقال مرة تلقاهن فكتبهن ، ثم ضمهن إلى جناحه حتى يحى وجهه رب العالمين - تبارك وتعالى - . »

باب « إثبات الصورة له - عز وجل - »

« حدث أبو هريرة ، - رضى الله عنه - قال قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « خلق الله آدم - عليه السلام - على صورته طوله ستون ذراعاً » .

باب « إثبات العينين له - تعالى وتقدس - »

« عن قتادة قال : سمعت أنس بن مالك - رضى الله عنه - يقول : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « ما من نبي إلا وقد حذر أمته الأعور الكذاب ألا إنه أعور وإن ربكم - عز وجل - ليس بأعور مكتوب بين عينيه ك ، ف ، ر ، » .

« باب « إثبات السمع والبصر لله - عز وجل - »

سمع عن « أبي هريرة ، - رضى الله عنه - يقرأ هذه الآية « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ... إلى قوله إن الله كان سميعاً

- ١٨١ -

بصيرا ، ، ووضع إبهامه على أذنه والتي تليه على عينيه ، وقال : هكذا سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقرأها ويضع أصبعيه عليهما .

باب : إثبات أنه - تعالى - خلق آدم - عليه السلام - بيديه ،

عن أبي سعيد - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : احتج آدم وموسى عليهما الصلاة والسلام فقال له موسى : أنت الذي خلقك الله بيده وأسكنك جنته .

باب : خلق الله - عز وجل - الفردوس ،

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : إن الله - عز وجل - خلق الفردوس وحظرها على كل مشرك ومد من خمر مسكر .

باب : إثبات الخطأ لله - عز وجل - ،

سمع عن أبي هريرة - رضي الله عنه - يحدث عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال احتج موسى وآدم عليهما الصلاة والسلام - فقال موسى أنت أبونا ، خيبتنا وأخرجتنا من الجنة ، قال فقال آدم يا موسى اصطفاك الله - عز وجل - بكلامه وخط لك التوراة بيده تلومني على أمر قد قدره الله على قبل أن يخلقني بأربعين سنة ، قال : فحج آدم موسى فحج آدم موسى ثلاثا .

باب : في أنه تقع صدقة المؤمن في يد الله - عز وجل - ،

عن عبد الله بن أبي قتادة المحاربي قال : سمعت عبد الله بن مسعود

- ١٨٢ -

- رضى الله عنه - يقول : إن الصدقة تقع في يد الله - عز وجل - قبل أن تقع في يد السائل .

باب « إثبات الأصابع لله - عز وجل - »

عن الحسن - رضى الله تعالى عنه - أن عائشة - رضى الله عنها - قالت : دعوة كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يكثر أن يدعو بها « يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك » ، قالت عائشة - رضى الله عنها - : يا رسول الله دعوة أراك تكثر أن تدعو بها ، قال : ما من آدمي إلا وقلبه بين أصبعين من أصابع الرحمن - عز وجل - فإذا شاء أن يقيمه أقامه ، وإذا شاء أن يزيغه أزاغه .

باب « إثبات الضحك لله - عز وجل - »

عن أبي هريرة - رضى الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم - قال ضحك الله - تعالى - من رجلين قتل أحدهما صاحبه ثم دخلا الجنة (قتل مشرك مسلما ثم أسلم ثم مات) .

باب « إثبات القدم لله - عز وجل - »

عن أنس - رضى الله عنه - قال قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يلقي في النار فتقول هل من مزيد حتى يضع رب العالمين فيها قدمه ، فتقول قط .

باب « الدليل على أن القدم هو الرجل »

عن أبي هريرة - رضى الله عنه - عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بهذا الحديث السابق الذكر وقال فيه حتى يضع الله - عز وجل - رجله فيها فتقول قط قط .

باب «المهرولة لله - عز وجل»

عن أبي هريرة - رضى الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم -
قال : قال الله عز وجل - أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا دعاني ،
إن تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ، وإن تقرب مني ذراعا تقربت
منه باعا ، وإن جئتني يمشى جئتته مهرولة .

باب «إثبات نزوله إلى سماء الدنيا»

حدث رفاعة بن عرابة - رضى الله عنه - قال قال رسول الله
- صلى الله عليه وسلم - «إذا مضى شطر الليل أو قال ثلثاه ينزل الله
- عز وجل - إلى سماء الدنيا» .

باب «رؤية النبي - صلى الله عليه وسلم - ربه - عز وجل - ليلة المعراج

بعينه رؤية يقظة»

عن عكرمة قال قال عباس - رضى الله عنه - : «وما جعلنا الرؤية
التي أريناك إلا فتنه للناس» ، قال هي رؤيا عين رآه رسول الله
- صلى الله عليه وسلم - ليلة أسرى به ، وزاد عمر بن جعفر ليس
رؤيا منام .

باب «رؤية المؤمنين ربهم - عز وجل - يوم القيامة عيانا»

عن جرير - رضى الله عنه - قال كنا مع النبي - صلى الله عليه
وسلم - في سفر فنظر إلى القمر ليلة البدر ، فقال : إنكم سترون ربكم
- عز وجل عيانا كما ترون هذا .

باب رؤيتهم إياه - عز وجل - في الجنة ،

عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في قوله - عز وجل - : « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ، قال الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله - عز وجل - » .

باب إثبات الكلام لله - عز وجل - :

حدث محمد بن اسحق عن أبيه أن أبا بكر الصديق - رضى الله عنه - قال عند وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم - فقدنا الذى يوحى من عند الله - عز وجل - الكلام .

باب الدليل على أن كلام الله - عز وجل غير مخلوق ،

عن أبي هريرة - رضى الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم - قال : من قال حيث تغيب الشمس أعوذ بكلمات الله التامات (١) من شر ما خلق لم يضر من ليلته شيء .

باب بيان أن قلب المؤمن منشراح بنور الله ،

عن عبد الله بن عمرو - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إن الله تبارك وتعالى خلق خلقه فى ظلمة فألقى عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطاه ضل .

هذا أهم ما أورده « عبدالله الأنصارى » من الأحاديث النبوية فى حق

(١) المراد بالكلمات التامة أن لا تكون مخلوقة ، إذ أن الخلق والحدوث يخالف من أن تكون تامات .

ما يصح أن ينسب إلى الله - تعالى - ويطلق عليه . أقول : لعل شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى . . قد ثبت عنده صحة هذه الأحاديث لكن مع هذا لا يريد بها تأييد عقيدة المجسمة بل .

يثبت من هذا أنه لا يجوز عنده أن يؤول المتشابه من الآيات بالرأى ، ولا أن يؤول النصوص الواردة في أسمائه وصفاته بالتأويلات العقلية ؛ لأنه يعد هذا العمل خروجاً عن طريق السنة والدين ، فلاجل ذلك شدد التنكير على المؤولين والمتكلمين في كتابه المسمى بـ « ذم الكلام وأهله » : «وها أناذ اسأورد فيما يأتى أهم مطالب كتاب ذم الكلام وأهله

ومما يلزم أن أذكر أن « شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى ، أورد في كتابه ، ذم الكلام وأهله » الأحاديث ، والآثار ، والروايات بالإسناد التام ، لكننى لأجل الاختصار سأذكر أهم مطالبه في هذا الصدد من آخر السند فقط ، فعليكم بالدقه فيما يأتى : -

أخرج « شيخ الإسلام ، حديث عائشة - رضى الله - عنها أنها قالت : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد ، أخرجه الشيخان قال « أبو مروان العثماني ، (١) يعنى البدع .

وقال « أبو عبيدة (٢) ، جمع النبي - صلى الله عليه وسلم - جميع أمر الآخرة في كلمة : من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد ، وجميع أمر الدنيا في كلمة : إنما الأعمال بالنيات تدخلان في كل باب .

(١) أبو مروان بن العثماني : محمد بن عثمان بن خالد الأموى مات سنة (١٤١ هـ) .

(٢) أبو عبيد : مولى النبي - صلى الله عليه وسلم - .

باب • لبيان أن الأمم السالفة إنما استقاموا على الطريقة ما اعتصموا بالتسليم والاتباع وأنهم لما تكلفوا وخاصموا اختلفوا وهلكوا • :

من حديث « أبي هريرة » مرفوعاً : « إنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم . »

ومن طريق « عمرو » بن شعيب عن أبيه عن جده قال : خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على أصحابه ذات يوم وهم يتراجعون في القدر ، فخرج مغضباً ، حتى وقف عليهم ، فقال : يا قوم بهذا ضلت الأمم قبلكم باختلافهم على أنبيائهم ، وضربهم الكتاب بعضه ببعض ، وأن القرآن لم ينزل لنضرب بعضه بعض ، ولكن نزل القرآن فصدق بعضه بعضاً ما عرفت منه فأعملوا به ، وما تشابه فآمنوا به .

عن « أبي هريرة » قال : خرج علينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ونحن نتنازع في القدر ، فغضب حتى احمر وجهه ، ثم قال : أهبذا أمرتم أم بهذا أرسلت إليكم ؟ إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر عزمتم عليكم أن لا تنازعوا .

عن « أبي الدرداء » (١) ، و « أبي أمانة » ، و « أنس بن مالك » ، و « وائلة بن الأسقع » قالوا : خرج إلينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ونحن نتنازع في شيء من الدين ، فغضب غضباً شديداً لم يغضب مثله ، وقال : يا أمة محمد لا تهيجوا على أنفسكم وضح النهار ، ثم قال : أهبذا أمرتكم أو ليس عن هذا نهيتكم ؟ إنما هلك من كان قبلكم بهذا

(١) أبو الدرداء : عويمر بن مالك بن قيس بن أمية صحابي - توفي سنة

ثم قال : ذروا المراء لقلة خيره ، ذروا المراء فإن نفعه قليل ويهيج العداوة بين الإخوان ، ذروا المراء فإن المراء لا تؤمن فتنة ، ذروا المراء فإن المراء يورث الشك ويحبط العمل ، ذروا المراء فإن المؤمن لا يمارى ، فكفى بك إيماً أن لا تزال ممارياً ، ذروا المراء فإن الممارى لا أشفع له يوم القيامة ، ذروا المراء فأنا زعيم بثلاثة أبيات فى الجنة : فى وسطها ورياضها وأعلاها لمن ترك المراء وهو صادق ، ذروا المراء فإنه أول مانهاى الله عنه بعد عبادة الأوثان وشرب الخمر ، ذروا المراء فإن الشيطان قد يئس من أن يعبد ، ولسكن رضى بالتحريش وهو المراء فى الدين ، ذروا المراء فإن بنى إسرائيل افترقوا على إحدى وسبعين فرقة الخ كلهم على الضلال إلا السواد الأعظم قالوا : يا رسول الله ومن السواد الأعظم ؟ قال : من كان على ما أنا عليه وأصحابى ، ثم قال : إن الاسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً فطوبى للغرباء ، قالوا : يا رسول الله ومن الغرباء ؟ قال : الذين يصلحون إذا فسد الناس ، ولا يمارون فى دين الله .

عن زيد بن ربيع قال : بعث الله نوحاً ، وشرع له الدين فكان الناس فى شريعة نوح فما أطفأها إلا الزندقة . ثم بعث الله موسى وشرع له الدين فكان الناس فى شريعة موسى فما أطفأها إلا الزندقة ، ثم بعث الله عيسى وشرع له الدين ، فما أطفأها إلا الزندقة ، قال زيد ابن ربيع : ولا يخاف على هذا الدين إلا الزندقة .
عن «منصور بن المعتمر» (١) قال ما هلك أهل دين قط حتى يخلف فيهم الزنادقة .

(١) منصور بن المعتمر بن عبد الله أبو عتاب السلى الكوفى من كبار التابعين توفى سنة (١٣٢ هـ) .

عن « عمر بن الخطاب » - رضى الله تعالى عنه - قال : أناس من أهل الكتاب من قبلكم قد كتبوا مع كتاب الله كتباً فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله .

باب « شدة ما كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يخاف على هذه الأمة من الأئمة المضلين والمجادلين في الدين » :

عن « أبي جعفر » - رضى الله تعالى عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « إنما يهلكون بعد اليفنات بالمحدثات المخالفات ، وتزيين الضلالات المضلات ، وبالأهواء المغريات ، وتحريف المحكمات » .

عن « أبي عمر » ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « أشد ما أتخوف على أمتي ثلاث : زلة العالم ، وجدال منافق بالقرآن ، ودنيا تقطع أعناقكم فأخشوها على أنفسكم » .

عن « معاذ بن جبل » ، سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « إني أخاف عليكم ثلاثاً وهي كائنة : زلة عالم ، وجدال منافق بالقرآن ، ودنيا تعم عليكم » .

عن « عمر بن الخطاب » - رضى الله تعالى عنه - قال : « يهدم الإسلام ثلاث : زلة عالم ، وجدال منافق بالقرآن وأئمة مضلون » .
عن « عثمان بن أبي شيبة » ، أنه قال : فساق أصحاب الحديث خير من عباد غيرهم .

باب « كراهية تشقيق الخطب وتدقيق الكلام والتكلم بالآغاليط » :
عن « أبي ذر » ، رضى الله - تعالى - عنه قال : قال رسول الله - صلى الله

عليه وسلم - : « إنكم اليوم في زمان كثير علمائه قليل خطبائه ، ويأتي من بعد زمان كثير خطبائه قليل علمائه » .

عن « مجاهد » - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « إن الله لم يبعث نبياً إلا مبلغاً ، وإن تشقيق الكلام من الشيطان » .

عن « معاوية » - رضي الله تعالى عنه - قال : « لعن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذين يشققون الكلام تشقيق الشعر » .

عن « فاطمة الزهراء » - رضي الله تعالى عنها - قالت : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « شرار أمتي الذين يتشققون في الكلام » .

عن « سعد بن أبي وقاص » - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « في هذه الأمة أقوام يتخللون الكلام كما تخلل الناقرة الخلا بالسنتها » .

عن « أبي هريرة » - رضي الله تعالى عنه - رفعه وقال : « ألا أخبركم بشرار هذه الأمة الثرثارون المتشققون المتفهمون » .

باب « ذم الجدل والتغليظ فيه وذكر شؤمه » :

أخرج حديث « عائشة » مرفوعاً : « أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم » أخرجه ، البخاري ، « وحدث أنس وكعب وابن عمر وجابر - رضي الله تعالى عنهم - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « من طالب العلم ليهي به العلماء ، أو يماري به السفهاء ، أو يهرف به وجوه الناس إليه أدخله الله النار » .

عن «ابن مسعود» - رضى الله عنه - قال : لا تعلموا العلم لثلاثة :
لتماروا به العلماء أو تجادلوا به السفهاء ، أو تصرفوا به وجوه
الناس إليكم .

باب دذم اتباع متشابه القرآن والجدال به :

عن «عائشة» رضى الله - تعالى - عنها قالت : تلا رسول الله
- صلى الله عليه وسلم - هذه الآية : «هو الذى أنزل الكتاب ،
فقال : إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه ، فأولئك الذين سمي الله ،
فاحذروهم .

عن «ابن عباس» - رضى الله عنه - فى قوله - تعالى - :
«فأما الذين فى قلوبهم زيغ» ، قال : هم أصحاب الخصومات والمرء
فى دين الله .

عن «أبي» قال : ما استبان لك فاعمل به وانتفع به ، وما شبه
عليك فآمن به وكله إلى عالمه .

عن «جبير بن نعيم» - رضى الله عنه - عن رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - قال : «لا تجادلوا بالقرآن ولا تكذبوا كتاب الله بعضه
ببعض» ، فوالله أن المؤمن ليجادل به فيغلب .

عن «إياس بن عامر» أن «على بن أبى طالب» - كرم الله وجهه -
قال : إنك إن بقيت فسترى القرآن على ثلاثة أصناف : صنف لله ، وصنف
للدنيا ، وصنف للجدال .

عن «عمر بن الخطاب» - رضى الله عنه - قال : إنه سيأتى قوم
يجادلونكم بشبهات القرآن نخذوهم بالسنن ، فإن أصحاب السنن أعلم
بكتاب الله .

عن «مسروق»، قال : « ما أحد من أصحاب الأهواء إلا في القرآن ما يرد عليهم ولكننا لانتهدى له .

باب «الوقوف عند السنة ، وذم الرأي والبدعة والتعمق^(١) في الدين» :

عن «أبي قلابة»، قال : «إذا حدثت الرجل بالسنة ، فقال : «دع هذا وهات كتاب الله ، فاعلم أنه ضال» .

عن «قتادة»، في قوله : «من قبل أن يقضى إليك وحيه» ، قال :
يبين لك بيانه» .

عن «حسان بن عطية»، قال : «كان جبريل -- عليه السلام -- ينزل بالسنة ويعلمه إياها كما يعلمه القرآن .

عن «إسماعيل بن عبيد الله»، قال : «ينبغي لنا أن نتحفظ ما جاء عن رسول الله -- صلى الله عليه وسلم -- فإنه بمنزلة القرآن .

عن «مجاهد»، في قوله -- تعالى -- «فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول»، قال : «إلى كتاب الله وسنة رسوله» .

عن «بن مسعود» -- رضى الله عنه -- قال : «يأبى الناس إن الله بعث محمداً بالحق ، وأنزل عليه الفرقان ، وفرض عليه الفرائض ، وأمره أن يعلم أمته ، فبلغ رسالته ، ونصح لأمته ، وعلمهم ما لم يكونوا يعلمون ، وبين لهم ما يجهلون فاتبعوه ، ولا تبتدعوا فقد كنتم في كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة» .

(١) والمراد من التعمق التعمق الخارج عن حدود الشريعة .

عن «سعيد بن المسيب» (١) قال : قام «عمر بن الخطاب» في الناس فقال : «أيها الناس ألا إن أصحاب الرأي أعداء السنة أعييتهم الأحاديث أن يحفظوها وتضلت منهم أن يعوها فعاندوا السنن برأيهم ، فضلوا وأضلوا كثيراً ، والذي نفس عمر بيده ما قبض الله نبيه ولا رفع الوحي عنهم ، حتى أغناهم عن الرأي ، ولو كان الدين يؤخذ بالرأي لكان أسفل الخف أحق بالمسح من ظاهره ، فيأياكم وإياهم ، ثم أيأياكم وأياهم .»

عن «ابن عباس» - رضى الله عنه - قال : «إياكم والرأي فإن الله رد على الملائكة الرأي ، قال : إني أعلم ما لا تعلمون ، وقال لنبيه - صلى الله عليه وسلم - «لتحكم بين الناس بما أراك الله ، ولم يقل بما رأيت .»

عن «ابن عمر» قال : «قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة .»

عن «جابر» قال : «قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «أصدق الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .»

عن «ابن سيرين» قال : «أول من قاس ، إبليس وما عبدت الشمس والقمر إلا بالمقاييس .»

عن «الحسن» أنه تلا : «خلقتني من نار وخلقته من طين» قال : قاس إبليس وهو أول من قاس .»

(١) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عابدين عمران بن مخزوم القرشي مات بعد التسعين من الهجرة - وقد ناهز الثمانين .

عن « أحمد بن حنبل » ، قال : سألت « الشافعي » ، عن القياس فقال ،
عند الضرورات .

عن « أنس » ، - رضى الله عنه - أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم -
قال : من رغب سنتي فليس مني .

عن « أبي هريرة » - رضى الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم -
قال : من تشبه بقوم فهو منهم .

باب « كراهية التنطع في الدين والتكلف فيه والبحث عن الحقائق (١)
ولإيجاب التسليم » :

عن « قتادة » (٢) في قوله - تعالى - : « وأمرنا للمسلم لرب العالمين » ،
قال : في خصومة عليها الله محمدا - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه
يخاصمون بها أهل الضلال .

عن « أنس » - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
« إن الله قال : إن أمتك لا يزالون يتساملون ما كذا ما كذا حتى
يقولوا الله خلق كل شيء فمن خلق الله ؟ » .

عن « أبي هريرة » - رضى الله عنه - قال : « قال رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - : لا يزال الناس يتساملون حتى يقول أحدهم هذا

(١) يعنى البحث عن الحقائق خارج حدود الكتاب والسنة أو عطف على كراهية
التنطع .

(٢) قتادة - ابن النعمان بن زيد بن عامر الأنصارى الظفرى مات سنة ثلاث
وعشرين هـ .

الله خلق الخلق ، فمن خلق الله ؟ فإن سئلتهم فقولوا الله قبل كل شيء ، وهو كائن بعد كل شيء ، وهو خالق كل شيء .

عن د أنس ، - رضی الله عنه - أن رجلا سأل عمر بن الخطاب عن قوله - تعالى - « وأبأ ، ما الأب ؟ فقال نهينا عن التعمق والتسكف » .

عن د بن مسعود ، قال : ما رأيت أحدا كان أشد على المتنطعين من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا من أبي بكر وعمر .

عن رجل من الصحابة قال . نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم - عن الأغلوطات ، قال الأوزاعي : يعني شرار المسائل ، .

عن د ابن مسعود ، قال : إياكم وصعاب القول .

عن د الحسن ، قال : شرار عباد الله الذين يتبعون شرار المسائل يعمون بها عباد الله ، .

عن د معاذ بن جبل ، قال : إياك والبدع والتبدع والتنطع ، وعليك بالأمر العتيق ، .

عن د كثير بن عبد الله ، عن أبيه عن جده عن النبي - صلى الله عليه وسلم - : قال د إنكم ما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله وإلى محمد ، .

باب د مخافة المصطفى - صلى الله عليه وسلم - والسلف الصالح على من اشتغل بأقاويل أهل الكتاب ، وعلى من أكتب على كتاب سوى كتاب الله - تعالى - علما منه بما هو كائن منهم من الكتب المضلة بعده ، :

عن د عمران بن حصين ، (١) أنه قال قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

(١) عمران بن حصين بن عبد الله بن خلف الخزاعي مات سنة (٥٥٢) بالبصرة .

إن الحياء لا يأتي إلا بخير ، فقال بشير بن كعب : أنا نجد في بعض الكتب إن منه سكينه ووقارا ومنه ضعفا فغضب عمران حتى احمرت عيناه ، وقال : أحدثك عن رسول الله وتحدثني عن كتبك الخبيثة .

عن د حفصة ، - رضى الله عنها - أنها جاءت إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - بكتاب من قصص يوسف في كتف فجعلت تقرأ عليه والنبي - صلى الله عليه وسلم - يتلون وجهه ، فقال : والذي نفسى بيده لو أناكم يوسف وأنا معكم فاتبعتموه وتركتموني ضللتكم .

حدث د العرياض بن سارية ، (١) قال د وعظنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الحديث وفيه فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة .

باب د ذكر أعلام المصطفى - صلى الله عليه وسلم - أمته كون

المتكلمين فيهم ، :

عن د أبي الدرداء ، و د أبي ذر ، قالا : لقد تركنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وما يقلب طير في السماء جناحية إلا ذكر لنا منه علما .

عن د أبي هريرة ، - رضى الله تعالى عنه - قال : د قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا تقوم الساعة حتى تكون خصوصاتهم في ربهم .

(١) العرياض بن سارية السلي أبو نجيح صحابي من أهل الصفة نزل د حمص ، ومات بعد السبعين من الهجرة .

عن المقدم بن معد يكرب : قال : « قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : إذا حدثتم الناس عن ربهم فلا تحدثوهم بالذي يفرغهم ويشق عليهم . »

عن علي بن أبي طالب ، قال : « قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : إن من البيان سحرا ، وإن من الشعر حكمة ، وإن من القول عيا وإن من طلب العلم جهلا . »

عن الحكم بن عمير الثمالي : قال : « سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول : « إن هذا القرآن صعب مستصعب لمن كرهه ميسر لمن تبعه ، وإن حديثي صعب مستصعب لمن كرهه ميسر لمن تبعه ، من سمع حديثي فحفظه وعمل به جاء يوم القيامة مع القرآن ، ومن تهاون بحديثي فقد تهاون بالقرآن ، ومن تهاون بالقرآن خسر الدنيا والآخرة ، أمر أمتي أن خذوا بقولي وأطيعوا أمرى واتبعوا سنتي ، لأن الله يقول : وما أناكم الرسول فخذوه . »

عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - : « إياكم والركون إلى أصحاب الأهواء فإنهم بطروا النعمة ، وأظهروا البدعة ، وخالفوا السنة ، ونطقوا بالشبهة وتابعوا الشيطان . »

باب : في ذكر أشياء من هذا الباب ظهرت على عهد رسول الله -

صلى الله عليه وسلم - :

عن ابن عمر ، رضي الله عنه - قال : « رأيت عبد الله بن أبي (١) يشتد قدام النبي - صلى الله عليه وسلم - والحجارة تنكبه وهو يقول : »

(١) ابن سلول رأس المنافقين في المدينة - مات قبل وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم - .

يا محمد إنما كننا نخوض ونلعب ، والنبي - صلى الله عليه وسلم - يقول : « أبا الله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن » .

عن أنس رضى الله عنه - قال : أرسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مرة رجلا من أصحابه إلى رأس من رؤوس المشركين يدعوه إلى الله ، فقال : له المشرك هذا الإله الذى تدعوا إليه ما هو ؟ من ذهب هو أو فضة ، فأنزل الله صاعقة من السماء فأهلكته » .

عن « مجاهد » (١) - رضى الله عنه - قال : « جاء يهودى إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا محمد من أى شيء ربك ؟ أمن لؤلؤ هو ؟ فأرسل الله عليه صاعقة فقتلته ، ونزلت : « وهم يجادلون فى الله وهو ، شديد الحال » .

عن « أبى هريرة » - رضى الله عنه - أنه قال : « جاءوا إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فسألوه عن شيء من أمر الرب فلعنهم » .

عن « ابن عمر » - رضى الله عنه - قال لنا عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جاء رجل أقبح الناس ثيابا وأنتن الناس ريحا فتخطى رقاب الناس حتى جلس بين يدى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : من خلقتك ؟ قال : الله ، فمن خلق السماء ؟ قال : الله ، فمن خلق الأرض ؟ قال : الله ، فمن خلق الله ؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سبحان الله وأمسك بجمهته ، وقام الرجل فذهب ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على بالرجل فطلبناه فكأن لم يكن ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هذا إبليس جاء يريد أن يشكمكم فى دينكم .

(١) مجاهد بن جبير أبو الهجاج الخزومى - مات سنة واحد أو اثنين أو ثلاث وأربع ومائة هـ .

باب د إنكار أئمة الإسلام ما أحدثه المتكلمون في الدين من أصحاب

الكلام والشبه والمجادلة على الطبقات ، :

د الطبقة الأولى من صحابة رسول الله ، - صلى الله عليه وسلم -
وهم الذين قال الله - تعالى - في حقهم : « فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به
فقد اهتدوا » .

عن د علي بن أبي طالب ، - رضى الله عنه - قال : « يخرج
في آخر الزمان أقوام يتكلمون بكلام لا يعرفه أهل الإسلام ويدعون
الناس إلى كلامهم ، فمن لقيهم فليقاتلهم ، فإن قتلهم أجر عند الله » .
عن د ابن عباس ، - رضى الله عنه - في قوله - تعالى : « وإذا
رأيت الذين يخوضون في آياتنا ، قال : هم أصحاب الخصومات والمرام
في دين الله » .

عن د ابن عباس ، - رضى الله عنه - قال : « إذا كانت سنة خمس
وثلاثين ومائة خرج الشياطين من البحر ، كان سليمان حبسهم في أشعار
الناس وأبشارهم يحدثون الناس ليفتنوهم فاحذروهم » .

عن د طاووس ، قال : « إذا مضت سنة ثلاث وثلاثين ومائة ظهرت
شياطين جزائر البحور فتهياؤا بهيمة العلماء فلا تأخذوا العلم إلا بمن تعرفون .
عن د عكرمة ، أن د نجدة ^(١) قال : لابن عباس كيف معرفتك
بربك لأن من قبلنا اختلفوا علينا ، فقال : إن من ينصب دينه للقياس
لا يزال الدهر في التباس مائلا عن المنهاج طاعنا في الإعوجاج ، اعرفه
بما عرفه به نفسه من غير روية ، وأصفه بما وصف نفسه » .

(١) نجدة : بن عامر الحروري الحنفي رئيس الفرقة المسماة بالنجدية - قتل سنة

عن عائشة ، - رضى الله عنها - قالت : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا لم يعلم الشيء لم يقل برأيه ولم يتكلمه .
 عن ابن مسعود : أن رجلاً سأله عن شيء فقال : ما سألتونا عن شيء من كتاب الله نعلمه أخبرناكم به ، أو سنة من نبي الله - صلى الله عليه وسلم - أخبرناكم ، ولا طاقة لنا بما أحدثتموه .
 عن ابن عمر ، قال : «إن القدرية حملوا ضعف رأيهم على مقدرة الله ، وقالوا لم ؟ ، ولا ينبغي أن يقال لله لم ؟ لأنه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون» .

الطبقة الثانية : وهم المتقدمون من فقهاء التابعين :

عن الحسن ، قال : «لا تجالس أصحاب الأهواء وإن ظننت أن عندك الجواب» .

عن هشام ، قال : «كان الحسن ومحمد يقولان ، لا تجالسوا أصحاب الأهواء ولا تسمعوا منهم ولا تجادلهم» .

من طريق عبد الرزاق ، أخبرنا معمر قال : «كان ابن طاووس جالساً فجاء رجل من المعتزلة يتكلم ، فأدخل ابن طاووس أصبعه في أذنيه ، وقال لابنه أى بنى أدخل أصبعك في أذنك واسدد لا تسمع من كلامه شيئاً» .

عن ابن الحنفية ، قال : «لا تجالسوا أصحاب الخصومات فإنهم يخوضون في آيات الله» .

عن عطاء بن رباح ، في قوله - تعالى - «إن الذين فارقوا دينهم ، قال : هم أصحاب الخصومات وأهل البدع» .

عن «مجاهد» في قوله - تعالى - : «ولا تتبعوا السبل» قال : البدع والشبهات .

عن «عطاء» قال : «بلغنى أن فيما أنزل الله على موسى : «لا تجالسوا أهل الأهواء فيحدثوا في قلبكم ما لم يكن» .

عن «الحسن» : أهل البدع بمنزلة اليهود والنصارى .
عن «مصعب بن سعد» قال : «لا تجالس صاحب بدعة ، إما أن يمرض قلبك فتتبعه ، وإما أن يؤذيك قبل أن تفارقه» .

الطبقة الثالثة :

عن «عمر بن عبد العزيز» أنه كتب إلى ابنه عبد الملك «ليكن عليك علم الله الذى أنزله على نبيه ، ودل فيه على محابه ومكارهه ، وعرف الناس فيه أمره ، ودعاهم إلى كتابه ، وهداهم إلى كرامته ، ووقاهم به بأسه ، وأوجب لهم به رضوانه ، وأنزلهم به أفضل منازل خلقه ، هو العلم الذى لم يجهل من علمه ولم يعلم من جهله ، فآثره على ما سواه وافته عن زواجه ، فإن ذلك يحق على من علمه ، واتبع طاعة الله فيما أوصى به ، هو نور الله الذى أنزل وهدى به أوليائه ، ومن لم يكن له حظ فيه لم ينتفع بشيء منه وكان فى ظلمة ما بقى فى دنياه» .

عن «أبي قلابه» قال : «لا تجالس أصحاب الأهواء فإن لا آمن عليك أن يغمسوك فى ضلالتهم ويلبسوا عليك ما كنت تعرف» .

عن «إبراهيم النخعي» فى قوله - تعالى - «أقمارونه» قال : «أفتجادلون وفى قوله - تعالى - «فأغرينا بينهما العداوة والبغضاء» ، قال : «أغرى بينهم الجدل والخصومات فى الدين» ، وفى قوله - تعالى - «فليغيرون خلق الله» قال : «دن الله» .

عن ديجي بن أبي كثير ، قال : قال : سليمان بن داؤد (١) لابنه :
إياك والمرء فإنه ليس فيه منفعة وهو مورث العداوة بين الإخوان .

الطبقة الرابعة :

عن مالك ، قال : ديا كم والبدع قيل : يا أبا عبد الله وما البدع ؟
قال : أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه
وقدرته ، ولا يسكتون عما سكنت عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان .

عن مالك ، قال : من طلب الدين بالكلام تزندق .

عن عبد الرحمن بن مهدي ، (٢) قال : دخلت على مالك وعنده
رجل يسأله عن القرآن ، فقال : لعلك من أصحاب عمر بن عبيد لعن
الله عمرا فإنه ابتدع هذه البدع من الكلام ، ولو كان الكلام علما
لتكلم فيه الصحابة والتابعون كما تكلموا في الأحكام والشرائع ، ولكنه
باطل يدل على باطل .

عن مالك ، قال : ما قلت الآثار في قوم إلا ظهرت فيهم الأهواء
ولا قلت العلماء إلا ظهرت في الناس الجفاء .

عن جعفر بن محمد ، (٣) قال : إذا بلغ الكلام إلى الله فامسكوا ،

(١) سليمان بن داؤد أبو الربيع العتكي الزهراني - توفي سنة (٢٣٤ هـ)

(٢٨٤٨) .

(٢) عبد الرحمن بن مهدي ، بن حسان الحنبلي أبو سعيد النخعي مات سنة

(١١٨ هـ) .

(٣) جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أبو عبد الله المعروف

بالصادق مات سنة (٢٤٨ هـ)

وأخرج عنه أنه قال : تكلموا فيما دون العرش ولا تكلموا فيما فوق العرش ، فإن قوماً تكلموا في الله فتأهروا .

عن «سفيان الثوري» ، أن رجلاً قال له أوصني ، فقال : إياك والآهواء إياك والخصومة .

عن «عبد الله بن داود الخريبي»^(١) قال : سألت سفيان الثوري عن الكلام فقال : دع الباطل أين أنت عن الحق ، اتبع السنة ودع الباطل .
عن «أبي إسحق الفزاري» ، قال : «قال الأوزاعي : اصبر نفسك على السنة ، وقف حيث وقف القوم ، وقل فيما قالوا ، وكف عما كفوا ، واسلك سبيل سلفك الصالح فإنه يسمعك ما يسمعهم ، ولو كان خيراً ما خصصتم به دون أسلافكم» .

عن «الأوزاعي» ، قال : «بلغني أن الله إذا أراد بقوم شراً فتح عليهم الجدال ومنعهم العمل» .

عن «عائشة» ، و«معاذ بن جبل» ، و«أبي سعيد الخدري» - رضي الله تعالى عنهم - قالوا : «قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من قر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام» .

عن «الفضيل بن عباس» ، قال : «من أحب صاحب بدعة أحب الله عمله وأخرج نور الإسلام من قلبه» .

عن «أبي عمر» ، قال : «قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من أعرض بوجهه عن صاحب بدعة بغضاً له ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً ، ومن انتهر صاحب بدعة آمنه الله يوم الفرع الأكبر ، ومن أعان على

(٢) عبد الله بن داود الخريبي أبو عبد الرحمن - مات سنة (٢٣٣ هـ) .

— ٢٠٣ —

صاحب بدعة رفعه الله في الجنة مائة درجة ، ومن سلم على صاحب بدعة ، أو لقيه بالبشر ، أو استقبله بما يسره فقد استخف بما أنزل الله على محمد - صلى الله عليه وسلم - .

عن «شعبة» ، قال : «كان سفيان الثوري يبغض أهل الأهواء وينهى عن مجالستهم أشد النهي ، وكان يقول عليكم بالآثر ، وإياكم والكلام في ذات الله تعالى - .»

عن «أحمد بن مهدي»^(١) قال : «سألت أبا جعفر النخعي»^(٢) عن الخوض في الكلام ، فقال : «سئل الأوزاعي» ، عنه فقال : «اجتنب علماً إذا بلغت فيه المنتهى نسبك للزندقة ، عليك بالاعتدال والتقليد» .

عن «خبيب الجزري» ، قال : «مكتوب في التوراة ، لا تجالس أهل الأهواء فيدخل في قلبك شيء من ذلك فيدخل النار» .

الطبقة الخامسة :

عن «نوح الجامع»^(٣) قال : «قلت لأبي حنيفة — رحمه الله عليه — ما تقول فيما أحدث الناس من الكلام في الأعراض والأجسام ، فقال : «مقالات الفلاسفة عليك بالآثر وطريقة السلف ، وإياك وكل محدثة فإنها بدعة» .»

(١) أحمد بن مهدي : أبو جعفر أحمد بن مهدي بن رستم الأصبهاني — توفي سنة (٢٧٢ هـ) .

(٢) أبو جعفر النخعي عبد الله بن محمد بن علي بن فضيل — مات سنة (١٣٤ هـ) .

(٣) نوح الجامع بن أبي مريم أبو عصمة المروزي القشيري مشهور بكنية ، ويرف بالجامع لجمعه للعلوم — مات سنة (١٧٣ هـ) .

عن د أن يوسف القاضي ، قال : د من طلب الدين بالكلام
تزدق ، .

وعنه أنه قال : د العلم بالخصومة والكلام جهل ، والجهل بالخصومة
والكلام علم ، .

عن د ابن المبارك ، (١) قال : الكذب للروافض والخصومة للمعتزلة ،
والدين لأهل الحديث ، .

عن د محمد بن الحسن ، صاحب أبي حنيفة قال : د قال أبو
حنيفة : لعن الله عمرو بن عبيد فإنه فتح للناس الطريق إلى الكلام
فيما لا يعنيه من الكلام ، قال : وكان أبو حنيفة يحثنا على الفقه
وينهانا عن الكلام ، :

الطبقة السادسة :

من طريق د يونس بن عبيد الأعلى ، قال : قال د الشافعي ، :
لا يقال للأصل لم ؟ ولا كيف ؟ إنما هو التسليم له ، .

عن د أبي القاسم عثمان بن سعيد الأنماطي ، قال : د سمعت
المزني (٢) يقول : كنت أنظر في الكلام قبل أن يقدم الشافعي ، فلما
قدم الشافعي أتيت فسالته عن مسألة في الكلام ، فقال لي : تدري أين
أنت ؟ قلت : نعم أنا في المسجد الجامع بالفسطاط ، فقال له : أنت
في د تاران ، قال د أبو القاسم ، : وتاران موضع في بحر القلزم
لا تكاد تسلم منه سفينة ، ثم ألقى على مسألة من الفقه فأجبت فيه

(١) د ابن المبارك ، : عبد الله المروزي - مات سنة (١٨١ هـ) .

(٢) د إسماعيل بن يحيى المزني - مات عام (٢٦٤ هـ) .

فأدخل شيئاً أفسد جوانبى ، فأجبت بغير ذلك ، فأدخل شيئاً أفسد جوانبى ، فجعلت كلها أجبت بشيء أفسده ، ثم قال لى هذا الفقه الذى فيه الكتاب والسنة وأقاويل الناس يدخله مثل هذا ، فكيف الكلام فى رب العالمين ؟ الذى الزلل فيه كفر ، فتركت الكلام وأقبلت على الفقه .

من طريق عبد الله بن حنبل ، (١) قال : سمعت ، محمد بن داود ، (٢) قال : لم يحفظ فى دهر الشافعى كله أنه تكلم فى شيء من الأهواء ولا نسبه إليه ولا أعرف به مع بغضه لأهل الكلام والبدع .

عن المزنى ، أن رجلاً سأله عن شيء من الكلام ، فقال : « أنى أكره هذا بل أنهى عنه كما نهى عنه الشافعى ، فلقد سمعت الشافعى يقول : سئل مالك ، عن الكلام والتوحيد ، فقال « مالك ، محال أن نظن بالنبي - صلى الله عليه وسلم - أنه علم أمته الاستنجاء ولم يعلمهم التوحيد ، والتوحيد ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم - : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فما عصم به الدم والمال حقيقة التوحيد » .

من طريق الحسين بن إسماعيل الحملى ، (٣) قال : قال ، المزنى ، : سألت الشافعى عن مسألة من الكلام ، فقال : سلنى عن شيء إذا أخطأت فيه قلت أخطأت ، ولا تسألنى عن شيء إذا أخطأت قلت كفرت .

(١) عبد الله بن أحمد بن حنبل : الشيبانى مات سنة (٢٩٦ هـ) .

(٢) محمد بن داود بن الجراح : أبو عبد الله - مات سنة (٢٩٠ هـ) .

(٣) الحسين بن إسماعيل الحملى الضبي البغدادى ابن عبد الله - توفى سنة

(٣٣٠ هـ) .

عن محمد بن عبد الله بن الحكم، (١) قال : « قال لي الشافعي : يا محمد إن سألك رجل عن شيء من الكلام فلا تجبه فإنه إن سألك عن دية ، فقلت درهما أو دانقاً يقول لك : أخطأت ، وإن سألك عن شيء من الكلام ، فزللت يقول لك كفرت . »

عن الربيع بن سليمان، (٢) قال : « سمعت ، الشافعي يقول : المرء في الدين يقسى القلب ، ويورث الضغائن ، ، وأيضاً عن الربيع ، قال : لي « الشافعي ، يا ربيع أقبل مني ثلاثة أشياء : لا تخوضن في أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فإن خصمك النبي - صلى الله عليه وسلم - يوم القيامة ، ولا تشتغل بالكلام ، فإنني قد اطلعت من أهل الكلام على التعطيل ، ولا تشغل بالنجوم ، فإنه يجر إلى التعطيل . »

عن محمد بن عبد العزيز الأشعري ، صاحب الشافعي قال ، قال الشافعي ، رحمه الله تعالى - « مذهبي في أهل الكلام تقنيع رؤوسهم بالسياط وتشريدكم من البلاد . »

عن أبي ثور ، و الكرابيسي ، و الزعفراني ، قالوا : « سمعنا الشافعي يقول : حكى في أهل الكلام أن يضربوا بالجراند ، ويحملوا على الإبل ، ويطاف بهم في العشائر والقبائل ، وينادي عليهم هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام . »

(١) ابن أعين المصري مات سنة (٢٨٦ هـ) .

(٢) الربيع بن سليمان بن عبد الله الجبار المرادي أبو محمد البصري مات سنة

(٢٧٠ هـ) .

عن د محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، سمعت الشافعي يقول :
 « لو علم الناس ما في الكلام لفروا منه كما يفرون من الأسد » .

عن د الزعفراني ، قال : « كان الشافعي يعتم بعمامة كبيرة كأنه
 أعرابي ويده هراوة ، وكان أذرب الناس لسانا ، وكان إذا خيض
 في مجلسه بالكلام نهى عنه ، وقال لسانا بأصحاب كلام » .

قال د شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري : « وقد استقصيت ذكر
 شدة كراهية د أحمد بن حنبل ، للكلام والرأي ، وانكاره على أهلها
 في كتاب مناقبه » .

وأخرج عن د أبي عبد القاسم بن سلام ، (١) أن رجلا قال له :
 ما تقول في رأي أهل الكلام ؟ فقال : لقد ذلك ربك على سبيل
 الرشد وطريق الحق ، وقال : « فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله
 والآية ، أما لك فيما ذلك عليه ربك من كلامه وسنة نبيه - صلى الله
 عليه وسلم - ما يغنيك عن الرجوع إلى رأيك وعقلك ؟ وقد نهك الله
 عن الكلام في ذاته وصفاته إلا حسب ما أطلقه لك » .

الطبعة المراجعة :

عن د عثمان بن سعيد الدارمي ، قال : « لا تكيف هذه الصفات ،
 ولا تكذب بها ، ولا تفسرها ، وعنه أنه قال : « ما خاض في هذا
 الباب أحد ممن كانوا يذكرون إلا سقط . وأيضاً قال : على تصديقها
 والإيمان بها أدركنا أهل الفقه والبصر من مشايخنا لا ينكرها منهم
 أحد ولا يمتنع من روايتها حتى ظهرت هذه العصابة فعارضت آثار

(١) أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي مات سنة (٥٢٤ هـ) .

رسول الله - برد فقالوا : كيف ؟ قلنا : لم نكلف كيفية في ديننا ولا نعقله ، وليس كمثل شيء من خلقه فيشبهه فعلا أو صفة بفعالهم وصفاتهم .

عن د أبي عبد الله محمد بن إبراهيم البوشنجي ، (١) أنه سئل عن الإيمان فقال : الواجب على جميع أهل العلم والإسلام أن يلزموا القصد للاتباع ، وأن يجعلوا الأصول التي نزل بها القرآن وأتت بها السنن من الرسول - صلى الله عليه وسلم - غايات للعقول ، ولا تجعلوا العقول غايات للأصول فإن الله - جل وعز - ورسوله صلى الله عليه وسلم - قد يفرق بين المشتبهين ، ويبيان بين المجتمعين في المعقول تعبدا وبلوى ومحنة ، ومتى ورد على المرء وارد من وجوه العلم لا يبلغه عقله أو تنفر منه نفسه وينأى عنه فهمه وتبعد عنه معرفته وقف عنده واعترف بالتقصير عن إدراك علمه وبالحسور عن كنه معرفته ، ويعلم أن الله - عز وجل - ورسوله صلى الله عليه وسلم - لو كشف عن علة ذلك الحادث وأبان وأوضح عن سببه وعن المراد من مخرجه لأدركته عقولنا ، ولو كان كل ما أتى به الحكم من الله عز وجل .

والأمر بتعبده أتناه مكشوفاً بآياته موضحة علمته لم تكن للعباد بلوى ، ولا محنة وإنما المبحن الغلاظ والبلوى الشديد للأمور والفروض التي لا تنكشف عللها ليسلم العباد بها تسليماً ، ويقفوا عندها إيماناً ، ولولا ما وصفناه كان الذي سبق إليه فكر العقول منا أن واجبا في كل ما سأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ربه - عز وجل - أن يجيبه وأن ينزل عليه فيه شفاء ليزداد الناس به علماً وللملكوته فهماً .

(١) أبو عبد الله محمد بن إبراهيم البوشنجي - توفي سنة (٢٩٠ هـ) .

ولسنا نرى الأمر كذلك ، فقد سألوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وسأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ربه - عز وجل - عن الروح ، فلما أجابه قال الله - تعالى - : « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » (١)

وعلى ذلك خالف ربنا ما أنزل من شرائعه وأعلام دينه ومعالم فروضه وعباداته في الأمم الخالية ، فأحل لطائفة ما حرمه على أمة ، وحرم على أمة ما أطلقه لغيرها من أمة ، وخالف بينهما في أحكامها كالنوراة ، والانجيل ، والزبور ، والفرقان ، وصحف من مضى من الرسل ، ليسلم الموفق منهم لأسره ونبيه ، وينكص المخدول منهم على عقبيه نفارا من التفريق بين المجتمعين وعن الجمع بين المتفرقين ، وعلوا أن السلامة فيما أنزل عليهم في الاتباع والتقليد لما أمروا به ، والاعراض عن طلب التكيف فيما أجمل لهم ، وعن الغلو والايغال في التماس نهاياتها للوقوع على أقصى مداخلها ، وإذ كان الأمر كذلك لا يبلغ أبدا ، فان دون كل بيان بياننا وفوق كل متعلق غامض متعلق أغمض منه .

وإذا كان الأمر كذلك ، فالواجب الوقوف عند المستبهم منه ، ومن أجل ذلك أثنى الله - عز وجل - على الراسخين في العلم بأنهم إذا أفصى بعضهم الأمر إلى ما جهلوه آمنوا به ووكلوه إلى الله - عز وجل - ومن أجل ذلك ذم الله الغالين في طلب ما زوى عنهم علمه وطوى عنهم خبره ، فقال : « فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون

(١) ١٧ - الاسراء (٩٠)

ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب ، ، ومن أجل بعض ما ذكرنا اشتدت الخلفاء المهديون على ذوى الجدل والكلام في الدين ، وعلى ذوى المنازعات والخصومات في الإسلام والإيمان ، ومتى نجم منهم تاجم في دهر أطفأوه ، وأخذوا ذكره ، وأنعموا عقوبته ، فمنهم من سيره إلى طرف ومنهم من ألزمه قعر محبس إشفافاً على الدين من فتنته وحذاراً على المسلمين من خدعات شبيهته ، كما فعله الإمام الموفق د عمر بن الخطاب ، - رضى الله عنه - حين سأله د صبيغ ، عن الذاريات ذرواً د وأشباهه ، فسيره إلى الشام وزجر الناس عن مجالسته ، وفعله أيضاً د على بن أبي طالب ، - كرم الله وجهه - بعبد الله بن سبأ ، فسيره إلى المدائن ، .

عن د أبي الجوزجاني ، أنه سئل كيف الطريق إلى الله ؟ قال : د أصح الطريق وأعمرها وأبعدها من الشبه اتباع الكتاب والسنة قولاً ، وفعلًا ، وعزماً ، وعقداً ، ونية ؛ لأن الله - تعالى - قال : د وان تطيعوه تهتدوا د فسأله : كيف الطريق إلى اتباع السنة ؟ قال : بجانب البدع ، واتباع ما اجتمع عليه الصدر الأول من علماء الإسلام وأهله ، والتباعد من مجالس الكلام وأهله ، ولزوم طريقة الاقتداء والاتباع . بذلك أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - بقوله : د ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً ، .

عن د ابن أبي حاتم ، قال : د كان أبي وأبو زرعة يقولان : من طلب الدين بالكلام ضل ، .

عن « أبي العباس بن سريج » أنه سئل ما التوحيد؟ قال : « توحيد أهل العلم ، وجماعة المسلمين أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، وتوحيد أهل الباطل الخوض في الأعراض والأجسام ، وإنما بعث النبي - صلى الله عليه وسلم - بإنكار ذلك » .

عن « أحمد بن محمد بن أبي سعد » أنه قال : « من جلس للمناظرة على الغلبة فأولاه جدال وصياح ، وأوسطه حب العلو على الخلق ، وآخره حقد وغضب . ومن جلس للمناظرة . فأول كلامه موعظة ، وأوسطه دلالة ، وآخره بركة » .

عن « أبي عمرو بن مطر » قال : « سئل ابن خزيمة ، عن الكلام في الأسماء والصفات فقال بدعة ابتدعوها ، ولم يكن أئمة المسلمين وأرباب المذاهب وأئمة الدين مثل مالك ، وسفيان ، والأوزاعي ، والشافعي ، وأحمد وإسحق ، ويحيى بن يحيى ، وابن المبارك ، ومحمد بن يحيى ، وأب حنيفة ، ومحمد بن الحسن^(١) ، وأبي يوسف^(٢) يتكلمون في ذلك ، بل وينهون عن الخوض فيه ، ويدلون أصحابهم على الكتاب والسنة ، فيأبوا الخوض فيه والنظر في كتبهم بحال .

عن « أبي بكر بن بسطام » قال : سألت « أبا بكر بن سيار » عن الخوض في الكلام فنهاني عنه أشد النهي ، وقال عليك بالكتاب والسنة وما كان عليه الصدر الأول من الصحابة والتابعين ، وتابعي التابعين ، فإن رأيت المسلمين في أقطار الأرض ينهون عن ذلك وينكرونه ، ويأمرون بالكتاب والسنة » .

(١) محمد بن الحسن الشيباني — توفي سنة (١٨٩ هـ) .

(٢) أبو يوسف — توفي سنة (١٨٩ هـ) .

الطبقة الثامنة :

عن «أبي أشعث» قال : « قال رجل لبشر بن أحمد أبي سهل الاسفرايني : إنما أتعلم الكلام لأعرف به الدين ، فنضب وقال : أو كان السلف من علمائنا كفاراً ؟ » .

عن «إبراهيم الخواص» قال : « ما كانت زندقة ، ولا كفر ، ولا بدعة ولا جراءة في الدين إلا من قبل الكلام ، والجدال ، والمراء » .

الطبقة التاسعة :

قال : سمعت «محمد بن عمر» الفقيه أبا القوارس يقول : سمعت «سهل بن محمد الصعلوك» يقول : «أقل ما في الكلام من الخسار سقوط هبة الله من القلب» .

سمعت «منصور بن العباس» يقول : « ما أحصى ما سمعت » أبا الطيب . يقول : « أنها كم عن الكلام وتعودون إليه والله الموعود » .

سمعت «بجي بن عمار النيهي» يقول : « العلوم خمسة : علم هو حياة الدين . وهو علم التوحيد ، وعلم هو قوت الدين وهو العظة والذكر ، وعلم هو دواء الدين وهو الفقه ، وعلم هو داء الدين وهو أخبار فتن السلف ، وعلم هو هلاك الدين وهو علم الكلام » .

قال «شيخ الإسلام» رأيت «بجي بن عمار» ما لا أحصى على منبر ينكر على أهل الكلام ، وكذلك رأيت «عمر بن إبراهيم» ومشايجنا يروون عن «الحسن بن أسامة المكي» قال : سمعت أبي يقول : لعن الله أبا ذريعني عبد بن أحمد الهروي ، فإنه أول من حمل الكلام إلى الحرم .

وأول من بثه في المغاربة (١) .

هذا هو أهم ما ذكره شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى ، في كتابه « ذم الكلام وأهله » ، يتبين لنا منه أنه لا يجوز عنده أن يتكلم أحد في ذات الله - تعالى - وصفاته ، أو المتشابه من الكتاب ، أو في القضاء والقدر والروح والإيمان بما غاب عنا كلاماً يكون خارجاً عن حدود الكتاب والسنة ، فالقول الفاصل والحل الصحيح عنده في هذه المسائل العويصة التسليم والانقياد إلى ما جاء في الكتاب والسنة ، والحذر عن المباحثات التي تنسب في الريب ، والشك ، والزيغ .

فإذن البحث في ذات الله - تعالى - وصفاته ، والبحث في القضاء والقدر خارج حدود الكتاب والسنة حرام مطلقاً عنده ، ولا يرضى بالتأويلات العقلية التي جاءت من علماء الكلام في المتشابهات القرآنية ولا يسمح لأحد أن يبحث في المغيبات مثل الجنة ، والنار ، والملائكة خارج النصوص الواردة ، كما روى عن شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى ، في كتابه « طبقات الصوفية » أنه قسم العلوم إلى ما يأتي :

١ - علم التوحيد .	٢ - علم الفقه والدين .
٣ - علم الوعظ .	٤ - علم التعبير .
٥ - علم الطب .	٦ - علم النجوم .
٧ - علم الكلام .	٨ - علم المعاش .
٩ - علم الحكمة .	

(١) أخذت هذه النصوص من كتاب « ذم الكلام وأهله » ، الذي كان مخطوطاً في الشريط رقم (٩٧) بالجامعة العربية وهي مطابقة للنصوص التي وردت في كتاب « صون المنطق والكلام » ، ص (٣٣ - ٨٢) لـ « جلال الدين السيوطي » .

١٠ - علم الحقيقة . ثم علق عليها فقال : علم التوحيد حياة ، وعلم الفقه دواء ، وعلم الوعظ غذاء ، وعلم التعبير ظن ، وعلم الطب حيلة ، وعلم النجوم تجربة ، وعلم الكلام هلاك ، وعلم المعاش شغل عامة الخلق ، وعلم الحكمة مرآة ، وعلم الحقيقة حصول الوجود الحقيقي ، ثم أثبت كل هذه العلوم بالآيات ، وقال في حق علم الكلام : قال الله - عز وجل - : « كذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً » (١) .

وقد أشار بذلك إلى أن مباحث علم الكلام تسببت في ترك العمل بنصوص الكتاب والسنة فيخرج الناس عن الدائرة المحدودة للشرع ، ويعملون بما جاء في الفلسفة فقط ، ويفترون بأنهم يستطيعون أن يصلوا بفكرهم إلى كل الحقائق .

قال « شيخ الإسلام » ، قال « الإمام الشافعي » : « العلم بالكلام جهل والجهل بالكلام علم » ، ثم أجاز « عبد الله الأنصاري » البحث عن علم النجوم بقدر ما فيه مصالح الدين والمعاش ، ونهى عن مباحث علم النجوم التي ترتبط بالآوهام والخرافات (٢) .

(١) قرآن كريم من سورة الأنعام - ١١٢ - ج ٨ .

(٢) من كتاب طبقات الصوفية بالفارسية لـ « عبد الله الأنصاري » ، المطبوع

في كابل (١٤٤١ هـ ش) ص (١٦ - ١٨) .

التعليق الخاص على الاختلافات والمناقشات

التي تتعلق بالعقائد الإسلامية وعلم الكلام
وعلى الآراء لـ «عبد الله الأنصارى» في هذا الشأن

قسم «ابن تيمية» طرق العلماء في فهم العقائد الإسلامية إلى
أربعة أقسام:

القسم الأول: الفلاسفة، وهؤلاء يقولون: «القرآن جاء بالطريقة
الخطائية والمقدمات الإقناعية التي تقنع الجمهور، ويدعون أنهم هم أهل
البرهان واليقين، والعقائد طريقها البرهان واليقين».

والقسم الثاني: المتكلمون «أى المعتزلة»، وهؤلاء يقدمون القضايا
العقلية قبل النظر في الآيات القرآنية، فهم يأخذون بالنوعين
من الاستدلال. ولكن يقدمون النظر العقلي على الدليل القرآني، فيؤولون
القرآن على مقتضى العقل، وإن كانوا لا يخرجون عن عقائد القرآن.

والقسم الثالث: طائفة من العلماء تنظر إلى مافى القرآن من عقائد
فتؤمن به، وبما فيه من أدلة فتأخذه لاعلى أنه أدلة هادية مرشدة موجهة
للعقل؛ ليلتمس المقدمات من بينها، بل على أنها آيات اخبارية يجب
الإيمان بما اشتملت عليه من غير أن يتخذ مضمونها مقسمة
للاستنباط العقلي.

والقسم الرابع: يؤمن بالقرآن - عقائده وأدلته - ولكنه يستعين
بالأدلة العقلية بجوار الأدلة القرآنية^(١).

(١) أصل النص من رسالة «معارض الوصول» لـ «ابن تيمية»، وورد في كتاب
تاريخ المذاهب الإسلامية ص (٢٢٦ - ٢٢٧).

وبعد هذا التقسيم قرر «ابن تيمية» أن منهاج السلف ليس واحداً من هذه الأربعة ، بل هو غيرها ، لأن العقائد لا تؤخذ إلا من النصوص ، ولا تؤخذ أدلتها أيضاً إلا من النصوص ، فهو لا يؤمنون بالعقل لأنه ، يضل ، ولكن يؤمنون بالنص وبالأدلة التي يوصي إليها النص ، لأنه وحى أوحى به إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - ويقررون أن تلك الأساليب العقلية مستحدثة في الإسلام ، ولم تكن معروف قطعا عند الصحابة والتابعين ، فإذا قلنا أنها ضرورية لفهم العقائد فتؤدى ذلك أن هؤلاء السلف ما كانوا يفهمون العقائد على وجهها ، ولا يدركون على الوجه الأكمل أدلتها .

لاشك أن السلف كما كتب «ابن تيمية» ومثلهما قرأنا سابقا في نصوص كتاب «ذم الكلام» ، مخالفون عن الاشتغال في المسائل العويصة الكلامية ، لكن مع هذا جاء كثير من علماء الإسلام فشددوا النكير على هذا الرأي .

كتب «سعد الدين التفتازانى» (١) في كتابه «شرح العقائد النسفية» ما يأتى : «اعلم أن الأحكام الشرعية منها ما يتعلق بكيفية العمل ، وتسمى فرعية وعملية ، ومنها ما يتعلق بالاعتقاد ، وتسمى أصلية واعتقادية ، والعلم المتعلق بالأولى يسمى علم الشرائع والأحكام ، لما أنها لا تستفاد إلا من جهة الشرع ولا يسبق الفهم عند إطلاق الأحكام إلا إليها ، وبالثانية علم التوحيد ، والصفات لما أن ذلك أشهر مباحثه وأشرف

(١) سعد الدين التفتازانى . هو سعد الدين مسعود بن عمر التفتازانى - وقد ولد في صفر سنة (٥٧٢٢ - ١٣٢٢ م) في تفتازان من قرى «خراسان» ، تلقى العلم على «الايحيى» و «قطب الدين الرازى» ، وتوفي في سمرقند «فيما بين سنتي (٧٩١ و ٥٧٩٧ وسنتي ١٣٨٩ و ١٣٩٥ م) .

مقاصده ، وقد كان الأوائل من الصحابة والتابعين - رضوان الله عليهم أجمعين - لصفاء عقائدهم بركة صحبة النبي - عليه السلام - وقرب العهد بزمانه ، ولقلة الوقائع والاختلافات وتمكنهم من المراجعة إلى الثقات مستغنين عن تدوين العليين وترتيبهما أبوابا وفصولا وتقرير مباحثهما فروعا وأصولا إلى أن حدثت الفتن بين المسلمين ، وغلب البغي على أئمة الدين ، وظهر اختلاف الآراء والميل إلى البدع والأهواء ، وكثرت الفتاوى والواقعات والرجوع إلى العلماء في المهمات ، فاشتغلوا بالنظر والاستدلال والاجتهاد والاستنباط ، وتمهد القواعد والأصول ، وترتيب الأبواب والفصول ، وتكثير المسائل بأدلتها ، وإيراد الشبه بأجوبتها ، وتعيين الأوضاع والاصطلاحات ، وتبين المذاهب والاختلافات ، وسما ما يفيد معرفة الأحكام العلية عن أدلتها التفصيلية بالفقه ، ومعرفة العقائد عن أدلتها بالكلام . . .

وهذا هو كلام القدماء ، ثم لما فقلت الفلسفة إلى العربية ، وخاض فيها الإسلاميون حاولوا الرد على الفلاسفة فيما خالفوا فيه الشريعة فخلطوا بالكلام كثيرا من الفلسفة ليتحققوا مقاصدها فيتمسكوا من إبطائها ، وهلم جرا ، إلى أن أدرجوا فيه معظم الطبيعيات والإلهيات ، وخاضوا في الرياضيات حتى كاد لا يتميز عن الفلسفة لولا اشتماله على السمعيات ، وهذا هو كلام المتأخرين .

وبالجملة هو أشرف العلوم لكونه أساس الأحكام الشرعية ، ورئيس العلوم الدينية ، وكون معلوماته العقائد الإسلامية ، وغايته الفوز بالسعادة الدينية والدينية ، وبراهينه الحجج القطعية المؤيدة أكثرها بالأدلة السمعية ، وما نقل عن بعض السلف من الطعن فيه والمنع عنه فإنما هو التعتصب في الدين والقاصر عن تحصيل اليقين ، والقاصد إفساد عقائد

المسلمين والخائض فيما لا يفتقر إليه من غوامض المتفلسفين ، وإلا فكيف يتصور المنع عما هو أصل الواجبات وأساس المشروعات ؟ (١) .

يثبت مما كتب « سعد الدين التفتازاني ، ضرورة الاشتغال بعلم الكلام ، ويؤيد ضرورة الاشتغال بعلم الكلام ما ذكره « الغزالي ، من المباحثة التي دارت بين « أحمد بن حنبل ، و « الحارث المحاسبي ، (٢) وهي ما يأتي : أنكر « أحمد بن حنبل ، « علي ، الحارث المحاسبي تصنيفه في الرد على المعتزلة ، فقال الحارث : « الرد على البدعة فرض ، ، فقال أحمد : « نعم ، ولكن حكيت شبهتهم أولا ، ثم أجبت عنها ، فهم تأمن أن يطالع الشبهة من يعلق ذلك بفهمه ولا يلتفت إلى الجواب أو ينظر إلى الجواب ولا يفهم كنهه ؟ ، ثم علق « الغزالي ، على رأي « أحمد ، فقال : « وما ذكره « أحمد ، حق ، ولكن في شبهة لم تشر ولم تشهر ، فأما إذا انتشرت فالجواب عنها واجب ، ولا يمكن الجواب عنها إلا بعد الحكاية ، (٣) .

(١) من كتاب « شرح العقائد النسفية ، ص (٧ - ١٤) ،

(٢) قال « القشيري ، في حق « الحارث المحاسبي ، : « عديم النظر في زمانه علما وورعا ومعاملة وحالا ، بصرى الأصل مات ب « بغداد ، سنة (ثلاث وأربعين ومائتين) ، وقال « أبو عبد الله بن خفيف ، : « اقتدوا بخمسة من شيوخنا والباقيون سلبوا لهم حالهم . « الحارث بن أسد المحاسبي ، و « الجنيد بن محمد ، ، و « أبي محمد رويم ، ، و « أبي العباس بن عطاء ، ، و « عمر بن عثمان المسكي ، ، لأنهم جمعوا بين العلم والحقائق ، وما روى عنه قوله : « من صحح باطنه بالمراقبة والاخلاص زين الله ظاهره بالمجاهدة واتباع السنة ، ، وقد ألف كتباً كثيرة ، ويوجد بعضها مخطوطات في « دار الكتب المصرية ، ، وفي مكتبة « الجامعة العربية ، وأنفس ما يعرف من كتبه « كتاب الرعاية لحقوق الله ، ، وقد طبعته الآنسة « مرجريت سميث ، وقد طبع له كتاب « التوهم ، بالقاهرة .

(٣) من كتاب « المنقذ من الضلال لحجة الاسلام الغزالي ، ص (٥٠ - ٥١) .

قال الغزالي، (١) في حق مقصود علم الكلام ما يأتي : « وإنما مقصوده : حفظ عقيدة أهل السنة « وحراستها عن تشويش أهل البدعة ، فقد ألقى الله - تعالى - إلى عبادته على لسان رسوله عقيدة هي الحق على ما فيه صلاح دينهم ودنياهم ، كما نطق بمعرفته القرآن الكريم والأخبار ، ثم ألقى الشيطان في وساوس المبتدعة أموراً مخالفة للسنة ، فلم يجروا بها ، وكادوا يشوشون عقيدة الحق على أهلها ، فأنشأ الله - تعالى - طائفة المتكلمين ، وحرك دواعيهم لنصرة السنة بكلام مرتب يكشف عن تلبسات أهل البدعة المحدثّة على خلاف السنة الماثورة ، فنه نشأ الكلام وأهله ، فلقد قامت طائفة منهم بما ندهبهم الله - تعالى - إليه فأحسنوا الذب عن السنة والنضال عن العقيدة بالقبول من النبوة والتغيير في وجه ما أحدث من البدعة ، (٢)

يتبين لنا منه أن الغزالي ، لم يكن مخالفا لعلم الكلام حتى أنه مع شدته في الرد على الفلاسفة ومعاداة الفلسفة لم يبلغ في ذلك مبلغ من أن يرد الفلسفة جملة ويحرم الاشتغال بها من غير تفصيل ، وهو يذكر في كتابه « تهافت الفلاسفة » : « أن الخلاف بينهم وبين غيرهم من الفرق ثلاثة أقسام : قسم يرجع النزاع فيه إلى اللفظ ، وقسم لا يصدم مذهبهم فيه أصلا من أصول الدين ، والقسم الثالث ما يتعلق النزاع فيه بأصل من أصول الدين كالقول في حدوث العالم ، وصفات الصانع ، وبيان حشر الأجساد والأبدان ، ثم قال « فهذا الغش ونظائره هو الذي ينبغي

(١) ولد أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي سنة (٤٥٠ هـ) في « طوس » - إحدى مدن « خراسان » ، وتوفي في « طوس » ، في الرابع عشر من جمادى الثانية - سنة (٥٠٥ هـ) .

(٢) من كتاب « المنقذ من الضلال » ، ص (١٩ - ٢٣) ..

أن يظهر فساد مذهبهم فيه دون ما عداه^(١).
وقد حكى الغزالي، عن نفسه وقال: «ولم أزل في عنفوان شباني
— منذ راهقت البلوغ قبل بلوغ العشرين إلى الآن، وقد أناف السن
على الحسين — أقتحم لجة هذا البحر العميق، وأخوض غمرته خوض
الجسور لاخوض الجبان الحذور، وأتوغل في كل فرقة، واستكشف
أسرار مذهب كل طائفة؛ لأميز بين محق ومبطل، ومتسن ومبتدع،
لاأغادر باطنيا إلا وأحب أن أطلع على بطائنه، ولا ظاهريا إلا وأريد
أن أعلم حاصل ظهارته، ولا فلسفيا إلا وأقصّد الوقوف على كنه
فلسفته، ولا متكلميا إلا وأجتهد في الاطلاع على غاية كلامه ومجادلته،
ولا صوفيا إلا وأحرص على العثور على سر صفوته، ولا متعبدا
إلا وأترصد ما يرجع إليه حاصل عبادته، ولا زنديقا معطلا إلا وأتحسس
وراه للتنبية لأسباب جرأته في تعطيله وزندقته.

وقد كان التعطش إلى درك حقائق الأمور دأبي وديدني — من أول
أمرى وريعان عمرى — غريزة وفطرة من الله وضعتا في جبلي،
لا باختيارى وحيلى حتى انحلت عني رابطة التقليد، وانكسرت على
العقائد الموروثة — على قرب عهد من الصبا^(٢).

وما يناسب أن أذكره وألفت نظر القارئ الكرام هو أنى منذ
ست وعشرين سنة أقرأ كتب المنطق والفلسفة والكلام والتصوف،
وبجانبها كتب التفسير والأحاديث والفقه والأصول، وأنظر فيما جاء
في هذه الكتب، وقد بحثت كثيرا في المسائل العويصة مع الأساتذة

(١) من كتاب «تهافت الفلاسفة»، ص (٧٧ - ٧٩) طبع دار المعارف بمصر.

(٢) من كتاب «المنقذ من الضلال»، ص (١٢ - ١٣) طبع مكتبة

الأنجلو المصرية.

العظماء إلى درجة أني كلما أقرأ كتاب «الإشارات» و «التلخيصات» لـ «ابن سينا» والشروح المكتوبة عليه ، وكتاب «شرح المواقف» وشروحه أجد لذة من قرائتها ومن الدقة فيها ، فهذا الحب واللذة هيبنى إلى أني كنت أدرس كتاب شرح المواقف ، وشرح شرح المواقف ، والكتب الكثيرة الأخرى مثل شرح «العقائد النسفية» ، و «الحيالي» ، مرارا وألفت كتابا في العقائد موضوعه . «إثبات الله وصفاته بالدلائل العقلية» ، ومسألة القضاء والقدر ، والحاجة إلى الأديان السماوية بالدلائل العقلية والضرورية ، والحاجة إلى إرسال الرسل بالأدلة المنطقية ، وأقر بأن كثيرا ما شغفني حب هذه العلوم ولكن حينما قرأت كتب الغزالي خصوصا كتابه «تهافت الفلاسفة» ، حصل عندي الشك فيما يتعلق بالفلسفة والمنطق كثيرا وبعلم الكلام في بعض المباحث .

ثم حينما قرأت «تهافت التهافت» لـ «ابن رشد» ، أدهشني ، فهذا الشك والدهشة دفعاني إلى أن أقرأ هذين الكتابين مرارا بكمال الدقة حتى وصلت بفضل من الله - تعالى - إلى النتيجة وهي : «أن الباعث على أن يكتب» ، «الغزالي» ، كتاب «تهافت الفلاسفة» ، حماية دين الإسلام من تلاعب بعض الفلاسفة بالآراء السماوية والإسلامية ، فهو بتأييد من الله - تعالى - استطاع أن يكسر شأن الفلاسفة الذين اتبعهم أكثر الناس . كما قال «الغزالي» في كتابه «تهافت الفلاسفة» : إنما مصدر كفرهم سماعهم أسماء هائلة كسقراط (١) ، و «بقراط» (٢) ، و «أفلاطون» (٣) .

(١) فيلسوف يوناني ولد عام (٤٧٠ ق - م ٠) .

(٢) هو يمد أبو الطب القديم ولد عام (٤٦٠ ق - م ٠) .

(٣) فيلسوف يوناني ولد بأثينا فيما يرجع بين سنتي (٤٢٩ ، ٤٣٧ ق - م ٠) .

و «أرسطو طاليس» (١)، و «أمثالهم» (٢) من غير التدقيق فيما قالوا، وقد ثبت عندى أن «الغزالي» قد قدم للإسلام والمسلمين خدمة عظيمة، وإن آراءه ودلائله في الرد على الفلاسفة آراء تصدر من فكره الصافي ومعلوماته الواسعة ودقته العميقة في البحث عن الحقائق، وابن رشد وإن كان لا ينبغي لي أن أنكر من علمه وفضله شيئاً لكنه لا شك أنه انحرف في بعض ما كتب في كتابه «تهافت التهافت» عن الحق (٣).

وباليت واحداً من العلماء المحققين يقوم بالمقارنة العميقة بين آراء «الغزالي» وآراء «ابن رشد» ثم يكتب على «تهافت التهافت» له «ابن رشد» كتاباً يسميه كتاب «تهافت تهافت التهافت»، ويشرح بالدلائل أخطاء «ابن رشد» في تهافته، لعل بعض من يتحمس له «ابن رشد» يسخر من هذا الاقتراح، لكن أنا أقول: إن قول «ابن رشد» ليس هو قولاً أخيراً في العلم، إذ قد ثبت أن العلم لا يقبل الكلمة الأخيرة عند الناس.

هذا هو حاصل الانطباع الذي حصل عندى من مطالعة كتب «الغزالي» و «ابن رشد»، ثم لما قرأت الآراء الكلامية عموماً، وقارنتها بآراء السلف الصالحين، وقرأت آراء شيخ الإسلام «عبد الله الأنصارى»، وما ورد في كتابه «ذم الكلام وأهله»، وأمعنت النظر فيها وقع بين أفكرى التضارب الشديد، وحصل عندى بعض الاشتباهات والشكوك

(١) فيلسوف يونانى ولد بأسطاجيرا عام (٣٨٤ ق ٠).

(٢) من كتاب «تهافت الفلاسفة» للغزالي، ص (٧٢).

(٣) وقد ثبت عندى أن الغزالي رد على الفلاسفة معتقداً بأن العقل لا يستطيع الوصول إلى كنهه حقائق ما وراء الطبيعة وأن ابن رشد مع أنه رد على الغزالي وايد الفلاسفة إلا أنه لم يستطع الوصول إلى كنهه هذه الحقائق.

والتردد، فجلست في بيتي ثمانية أشهر قرأت فيها كثيراً من كتب الفلسفة والكلام وفكرت ليلاً ونهاراً في كثير من المعضلات الفلسفية والكلامية، وفي الأسباب التي دفعت السلف والخلف إلى الاختلاف فيما دار بينهم خصوصاً حول علم الكلام بجوازه ومنعه، وكثيراً ما طلبت المعاونة من الله - جل جلاله - في الوصول إلى الحق حتى أتى وصلت بعد كثرة المطالعة والدقة في الآراء الكلامية لـ «شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري»، وغيره إلى الحل الآتي :

«حل مشكلة البحث في الآراء الكلامية عندى» :

لما قرأت آراء «شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري» التي تتعلق بالكلام وقارنتها بالآراء الكلامية الموجودة في عصره وصلت إلى النتيجة الآتية : وهي أن «شيخ الإسلام»، أوجب الانقياد والتسليم في المسائل الاعتقادية والمسائل التي فوق عقل البشر لما جاء في الكتاب والسنة، فهو لا يرضى أن يزيد بالعقل شيئاً ما على النص، ولا أن يأخذ من العقل عملاً غير توضيح ما جاء في النص؛ لأن العقل قاصر عما هو خارج عن دائرة النص، فلا يعتمد على العقل في الوصول إلى الأسرار الاعتقادية، ولا إلى أسرار المسائل التي فوق طاقة عقل البشر.

لا شك أن هذا المنهج سليم وخال من الخطأ والزلل، إذ قد أيده السلف، أما في المسائل الفرعية فقد ثبت أن الأدلة عند «شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري» عبارة عن الكتاب، والسنة، والإجماع، والقياس، فهو أولاً يثبت المدعى بالكتاب، فإذا لم يوجد لها الأساس في الكتاب، فقد يثبتها بالسنة، ثم بالإجماع، ثم بالقياس بأركانها وشرائطه المحدودة عند الأئمة. لكن هو يرجع الأركان والشرائط للإمام «أحمد»، والإمام

الشافعي ، ، وقد ثبت عند شيخ الإسلام ، أن أكثر الاختلافات التي جاءت من الشيعة ، والخوارج ، والمعتزلة ، والأشاعرة ، والماتريدية ، وأيضاً أكثر المحاولات التي نشأت من علماء المسلمين في إثبات المسائل الاعتقادية والمسائل التي فوق علم البشر ، وأكثر التأويلات التي صدرت منهم بالعقل والفلسفة كل هذا انحرافات عن الصراط المستقيم وخروج عن الدائرة المحدودة في الشرع المبين .

فإن قيل : إذا وجد شخص يكون مخالفاً للإسلام والأديان السماوية فهو طبعاً لا يقبل الدلائل النقلية التي جاءت في إثبات الله - تعالى - وصفاته ، وما جاء في القضاء والقدر والاختبار عن المغيبات ، فكيف يستطيع علماء المسلمين اقناعه ومنع انتشار تضليلاته ؟ .

أقول في الجواب إن ما جاء في النص من الدلائل المعقولة لاقتناع الخصم كفاية ؛ إذ لا يستطيع أحد أن يجيء بدلائل معقولة أخرى تكون أحسن من الدلائل المعقولة التي جاءت في القرآن الكريم ، والأحاديث النبوية ، وأقوال الصحابة ، فمن لا يقنع بتلك الدلائل لا يمكن أن يقنع بآلاف من الدلائل الأخرى ، فإذاً يلزم لاقتناع الخصم الذي لا يقبل الدلائل النقلية أن لا نقول له قال الله - تعالى - كذا أو قال الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، بل ينبغي أن نشرح له أصل الدلائل المعقولة التي جاءت في النص ، ونقرب بها إلى ذهنه . فمثلاً نأخذ بمفهوم الدليل الذي جاء في آية « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » ، وكذا مفهوم الاستدلالات القوية الرائعة الكثيرة الأخرى لإثبات الله - تعالى - وصفاته ، وهذا النوع من الشرح والتوضيح والنهج المعقول لفهم الدلائل المنصوصة لا يخالفه أئمة المسلمين :

من أمثال الإمام «أبي حنيفة»، والإمام «مالك»، والإمام
«الشافعي»، والإمام «أحمد بن حنبل»، وكذلك لا يخالف هذا المنهج
«الغزالي»، و«ابن تيمية»، وغيرهم من علماء المسلمين»

فإن قيل . إن القرآن الكريم يهتم بالتعقل والتدبر، ومن يقرأ القرآن
الكريم يجد فيه كثيراً «أفلا تعقلون»، «أفلا يتدبرون»، وأن النظر
إلى الكون، وإلى ما في الكون من الآيات والدلائل هو من المبادئ
والأسس التي يهدي الله — جل شأنه به الناس، فإذا يلزم علينا أن
نبحث بالدلائل العقلية الأخرى لإثبات المسائل الاعتقادية غير ما جاء
في النص .

أقول في الجواب . التعقل والتدبر في الدلائل المعقولة التي جاءت
في النص أحسن طريق لاقتناع الخصم، وقد ثبت أن كل تدبر، وتعقل
إذا لم يكن مخالفاً للنصوص، بل يكون مؤيداً لها هو أيضاً عمل
بالنصوص، لكن يلزم أن يكون البحث والدقة في الدلائل المعقولة
بنحو لا يخرج عن حد الاعتدال، وبحيث لا يقضي إلى زعزعة العقائد
خصوصاً لعامة الناس، إذ لا يمكن أن يصل أحد إلى كنه الله —
تعالى — وأن جميع ما جاء من الاستدلالات هي استدلالات من المعول
على العلة، وأيضاً لا يمكن أن نعرف حقيقة القضاء والقدر حق المعرفة
خارج حدود النص .

وقد ثبت عندى أن أئمة الإسلام وعلماءه الذين اشتهروا بمخالفتهم
لعلم الكلام لم يكونوا مخالفين في أن يقنع علماء المسلمين خصومهم في
المسائل الاعتقادية بالدلائل المعقولة، إلا أنهم فكروا وتعمقوا، فعرفوا
أن أحسن الطرق لاقتناع الخصم هو توضيح الدلائل المعقولة التي جاءت
م ١٥ — الصوف الكبير

فى النص لإثبات المسائل الاعتقادية ، لأن الخروج عن هذه الدائرة
يفضى إلى ضياع الوقت ، ويتسبب فى زعزعة العقائد ، ويؤدى
إلى الإلحاد... .

فإن قيل هل يجوز لعلماء المسلمين أن يعرفوا الردود المضللة
للمخالفين أم لا ؟ ولو قلنا : نعم فحينئذ يكون هذا العمل خروجاً عن
دائرة الدلائل المنصوصة ، ولو قلنا : لا ، فكيف يستطيع علماء المسلمين
إقناع الخصوم ودفع تضليلاتهم ؟ .

أقول فى الجواب : نعم ، لكن ليس التعرف بردود المخالفين
وتضليلاتهم خروجاً عن دائرة الدلائل المنصوصة ، بل لأجل الدفاع عن
الدلائل المنصوصة ، ولأجل أن يتعرف علماء المسلمين على تضليلات
المخالفين ؛ لكي يردوها بالدلائل المعقولة الثابتة التى جاءت فى النص ،
وهذا مما لا يخالفه أئمة المسلمين من القدماء والمتأخرين .

ومما يلزم ذكره هو أن طريق الاستفادة من الدلائل المعقولة التى
جاءت فى النصوص يمكن أن يتغير ويتجدد فى الأزمان والظروف
والشرائط بحيث لا يتغير الأصل الثابت فى النص ، فهذا النوع من
التجدد والتغير فى الحقيقة هو التجدد فى طريق الاستفادة والمنهج ،
وليس هو تغيراً وتجدداً فى أصل الدلائل المنصوصة المعقولة الثابتة ،
فيجوز لعلماء المسلمين أن يكلموا الناس ، على قدر عقولهم ، وأن يعبروا
بأسلوب يصلون به لما يرام بحيث يتسبب فى تحكيم عقائد المسلمين ،
ويرد به شبهات المضللين والمخربين وهذا هو ما اتفق عليه أئمة المسلمين .

أما التوغل فى المسائل الكلامية ، والمحاولة الفاشلة فى الوصول

إلى كنهه ما وراء الطبيعة (الميتافيزيقية) ، والاشتغال بمباحث ما قيل وقلنا من الشبه . والأجوبة المتوهمة . والخيالية فهذا لا شك يتسبب في ضياع الوقت وزعزعة العقائد ، ويتولد منه الأخطار الخطيرة ، ولو سلمنا أنه تدريب لتقوية الأذهان وتهيؤ للمدافعة عن الإسلام ، فنقول أولا التدريب والتهيؤ الذى يحصل من الآيات والأحاديث لا يساويه تدريب ولا تهيؤ آخر ، وثانيا نقر بجوازه لكن لا بدرجة التوغل ، ولا لجميع المسلمين ، ولكل علماء المسلمين بل بقدر الضرورة للعلماء الذين عندهم قوة الذكاء والخبرة والإيمان .

ومما يلزم أن أذكر هو أنه حصل عندى من كثرة التفكير ، والبحث ، والدقة في هذا المجال أفكار متنوعة مبهجة أخرى ، ألخصها في الأسئلة والأجوبة الآتية : -

الأسئلة :

- ١ - هل العقل يستطيع أن يصل إلى كل الحقائق أولا ؟
- ٢ - هل التسليم والانقياد ضرورى في الإسلام أولا ؟ فلو كان ضروريا فإلى أى درجة ؟
- ٣ - هل المباحثات والاختلافات التى جاءت في علم الكلام يوجد لها جواز في الشرع أولا ؟ .
- ٤ - هل نحتاج في عصرنا الحاضر إلى أن يكون في ضمن علماء الإسلام علماء لهم قوة الإيمان والعقيدة فيفهموا كتب الفلسفة ، والمنطق ، والكلام حتى يكونوا كالحارسين ليحفظوا الدين الإسلامى من زيغ الزائغين ؟ .

٥- كيف وبأى طريق نستطيع أن نفهم الناس أنهم محتاجون في حياتهم ومعادهم إلى مبادئ الإسلام؟.

الجواب على هذه الأسئلة وإن كان يحتاج إلى الدقة والبحث العميق لكن مع هذا أستعين بالله - عز وجل - ، وأقول في الجواب ما يأتي :-

١- العقل كما جربناه لا يستطيع أن يصل إلى كل الحقائق ، ومن ثم نرى الاختلاف والتناقض في الآراء والأفكار كثيرا ، ونرى تغير إحساس المصالح الخاصة والعامة بتحول الأسباب وتطور موجبات العصور والأزمنة ، والسر الأصلي في هذا هو أن العقل لأجل ارتباطه وتعلقه بالماديات لا يمكن أن يخلص من العوارض المادية وظلماتها ، فبرحمة من الله - تعالى - جاء الأنبياء والرسل ؛ لكي يكشفوا الحقائق عن الأسرار المادية ، ويعلموا الناس مصالحهم الدينية والدينية ، فإذا ثبت أنه يجوز للعقل النشاط وله حق التصرف . لكن في إدارة الماديات الدنيوية ، وتحت توجيهات الأنبياء والرسل ، وأما الخارج عن هذه الإدارة والتوجيه ، فلا يمكن أن يصل العقل إلى الحقائق الميتافيزيقية ، فإذا المحاولة للوصول إلى الحقائق الميتافيزيقية ، كما صدر عن الفلاسفة الكبار ليس إلا محاولة في إطار خارج المقدور والضياح الوقت ، وقد ثبت أنهم حتى الآن لم يصلوا ولن يصلوا إلى كنه ما به السكون ، فإذا يازم على العقلاء أن يحددوا تصرفات العقل في داخل دائرة قدرته ، لكي يستريح الناس ، ويطمئنوا ، وتزيد المصالح المدنية .

٢ - بعد أن سلمنا أن العقل لا يستطيع أن يصل إلى كل الحقائق وأثبتنا احتياج الناس إلى تعليمات الأنبياء والرسل إجمالا يلزم علينا

التسليم والانقياد في المسائل التي لا يمكن أن تصل إليها عقولنا مثل مسألة كنهه الله - تعالى - وصفاته ، والملائكة ، والقضاء ، والقدر ، والقيامة ، والجنة ، والنار ، والروح ، والمتشابه ، ففي هذه المسائل لا حاجة إلى البحث فيها خارج حدود الشريعة ؛ لأن البحث فيها لا يؤدي إلى الوصول إلى آخر درجتها ولا يأتي بشمرة ، بل كلما يزيد البحث خارج الحدود يزيد الإشتباه والخطأ ، ومن ثم نرى الآراء التي جاءت خارج حدود الشريعة متناقضة ومتصادمة ، فثبت عندى أن أسلم الطرق هو طريق السلف والطريق الذى اختاره شيخ الإسلام ، عبد الله الأنصارى ، وهو التسليم لما جاء فى الكتاب والسنة ؛ إذ لا يمكن لأحد أن يأتي بأحسن مما أتى به الله والرسول ، فإذا أسلم الطرق طريق السلف الصالح ، هو أن لا نعطي للعقل سلطانا فى تأويل القرآن وتفسيره أو تخريجه إلا بالقدر الذى تؤدي إليه العبارات وما تضافرت عليه الأخبار ، وإذا كان للعقل سلطان بعد ذلك فهو فى التصديق والإذعان ، وبيان تقريب المنقول من المعقول وعدم المنافرة بينهما ، فالعقل يكون شاهدا ولا يكون حاكما ، ويكون مقررأ مؤيدا ولا يكون ناقضا ولا رافضا ، ويكون موضحاً لما اشتمل عليه القرآن والسنة من الأدلة .

٣ - نعم لها جواز إذا لم تخالف النص إذ قد تحقق عندى أن شيخ الإسلام ، عبد الله الأنصارى ، والسلف لا ينكرون المباحث الكلامية داخل الحدود ، ولا يريدون تعطيل العقل عن نشاطه داخل إطاره ، بل ينكرون البحث فى المسائل الاعتقادية خارج حدود الشريعة وإطارها بحيث يضيع الوقت ويوشوش الأذهان ، فإذا لا مانع من أن نشرح ونبين ما جاء فى الكتاب والسنة من الدلائل والآيات الدالة

على وجود الله ، وقدرته ، وعظمته ، وتزييه ، وسائر أوصافه ، وصدق رسوله بالعقل ، وأن نبحت في معجزة الرسول ونستدل بحقيقتها وواقعيتها فنقربها إلى عقول الناس ، وهكذا البحث في المسائل الكلامية الأخرى فهذا النوع من البحث له جواز في الشرع ولم ينكره السلف ولا شيخ الإسلام . عبد الله الأنصاري ، ، فيصح أن نقول : ليس لكل ما جاء في علم الكلام الجواز في الشريعة ، لأن في بعض مباحث علم الكلام خروجاً عن حد الاعتدال وعمّا يقدر عليه عقل البشر ، وضياح للوقت ، وموجب لإيقاع المسلمين في الاختلافات والفتن ، كما أنه ثبت عند المحققين والمخلصين من علماء الإسلام أن أيادي الاستعمار والمؤامرات السياسية وأغراض المستغلين أيدت أكثر تلك المباحثات والاختلافات الجافة بين المسلمين ، ولا شك أنه ثبت أن هذا النوع من الاختلافات والمناقشات من جملة الأسباب التي أدت إلى تأخر المسلمين والشرقيين في المدنية .

٤ - قد تحقق عندي أن عامة المسلمين تكفي لهم العقيدة الإسلامية الأصلية ، وبعد صحة العقيدة يلزم عليهم القيام بالفرائض والواجبات والأوامر والنواهي ، ثم حسن المعاملة والنشاط والإخلاص في خدمة الاجتماع كما هي هي ؛ لكي ترتقي بلاد الإسلام ، ويقوى المسلمون ، ويسد احتياجات الناس ، وتحل مشكلاتهم ، نعم : على المسلمين أن يخلصوا البشر مما أنزل بهم قساة القلوب من الشدة والبأس والاختلاف ، ويمنعوا الظلم والاستغلال واتلاف حقوق الإنسانية ، هذا بالنسبة لعامة المسلمين أما خاصة المسلمين أي العلماء الذين لهم قوة الإيمان والعقيدة فيلزم عليهم فوق ما يلزم عليهم من أداء الفرائض والواجبات ، والأوامر والنواهي أن يحفظوا عقائد المسلمين من الزلل ، وأن يوجهوا عامة الناس إلى ما فيه منافعهم

الدفوية والدينية ، فإذا يلزم أن يكون فيهم من يفهمون كتب الفلسفة والمنطق والكلام بالدقة ، حتى يكونوا كالحارسين يحفظون دين الإسلام من زيغ الزائغين ؛ لأن أعداء الإسلام يحاولون أن يزلزوا عقائد المسلمين وأفكارهم بدينهم ، وأن كثيراً من السفهاء يدهشهم أن يسمعوا أن هذا رأى فلان من الفلاسفة والمناطق وأهل الكلام المشهورين ، فيقلدونهم فوراً تقليد العمياء من غير تحليل وتدقيق ، فلو كان في علماء المسلمين من يفهم أساليبهم ويستطيع أن يرد آراء المخالفين ، ويقنع المسلمين بصدق دينهم ، فلا شك أن هذا يكون خدمة عظيمة للإسلام والمسلمين ، كما أن الأستاذ الإمام الكبير « مصطفى عبد الرزاق » ، باشا أورد في كتابه « تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية » النص الآتي :

« إن من رسخ قواعد الشريعة في قلبه ، وامتلأ قلبه من عظمة هذا النبي الكريم وشريعته ، وتأيد دينه بحفظ الكتاب والسنة ، وقوى مذهبه في الفروع يحل له النظر في علوم الفلسفة لكن بشرطين :

أحدهما : أن لا يتجاوز مسائلهم المخالفة للشريعة ، وإن تجاوزها فإنما يطالعهما للرد لا لغيره .

وثانيهما : أن لا يمزج كلامهم بكلام علماء الإسلام ، ولقد حصل ضرر عظيم على المسلمين من هذه الجهة لعدم قدرتهم على تمييز الجيد من الرديء ، وربما يستدلون بإيرادها في كتب الكلام على صحتها (١) .

هـ - قد تحقق عندي أن الطريق الوحيد لإفهام الناس بأنهم

(١) من كتاب « تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية » ، ص (٨٧) الطبعة الثانية من لجنة التأليف ، والترجمة ، والنشر في القاهرة .

يحتاجون إلى مبادئ الإسلام أن يكون في المسلمين أهل القلوب الصافية ومن لهم معرفة قوية بأسرار المسائل الدينية بعقائدها وأعمالها، ولهم رابطة قلبية مع الله - تعالى - ورسوله - ودينه ، ولهم بجانب العلم العمل ، ويكون غايتهم القصوى في الحياة الإطاعة لما أمر الله - تعالى - ونهى والخدمة لما في دين الإسلام ، وغاية غايتهم تكميل رسالة الحياة على أحسن وجه ، وحصول رضى الله - تعالى - ، وإذا وجد هذا النوع من العناصر فهم يستطيعون أن يجمعوا أشات المسلمين ، فيتفق المسلمون وعلماءهم في المشارق والمغارب لتأييد دينهم وتلقين مبادئ الإسلام كما هي هي نعم : من كان عنده صدق الإيمان ، وحسن النية ، وخلوص العبادة والمعاملة ، ويتق الله - تعالى - ويطلب رضاه - يستطيع أن يحفظ الإسلام والمسلمين من زيغ الزائغين ودسائس المؤامرين من المكفرة والمبتدعة بعون الله - تعالى - ، ويستطيع أن يفهم الناس بأنهم يحتاجون في إمرار الحياة الطيبة أشد الاحتياج إلى أن يطبقوا مبادئ دين الإسلام ، وأنا في كثير من الأوقات أفكر أنه يلزم على المدارس والجامعات الإسلامية ، وعلى من كان بيده زمام المسلمين ويدعى زعامة الإسلام أن يهيئ لاجتماعات المسلمين هذا النوع من العناصر الطيبة والرجال الصالحاء بالتدريبات الإسلامية الخاصة .

تصوف ، عبد الله الأنصارى ، وحياته الروحية

قد ثبت أن شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى ، بعد أن قام بالدراسات العميقة في الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح حصل عنده اليقين بأن دين الإسلام عبارة عن الشريعة والحقيقة وأن الحقيقة أساسها الشريعة ، وجاءت الشريعة لأجل أن توصل الناس إلى الحقيقة ، ثم علم أن الأحكام الشرعية هي الوسيلة الوحيدة للوصول إلى معرفة الحقائق ، وعرف أن معرفة الحقائق والاطاعة للحق الأول والآخر هي الغاية القصوى للايجاد ، كما قال الله - تعالى - : وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ، (أى يعرفون) ، فعلى هذا اهتم شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى ، بالشريعة والحقيقة اهتماماً بالغاً ، وبدأ فى تلقيناته وحلقات تدريسه يوجه الناس إلى الحياة الروحية ، ويفهمهم بحقيقة التصوف طبقاً لما جاء فى الكتاب والسنة والآثار .

وبما يلزم أن أذكره أن الهدف الأساسى لجميع الأديان السماوية ، والغرض الأصلى من محاولات الأنبياء والرسل هو معرفة الحق وأن يكشف للناس عما يوصلهم إلى الفلاح فى الدنيا والآخرة ، فالرسل والأنبياء لصفاء قلوبهم بأنوار الله - تعالى - وصلوا إلى الحق ، ونطقوا بالحق ، وعملوا عملاً يطابق الحق . نعم الأنبياء والرسل كلهم علموا أن الهدف الأصلى من الحياة المعرفة فلحقوا الناس وأفهموهم بأن الغاية الأصلية من الحياة هي المعرفة والاطاعة للحق ، ففى هذا المسير وصلت سلسلة الأنبياء والرسل إلى محمد - صلى الله عليه وسلم - ووصلت سلسلة الأديان السماوية إلى دين الإسلام ، ثم دين الإسلام فى مسيره صعدت أنوار هداياته إلى ذروة الكمال ، كما قال الله - تعالى - : اليوم

أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام ديناً ،
ولو قرأنا جميع ما أنزل وأوحى إلى سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم -
لوجدنا في كلها كشفاً لأسرار المعرفة الحقة ، ووسيلة لتأمين
الحياة الطيبة .

فيا من أراد الدنيا والآخرة ، ويا من يريد معرفة الحق وأسرار
الكون من مبدئها ووجودها وفنائها ومعادها ، ويا من يدعى حماية
الحق وخدمة البشر ، ويا من يبحث عن علم اليقين ، وعين اليقين ،
وحق اليقين ، ويا من يهوى الزهد والعبادة والمعرفة هلبوا إلى دين
الإسلام ؛ لأنه دين فيه سعادة الدنيا والآخرة ، وبه يعرف الحقوق ،
وبه يعلم الإنسان حقائق الكون من أولها إلى آخرها ، وهو دين يرشد
الناس إلى حماية الحقوق ويستطيع الإنسان أن يخدم به الناس حق
الخدمة ، وهو دين العلم والقول والعمل بحيث أن من علمه حق العلم
فقد علم الحق ، ومن قال ونطق به فقد قال ونطق بالصواب ، ومن
عمل به حق العمل يجد فيه خيره وسعادة كافة الناس ، فطوبى لمن علم
ونطق وعمل به ، أولئك هم الفائزون فوزاً عظيماً ؛ لأنهم الذين يعتقدون
بالحق للحق ، ويعملون الخير للخير ، فلا تؤثر على أهدافهم الأغراض
المادية ولا الأغراض النفسية ، ولا يخافون في طريق الوصول إلى الحق
لومة لائم ، وهم الذين يوصفون بأولى العزم والإرادة الحقة القوية في
حياتهم لوصولهم للأهداف السامية ، وهم عناصر الصلاح والفلاح الذين
وقفوا أنفسهم لله وفي الله ، وهم الصوفيون الأبرار والأخيار والأقطاب ،
وأولئك الذين اتقوا ، وأولئك هم المفلحون ، فعلى الناس أن يعرفوا
حياتهم الروحية ويهتدوا بهديهم ويستفيدوا من أنوارهم الربانية ، فما أنذا
أقدم الحياة الروحية لـ «شيخ الإسلام» ، آخذاً عما ورد في آثاره .

منهج تصوف «عبد الله الأنصاري»

أقول قبل أن أشرح تصوف «عبد الله الأنصاري» : قد عرف التصوف بتعريفات كثيرة ، وأحسنها عندي هي : « أنه علم يعرف به رياضة القلب ومجاهدة النفس بحيث تحصل الأذواق وتقبع المشاهدات ، وفي هذه المشاهدات وتلك الأذواق تنكشف الحقائق ، وتعرف الدقائق ، ويعرف الإنسان ربه معرفة يقينية لا يأتها الشك من بين يديها ولا من خلفها ، ويستشعر من معرفته هذه سعادة لا تعادلها سعادة أخرى مهما كانت السعادة حسية أو عقلية . »

روى أنه لما زاد عدد من سمو أنفسهم بالصوفية وانحرفوا عن الاعتدال وزادوا الأباطيل والخرافات والبدع قام الشيوخ المحققون من أهل التصوف بالتبليغ والبيان والتأليف لكي يخلصوا الناس من الضلال ، ويهدوهم إلى طريق الحق ، فبدأ « الشيخ الجنيد ، رحمه الله - تعالى - هذه الحركة من « بغداد ، وأيده « أبو نصر السراج ، وتلميذه « أبو عبد الرحمن السلمي ، وتلميذ السلمي « عبد الكريم القشيري ، ثم « شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري ، في « خراسان . »

وقد تحقق أن « عبد الله الأنصاري ، أخذ تصوفه من الكتاب والسنة وآثار السلف الصالحين ، ونزهه من الخرافات والبدع ، وطبقه على نفسه ، ثم لقنه حق التلقين لتلاميذه ومريديه ؛ لأن التصوف صار في عصره وسيلة للاستغلال ، ودخلت فيه خرافات كثيرة ، فقام هو لتجديده ، وقسمه إلى الآداب الظاهرية والآداب الباطنية .

الآداب الظاهرية للتصوف عند « عبد الله الأنصاري »

قد أُملي « عبد الله الأنصاري » على تلاميذه ومريديه في هذا الباب رسالة باللغة الفارسية التي سميت بـ « المختصر في آداب الصوفية والسالكين لطريق الحق » (١) جاءت فيها المطالب الآتية :

قال « الشيخ الإمام العارف أبو اسماعيل عبد الله الأنصاري » :
« اعلم أن التصوف عبارة عن أربعة أمور : الصفاء ، والوفاء ، والفناء ،
والبقاء ، ويقول « سهل التستري » - رحمه الله تعالى - : « التصوف
الصفاء من الكدر والامتلاء من الفكر والانقطاع إلى الله تعالى
- من البشر » ، ثم قال « شيخ الإسلام » : « واعلم أن لأهل التصوف
آداباً كثيرة في القعود ، والقيام ، والنوم . ولبس اللباس ، والأكل ،
والشرب ، والدعوة ، والسمع ، وفي الحضر ، والسفر ، بل في كل الحالات ،
فكل من لبس الخرقه ، واختار زى المتصوفين يلزمه أن يعرف آدابهم
ويعمل بها ؛ لكي يتجلى ظاهره ببركة رعايته الآداب الظاهرية للتصوف ،
ثم باطنه بحقيقة التصوف كما قالوا من كان له ظاهر مليح كان له باطن صحيح » ،
فيلزم على السالك رعاية الآداب الظاهرية ؛ لكي يكمل باطنه بألوان
الحقيقة ؛ لأن أثر الباطن يتجلى في الظاهر والظاهر دليل على الباطن ،
كما أن الدخان دليل على النار ، والغبار يدل على الهواء ، والتلميذ يروى
عن أستاذه ، ثم قسم الآداب الظاهرية إلى سبعة أنواع : -

(١) توجد هذه الرسالة مطبوعة باللغة الفارسية ، وأيضاً ترجمت في مصر سنة (١٩٦٠ م) إلى العربية ، وطُبعت ، إلا أني لم أعثر عليها فأخذت أصل الرسالة باللغة الفارسية وترجمت منها ما أردت .

١ - آداب لبس الخرقة :

قال شيخ الإسلام ، في آداب لبس الخرقة : أنه يجب على كل من يريد أن يلبس الخرقة أن يلبسها في أول الأمر من يد المرشد الذي يكون موافقا معه في الشريعة والطريقة والحقيقة ، بأن يكون عالما بأصول الشريعة ، وعارفا بآداب الطريقة ، وواقفا على أسرار الحقيقة بحيث أن المرید لو حصلت عنده مشكلة في الشريعة ، فهو يستطيع بعلمه حلها ، ولو وقعت في طريقته واقعة ، فهو يستطيع بمعرفته أن يوضحها ، ولو وجد عنده في الحقيقة سر ، فهو يستطيع ببصيرته أن يكشف السر ، ثم قال شيخ الإسلام : لا يلبس المرید الخرقة من يد أولاد المرشدين الذين اشتهروا بالتصوف من آبائهم ، ولهم الاعتبار عند الناس وعند الملوك وأبناء الدنيا ، ويحترمهم السلاطين لشهرتهم وكثرة متعلقينهم ومريديهم ؛ لأن هذا النوع من الناس لا يليق أن يكونوا مرشدين للتصوف ؛ إذ لا يحصل من صحبتهم إلا الفساد .

(نعم : الولاية ليست بالميراث ، وأولياء الله - تعالى - لا يحبون الشهرة ، والاعتبار عند الناس ولا عند الأمراء وأهل الثراء) .

وقال أيضا : يلزم أن يكون المرشد سنيا ؛ لأن المبتدع لا ولاية له ، فلو رأيت مبتدعا ظهر منه خارق العادة ، فلتحذر ولا تغتر به ؛ لأن ما ظهر منه من الخوارق - حبائل الشيطان وتحاييله ؛ لأن للشيطان شباكا من الحيل يريد أن يضلل الناس بأهل البدع ، فيلزم على صاحب البصيرة أن يحذر من تلك الشباك (الحبائل والحيل) . ومن أعظم ما يغتر به عامة الناس هو زهد المبتدع وصلاته ، إذ هو يعبد ويزهد ليغتر به الناس ، فيقتدوا به . ويتقرب إلى الناس بالحجة ؛ لكي يزرع

في قلوبهم تدريجاً بذر بدعته ، حتى ينحرفوا عن طريق السنة (والصراط المستقيم) ، ولو دقت النظر تجد في عاقبة أمورهم الكفر والضلالة — أعوذ بالله من صحبة أهل البدعة — ، فإذن يلزم أن يلبس المريد خرقة من يد مرشد سني عالم بالشريعة والطريقة والحقيقة .

ثم قال «شيخ الإسلام» : «يلزم من يلبس الخرقة أن يتحمل الصعوبات في الطريقة ، وأن يصبر بالرياضة والمجاهدة ، ولا يرجع عن عزمه وإرادته في التصوف ؛ لأن مرتد الطريقة أقبح من مرتد الشريعة ، حتى أن الصوفيين قالوا : «طلب الحال بعد الزوال محال» ، ثم ذكر تفصيلات أخرى في أنواع لبس الخرقة والمرقعة ، ومن ضمن تفاصيله يظهر أنه أخذ كلمة التصوف من الصوف (١) ، وأن أول من لبس الصوف هو آدم — عليه السلام — وحواء ، وذكر أن موسى عليه السلام كان يلبس أيضاً لباس الصوف وأن لباس الصوف أحسن للباس» .

يظهر مما ذكره «شيخ الإسلام» والمتصوفون الآخرون في حق لبس الخرقة والمرقعة أن لا باعث على لبسها إلا كسر شأن النفس ولأن يستحي الإنسان في لباس الصلحاء ، فلا يرتكب أعمالاً خلاف الشريعة ، ويصمم على القيام بأحسن العبادات والمعاملات ، ويقف حياته في سبيل الله — تعالى — لكي يكمل رسالة حياته على أحسن وجه وإلا فلبس

(١) في كلمة التصوف اختلاف ، هل هي في الأصل أخذت من «صوف» أو «صفة» أو «صفاء» أو «صف» أو كلمة يونانية أخذت من «صوف» بمعنى الحكمة ؟ فن أراد كثرة المعلومات والدقة في تحليل كلمة التصوف فليقرأ كتاب «المنقذ من الضلال» لحجة الإسلام «الغزالي» من ص (٨٥) إلى ص (٩٣) يظهر منه أن الأرجح هو أن كلمة التصوف أخذت من صوف ، .

الخرقة والمرقعة ليس ضروريا في دين الإسلام ، ولم يوجد في الكتاب والسنة التكليف بلبسها ، نعم : يوجد له الأساس بمعنى أن محمداً - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه لبسوا اللباس المرقع . لتعليم الناس بأن لا يضيعوا لباسهم ما دامت تحصل منه الفائدة ، ولا يكلفوا أنفسهم بالحصول على اللباس الجديد الغالي ، كما أن هذا العمل منهم أساس لفلسفة المكفاف وعدم الإسراف والتبذير . لكن لبسهم للباس المرقع ليس مثل لبس اللباس المرقع الذي يلبسه بعض من يدعى التصوف بأن يخطط لباسه من مئات الرقع ، فهذا ليس من أمر الدين وأحكامه ؛ إذ قد ثبت أن الدين قد جاء لليسر لا للعسر ، فأحسن التعبير عن لبس الخرقة هو أنه كان في الأول عادة من العادات وتقليداً من التقاليد في لباس الصالحين والأتقياء ، كما يقلد رهبان المسيحيين آباءهم في تقاليدهم الخاصة . لكن بمرور الزمان قد حصلت التغيرات إلى أن جاء عصرنا الذي نعيش فيه ، فتحول شكل لباس صلحاء المسلمين من لبس الخرقة والمرقعة القديمة من لونه وكفه وكيفه إلى لباس الشيوخ والعلماء بعمامتهم وجبتهم ، ويجدر بي أن أقول في حق العلماء والصالحين إنه يلزم من يلبس لباس الشيوخ وأهل العلم أن يكون باطنه كظاهره بأن لا يعمل عملاً يوقع الناس في الفتنة ؛ إذ ينسب عامة الناس أخطاء رجال الدين إلى الدين نفسه .

ثم أورد شيخ الإسلام ، من التحليلات والإشارات ، فقال ما حاصله الآتي :

إن كلمة «صوف» مركبة من ثلاث أحرف : ص ، و ، ف ، فبالصاد إشارة إلى الصدق ، والصفاء ، والصلابة ، والصبر ، والصلاح ،

والواو إشارة إلى الوفاء ، والوصللة ، والوجد ، والفاء إشارة إلى الفرغ ، والفرج .

وإن كلمة «مرقع» مركبة من أربعة أحرف : م ، ر ، ق ، ع ، فبالميم إشارة إلى المعرفة ، والمحبة ، والمذلة ، وبالراء إشارة إلى الرأفة ، والرحمة ، والرياضة ، والراحة ، وبالقاف إشارة إلى القناعة ، والقربة ، وقوة الحال ، وقول الصدق ، وبالعين إشارة إلى العلم ، والعشق ، وعلو المهمة ، والعهد الحسن ، ثم ذكر بعض الاصطلاحات الصوفية في هذا الباب فقال : المقصود من قولهم «خرق الخرقة» هو أنه خرق كل من كان من الأغيار ، والمطلوب من قولهم «لاحظ نصيبه» هو أنه لا ينظر إلى عيب أخيه ، ثم قال «شيخ الإسلام» في آخر آداب لبس الخرقة : «يلزم الصوفي رعاية هذه الآداب ، وأن يطلب مصداق ما في ظاهره في الباطن لكي يسكون صادقا لا كاذبا ، وموافقا لا منافقا ، ومخلصا لامرائيا ، ومحققا لا مدعيا .

٢ - آداب القيام والوقوف :

قال «شيخ الإسلام» في آداب القيام والوقوف ما حاصله الآتي : يلزم الصوفي أن يجلس على السجادة بالأدب ، كما يجلس في حضور مرشده وأستاذه ، ويتوجه إلى القبلة ، ولا يكشف أعضاء بدنه خارج الأدب ، ولا يبسط رجله عند الناس . ولا ينفخ بأنفه ، ولا يلقي ما في فيه على الأرض عند الناس ، ولا يقول إذا تشآب آه كما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «إذا تشآب أحدكم لا يقول آه فإن الشيطان يضحك به» ، ولا يمسخ بدنه كثيرا عند الناس ، ولا ياعب بيده في شعره ووجهه عند الناس ، ويلزم حينما يجلس أحد على السجادة

لعبادة الله - تعالى - أن يجلس بحضور القلب والاحترام فيشغل بذكر الحق وفكر الحق ، ويفكر أيضاً في أنه بأى طريق يمكن أن تقبل عبادته عند الله - تعالى - ، ويلزم أن لا يتكلم في المجلس كثيراً ويكون ما يتكلم به بقدر الحاجة ، ولا يحرك يديه في وقت الكلام ، ولا يرفع صوته عن حد الاعتدال ، قال الله - تعالى - : «واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الخير» ، ولا يعمل الحركات التي تكون خارجة عن حد الأدب ، وحينما يقوم يلزم عليه أن يقوم من يمينه ، فيضع قدمه الأيمن أولاً ، ويبدأ في لبس الخذاء من اليمين وعند الخلع من اليسار ، ولا يتكبر في المشى ولا تمشى في الأرض مرحاً ، ولا يحرك اليد في المشى ، ولا ينظر كثيراً إلى اليمين واليسار ولا إلى قدام وخلف ، ولا يتكلم في الطريق (إلا عند الضرورة) ، ولا يقرأ القرآن الكريم في الطريق وإذا أراد أن يقرأه فليقرأ في القلب والفكر ، ولا يذهب إلى السوق إلا عند الضرورة ، ولا يتوقف في الطريق (إلا عند الحاجة) ، ويحذر عن مواقع التهمة وموارد الطعن ، ويحفظ قدمه من مواضع النجاسة ، ولا يمشى بالسرعة (قال الله - تعالى - «واقصد في مشيك») ، وخاصة حينما يمشى مع الجماعة في تشييع الجنازة أو إلى عيادة المريض أو إلى أداء صلاة الجمعة والصلاة الأخرى ؛ لكي يزيد حسناته بحسب خطواته .

لا شك أن «شيخ الإسلام» أدرج في آداب القيام والقعود أهم الآداب ، فيلزم على السالك رعايتها حق الرعاية .

٣ - آداب الذهاب إلى البيت :

قال «شيخ الإسلام» ، في حق آداب الذهاب إلى البيت ما حاصله الآتي :

« يلزم على من يدخل البيت أن يمسح رجله على الأرض قبل أن يدخل البيت عند الباب ، ولا يلقى السلام بدون الوضوء ؛ لأن السلام اسم من أسماء الحق — سبحانه وتعالى — ، فطريق آداب العبودية لأرباب المعرفة أن لا يتكلم بالسلام بدون الطهارة ، كما أن الرسول — صلى الله عليه وسلم — خرج يوماً من الحجرة ، فقابله أحد من الصحابة وألقى عليه السلام ولم يكن الرسول — صلى الله عليه وسلم — على الوضوء ، فضرب يده على الخائط وتيمم ، ثم أجابه بـ (وعليكم السلام) وقال له : ما حاصله : « لا تلق على السلام إذا لم تكن على وضوء فإنك حينئذ لو ألقيت على السلام لا أجيب (١) » ، وأيضاً قال « شيخ الإسلام » لا تلق السلام على أصحابك مفاجأة ، لأنه ربما كانت أفكارهم مشغولة في حاجات أخرى فيشوش إلقاء السلام عليهم ، والأحسن لمن يريد دخول البيت أن يتوضأ أولاً ، فيصلى ركعتين ، ثم يلقى السلام على من في البيت .

يظهر بما ذكره « شيخ الإسلام » ، في آداب الذهاب إلى البيت أن الصوفيين العظماء يراعون آداب حسن المعاشرة مع الناس بالوجه الأكمل والأحسن .

٤ - آداب أكل الطعام :

قال « شيخ الإسلام » ، يجب على من يأكل الطعام أن يغسل يده أولاً ، ثم يجلس على رجله اليسرى ، ولا يضع طبق الأكل على الخبز ، ويقول في أول الأكل « بسم الله » ، وفي الآخر « الحمد لله » ،

(١) أقول لاشك أن سلوك الصوفية مبني على الاحتياط ، فلأجل هذا يعدون من الأدب أن لا يتكلم أرباب المعرفة بالسلام بدون الطهارة .

ويبدأ ويختم بالملح ، ويلزم أن يضع في الطبق من الأكل بقدر ما يستطيع أكله حتى لا يبقى في الطبق شيء من فواضل الأكل ، وحينما يبدأ بالأكل يأخذ كل مرة لقمة صغيرة ، فيدسها في الفم كثيراً ، ولا يأخذ اللقمة الثانية حتى تنزل اللقمة الأولى من الحلق ، وهكذا ، ويحترز الأكل في الأكل عن أكل الطعام الحار ولا يستعجل بأن ينفخ في الطعام ، لأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قال : « النفخ في الطعام يذهب البركة » ، ولا يخلل أسنانه فيما بين الأكل ، ولا يلق من الفم شيئاً ، ولا يمسح يده بالسفرة قبل أن يتم الأكل ، وذكر في ضمن آداب الأكل أن لا ينظر الأكل إلى لقمة الآخر ، وأن يأكل من الطعام ما يليه لا ما يلي الآخرين ، وأن لا يرفع اليد من الطعام حتى يفرغ الآخرون من أكل الطعام ، ويلزم بعد الفراغ من أكل الطعام أن يقوم بغسل اليد والفم ، وينظف ما يلزم عليه تنظيفه . يتضح مما ذكره « شيخ الإسلام » في آداب أكل الطعام أن التصوف الحقيقي هو الطهارة ، والحكمة ، ومراعاة حقوق النفس ، وحقوق الغير .

هـ - آداب الذهاب إلى الدعوة :

قال « شيخ الإسلام » يلزم إجابة دعوة الضيافة إلا إذا كانت الضيافة من مال حرام أو أموال اليتامى ، ويلزم من يذهب إلى الدعوة أن لا يأخذ معه من لم يدع إلى الضيافة ، وأن يجلس في بيت الضيافة حيث يجلسه صاحب الضيافة ، فإكل هناك بقدر حاجته ، ولا يأخذ معه شيئاً من المأكولات إلا إذا أدى له صاحب الضيافة ، وإذا تم أكل الطعام يلزم على صاحب الضيافة أن لا يكلف الضيف في الجلوس إلا باختياره ، ويناسب للضيف أيضاً أن لا يشغل البيت بالكلام والقصص إلا إذا ارتضى صاحب الضيافة ذلك ؛ لأن الله - تعالى -

قال : « فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ، ولا ينظر الضيف في بيت الضيافة إلى هنا وهناك ، ولا يسأل عن القيمة والنوع لفرش بيت الضيافة وأثاثه .

ويجب على صاحب الضيافة اعزاز الضيف ، وأن لا يكلف نفسه في الضيافة فوق قدرته ، فالأولى أن يقدم ما حضر وما يستطيع ، ولا يلح صاحب الضيافة على الضيف بكثرة الأكل ، ولا يتعبه في الجلوس والذهاب ، ويجب على صاحب الضيافة أن يقدم للضيف الأكل الحلال ، ولا يقول فيما بين أكل الطعام أنه اشترى هذا بكذا ، ولا أن يضع المنة على الضيف بضيافته .

يتبين مما ذكره « شيخ الإسلام » في آداب الذهاب إلى الدعوة هو أن التصوف الإسلامي يريد أن يرفع عن الناس المحن والصعوبات في معاملاتهم الاجتماعية .

٦ - آداب السماع :

إن سماع العزف والموسيقى وما يغنى به القوال عند الصوفيين كان ولا يزال مثار بحث ، فأكثر الصوفيين على أن السماع بشرائط ، وآداب خاصة موجب لزيادة نشاط الصوفية ، فقال « شيخ الإسلام » ، « في آداب السماع » ، يلزم أن لا يكون السماع بالتكلف ولا أن يكون خارجاً عن الحدود ، فلا يجلس الصوفي عند السماع بغفلة ، بل يلزم عليه أن يحفظ وقته مع الله - تعالى - ولو وصل إليه الوارد فيأخذ ما أمكنه بالاستقرار والمتانة ، ولو كان الوارد قويا فخرکه يلزم أن لا يتحرك بتكلف ؛ لكي لا تزول عنه بركة وقته ، فلا يصل إلى ما يرام ولا يستعين في الحركة بأحد ، ولو طلب أحد منه الاغاثة فليساعده بقدر الاستطاعة .

ثم قال « شيخ الإسلام » : يلزم للسماع ثلاثة أمور : المكان ، والزمان ، والإخوان ، بأن يكون المكان متسعاً وفارغاً عن الأغيار ،

ويكون المستمع في الحضور ولا يخرج عن الحدود ، وأن يكون مع أصحابه من أهل الطريقة ، فهذا النوع من السماع ، ما يغتنمه أهل التصوف ، وقال في حق زمان السماع : أن الليل أولى من النهار ، ليكون القلب فارغا من الوسوس والأغيار ، وقال في حق شروط السماع : « أن لا يكون إلا مع أهل الجنس ، فلا يجوز السماع من القوال الأُمرد ، لأنه محل الآفة ومجال الطعن ، وأن النفس والشیطان من الأعداء ، ثم قال : الدف بالجلجل مباح عند الإمام ، والشافعي ، وحرام عند الإمام ، « أبي حنيفة ، لكن السماع روح عند هذه الطائفة الصوفية بشرط أن يكون بطريق السنة والحرمة والأدب وموافقة الشريعة ، حتى يتسبب في الراحة والكرامة والحياة الحقيقية والدرجات الرفيعة والمكاشفات ، فكل سماع يكون خارجا عن هذه الحدود والشرائط فقيه آفة ، ومعصية ، وتهمة ، ومضرة للدين » .

لقد تحقق عندي أن أسرار سماع الصوفيين لا يعرفها إلا من له حظ من هذه الأسرار ، فلماذا قال « عبد الله الأنصاري » : « أن السماع روح عند هذه الطائفة ، والا فظاهر الشريعة يأنى أن تكون مرتبة السماع مثل مرتبة الروح في الأهمية ، ولم يوجد لا ثبات هذا صراحة دليل في الكتاب والسنة » .

٧ — آداب السفر :

قال « شيخ الإسلام » يلزم أن يكون سفر المرید لثلاثة أمور : الزيارة ، وملاقات المشايخ ، والرياضة ، فيحاول من يريد السفر أن يجد الرفيق الموافق المشفق وصاحب الهمة والسر والإرادة ، وأن يكون سفره إلى مكان يكون باستطاعته أن يسافر إليه فإذا عزم السفر يلزمه أن يأخذ معه من زاد

السفر وما يحتاج إليه كثيراً ، ففي السفر يلزمه أن يكون دائماً على الطهارة ، وكما يرفع ويخفض في الطريق أن يقول : الله أكبر ، ثم لا يسأل الناس في السفر (بقدر الاستطاعة) ولا ينام في المساجد إلا عند الضرورة .

يتبين مما ذكره «شيخ الإسلام» في آداب السفر أن خطة الحياة عند الصوفين العظام في السفر دقيقة ومعقولة جداً .

ثم جاء في آخر هذه الرسالة ما يأتي :

« هذه هي الآداب الظاهرية للمريد التي يلزمه مراعاتها في بداية أمره ، لكي يكون لائقاً للصحبة » .

وأما الآداب الباطنية فلها أبواب كثيرة ، ومقامات ومنازل لا تحصى ، فمن أراد أن يعرفها يلزمه أن يقرأ ويستفيد من كتاب « منازل السائرين » والسالكين إلى الحق — عز شأنه — لـ «شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري» .

الآداب الباطنية للتصوف عند « عبد الله الأنصارى »

قد تقرر أن « شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى » قال وأملى في حق الآداب الباطنية والروحية أشياء كثيرة ، كما يوجد أهم هذه القيم الروحية في كتيبه ورسائله الآتية :-

« صمدان » ، بالفارسية . و « منازل السائرين » ، بالعربية .
و « طبقات الصوفية » ، بالفارسية . و « مناجات عبد الله الأنصارى ونصائحه » ، بالفارسية . و « علل المقامات » ، بالعربية .

يتبين من المطالعة والتدقيق في هذه الكتب والرسائل أن « شيخ الإسلام » قد درس الآداب الباطنية والروحية للتصوف الإسلامى درساً دقيقاً . وحاول أن يجد لها أساساً فى الكتاب ، والسنة ، ثم بعد الدرس ، والدقة حصل عنده فى مرتبة العمل والتطبيق تجارب كثيرة فتحقق لديه أنه يلزم السالك أن يراعى ما جاء فى كتابه الأخير المسمى بـ « منازل السائرين إلى الحق - عز شأنه - » ، حق المراجعة .

لاشك أن هذا الكتاب هو أحسن ما كتب فى معرفة الآداب الباطنية والروحية للتصوف ، ولأجل هذا شرحه ثمانية عشر شارحاً من الشارحين ، وكتب عليه « ابن قيم الجوزية » ، كتاباً ضخماً فى ثلاث مجلدات كبيرة . لكن مما يلزم ذكره هو أن صعوبة بعض كلمات كتاب « منازل السائرين » ، وكثرة بسط الشارحين ، قد أدى إلى أن أكثر من يريد معرفة الآداب الباطنية والروحية للتصوف يجد المشقة فى فهم هذه الآداب ، فعلى هذا صممت أن اختصر من

الآداب الباطنية ، والروحية التي عبر عنها « شيخ الإسلام » ، إلى حد ما يوجه القارىء وينبئه إلى البحث الكثير عن الآداب الباطنية ، والروحية التي فيها الصلاح والفلاح لكافة الناس . وسأوضح بقدر ما يثبت للقارئ أن « شيخ الإسلام » قد أخذ مبادئ التصوف من الكتاب ، حتى يثبت أن التصوف الأصيل له أساس في القرآن الكريم ، وليس كما تصور بعض من لا خبرة له أن التصوف نوع من الخرافات الزائفة .

أهم المطالب التي جاءت في كتاب منازل السائرين

في حق الآداب الباطنية والروحية للتصوف

قال . شيخ الإسلام ، بعد الخطبة : . أما بعد فان جماعة من الراغبين في الوقوف على منازل السائرين إلى الحق - عز اسمه - من الفقراء من أهل . هراة ، والغرباء طال على مسألتهم زمانا أن أبين لهم بياننا (ليسكون) على معالمها عنوانا ، فأجبت طلبهم لذلك بعد استخارتي لله - تعالى - واستعانتى به .

وسألوني أيضاً أن أرتبها لهم ترتيباً يشير إلى تواليها ويدل على الفروع التي تليها ، وأن أخليه من كلام غميري وأختصره ليسكون أطف في اللفظ وأخف للحفظ ، واني خفت أن أخذت في شرح قول . أبي بكر السكتاني ، : . ان بين الحق والعبد ألف مقام من نور وظلمة ، طولت على وعليهم فذكرت أبلية تلك المقامات التي تشير إلى تمامها وتدل على مرامها ، وأرجو لهم بعد صدق قصدهم ما قال . أبو عبيد البسري ، : . ان الله عبادا يريهم في بداياتهم ما في نهاياتهم ثم إنى رتب لهم فصولاً ، وأبواباً يغني ذلك الترتيب عن التطويل المؤدى إلى الملل ، ويكون مندوحة (١) عن التسأل ، فجعلته مائة مقام مقسومة على عشرة أقسام .

ثم قال . شيخ الإسلام ، : . ان السائرين في هذه المقامات على اختلاف عظيم لا يجمعهم ترتيب قاطع ، ولا يفقههم منتهى جامع ، وقد

(١) مندوحة : أى مستغنية .

صنف جماعة من المتقدمين والمتأخرين في هذا الباب تصانيف عساك لانراها على حسنها مغنية (١) ، منهم من أشار إلى الأصول ، ولم يشر بالتفصيل ، ومنهم من جمع الحكايات ، ولم يلخصها تلخيصا ولم يخصص النكتة بها تخصيصا ، ومنهم من لم يميز بين مقامات الخاصة ، وضرورات العامة (٢) ومنهم من عد شطح المغلوب ، وجعل بوح الواجد ورمز المتمكن شيئا عاما (٣) ، وأكثرهم لم ينطق عن الدرجات ،

تم قال « شيخ الإسلام » : « واعلم أن العامة من علماء هذه الطائفة قد اتفقوا على أن النهايات لا تصح إلا بتصحيح البدايات ، كما أن الأبدية لا تقوم إلا على أساس ، وتصحيح البدايات هو إقامة الأمر على مشاهدة الإخلاص ومتابعة السنة ، واجتناب النهي على مشاهدة الخوف ورعاية الحرمة ، والشفقة على العالم ببذل النصيحة وكف المؤنة ، ومجانبة كل صاحب يفسد الوقت وكل سبب يفتن أويقسي القلب . على أن الناس في هذا الشأن ثلاثة : -

واحد يسير بين الخوف والرجاء شاخصا إلى الحب مع صحبة

(١) يعني أنه لا يحصل للطالب بها استغناء ولا تكفيه في مقصوده .

(٢) قال « الإمام سديد الدين » . « وإذا كان كذلك لم يعرف الناظر فيه أرفع المقامات فيقصدها ، ولا أدونها فيبعدها ، ولا يعرف فضل الفاضل فيعظمه ، ولا نزول المفصر فيحركه .

(٣) شطح المغلوب عبارة عن كلمات تجرى على السنة بعضهم في وقت غلبة الحال فيكون مغلوبا معذورا ، فلا يعد ذلك له منزلا ولا مقاما ، والمراد به « بوح الواجد » ، نطقه ببعض ما يحده غير تام الافادة ، والمراد به « رمز المتمكن » ، اشارته إلى طرف ما فتح عليه به فلا يصح جعل شطح المغلوب وبوح الواجد ورمز المتمكن شيئا عاما وطريقا للناس كافة .

الحياء ، وهذا هو الذى يسمى المريد ، ورجل محتطف من وادى،
التفرقة إلى وادى الجمع ، وهو الذى يقال له المراد .

ومن سواهما مدع مفتون مخدوع ، وجميع هذه المقامات تجمعها
رتب ثلاث :

المرتبة الأولى أخذ القاصد فى السير ، والمرتبة الثانية دخوله فى
الغربة ، والمرتبة الثالثة حصوله على المشاهدة الجاذبة إلى عين التوحيد
فى طريق الفناء .

ثم أخرج د شيخ الإسلام ، لاثبات المرتبة الأولى (القصد فى
السير) حديث د أبى هريرة ، أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
د سيروا سبق المفردون ، قالوا : يا رسول الله وما المفردون ؟ قال :
د المهترون (١) الذين يهترون فى ذكر الله تعالى - يضع الذكر عنهم
أثقالهم فيأتون يوم القيامة خفافاً .

وأخرج لاثبات المرتبة الثانية (دخوله فى الغربة) حديث د على
ابن أبى طالب ، - رضى الله عنه - عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : د طلب الحق غربة ، .

وأخرج لإثبات المرتبة الثالثة (حصوله على المشاهدة الجاذبة إلى
عين التوحيد فى طريق الفناء) حديث د عمر بن الخطاب ، -
رضى الله عنه - فى حديث سؤال جبريل - عليه السلام - رسول الله
صلى الله عليه وسلم - قال : د ما الاحسان ، ؟ قال : أن تعبد الله
كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، ، ثم ذكر د شيخ الإسلام .

(١) المهتر . المولع بالقول فى شئ د من المنجد ، .

الأقسام العشرة لمائة مقام كما يأتي :-

١ - البدايات .	٢ - الأبواب .
٣ - المعاملات .	٤ - الأخلاق .
٥ - الأصول .	٦ - الأدوية .
٧ - الأحوال .	٨ - الولايات .
٩ - الحقائق .	١٠ - النهايات .

وقد ذكر « البدايات » في عشر أبواب :-

١ - اليقظة .	٢ - التوبة .
٣ - المحاسبة .	٤ - الانابة .
٥ - الفكر .	٦ - الذكر .
٧ - الاعتصام .	٨ - الفرار .
٩ - الرياضة .	١٠ - السماع .

١ - باب اليقظة :

قال الله تعالى - : « قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفردى ثم تنفكروا » القومة لله - تعالى - هي اليقظة من سنة الغفلة ، والنهوض عن ورطة الفترة (١) ، وهي أول ما يستنير قلب العبد بالحياة لرؤية نور التنبيه ، ثم قسم « شيخ الإسلام » اليقظة إلى ثلاثة أقسام :-

- ١ - نظر القلب إلى نعم الله - تعالى - التي لا يستطيع القلب أن يحصيها ، ويميز عن أن يقوم بحق شكرها .

(١) لأنه لا يقوم لله بأمر الله إلا المتيةظ له بالموعظة ومن رو قلبه لقبولها .

٢ - مطالعة الجناية بأن ينظر إلى الخطر فيها ، ويتوجه إلى التخلص من ربقتها ، ويحاول طلب النجاة واصلاح الأعمال .

٣ - الانتباه لمعرفة الزيادة والنقصان في أحواله ، فإن رأى نقصا بادر إلى الإصلاح وإن رأى صلاحا ، وزيادة اتمهضت نفسه لما رأى من علامات الفلاح في تدارك ما فات منها بأفعال محدودة عوضا عما فات .

ثم قال « شيخ الإسلام » : « فأما معرفة النعمة فإنها تصفو بثلاثة أشياء : - بنور العقل ، وبشيم برق المنة (أى إحساس روائح الإحسان) ، والإعتبار بأهل البلاء .

وأما مطالعة الجناية فإنها تصح بثلاثة أشياء : بتعظيم الحق ، ومعرفة النفس ، وتصديق الوعيد ، وأما معرفة الزيادة والنقصان في الأيام فإنها تستقيم بثلاثة أشياء : بسماع العلم ، وإجابة دواعي الحرمة ، وصحبة الصالحين وملاك ذلك كله خلع العادات .

٢ - باب التوبة :

قال الله - تعالى - : « ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ، فأسقط اسم الظلم عن التائب ، والتوبة لا تصح إلا بعد معرفة الذنب وهى أن تنظر في الذنب إلى ثلاثة أشياء : إلى انحلاعه عن العصمة حين اتيانه ، وفرحك عند الظفر به ، وقعودك على الاصرار عن تداركه مع يقينك ، بنظر الحق إليك ، وشرائط التوبة ثلاثة : -

الندم ، والاعتذار ، والاقلاع (القطع عن الذنب) (١) .

(١) الندم بالقلب ، والاعتذار باللسان ، والاقلاع بالجوارح .

وحقائق التوبة ثلاثة أشياء : تعظيم الجناية ، واتهام النفس في التوبة وطلب أعذار الخلائق ، وسرائر حقيقة التوبة ثلاثة أشياء : تميز الثقة (بالله) من الغرة (الغرور) ، ونسيان الجناية ، والتوبة من التوبة أبداً ؛ لأن التائب داخل في الجميع من قوله : « وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون » ، فأمر التائب بالتوبة .

٣ - باب المحاسبة :

قال الله - عز وجل - « اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد » وإنما يسلك طريق المحاسبة بعد العزيمة على عقد التوبة ، والعزيمة لها ثلاثة أركان . أحدها . أن تقيس بين نعمة ، وجنابتك ، وهذا يشق على من ليس له ثلاثة أشياء . نور الحكمة ، وسوء الظن بالنفس ، وتميز النعمة من الفتنة ، والثاني . تميز ما للحق عما لك أو منك ، فتعلم أن الجناية عليك حجة (في العقاب) ، والطاعة عليك منة (في تيسير الأسباب) ، والحكم عليك (بامهاله) حجة (لتتوب) ما هو لك معذرة ، والثالث . أن تعرف أن كل طاعة رضيتها منك فهي عليك ، وكل معصية عيرت بها أخاك فهي إليك . فلا تضع ميزان وقتك من يدك .

٤ - باب الإنابة :

قال الله - عز وجل - : « أنيبوا إلى ربكم » الإنابة ثلاثة أشياء : الرجوع إلى الحق اصلاً كما رجع إليه اعتذاراً ، والرجوع إليه وفاءً كما رجع إليه عهداً ، والرجوع إليه حالاً كما رجع إليه إجابة ، ثم ذكر « شيخ الإسلام » ما يستقيم به الرجوع إلى الحق اصلاً ووفاءً وحالاً ، فمن أراد معرفته فليقرأ « منازل السائرين » .

٥ - باب التفكير :

قال الله — تعالى — « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلمهم يتفكرون » اعلم أن التفكير تلبس البصيرة لاستدراك البغية (١) ، وهو على ثلاثة أنواع : ففكرة في عين التوحيد ، وفكرة في لطائف الصنع ، وفكرة في معاني الأعمال والأحوال .

ثم فسر « شيخ الإسلام » ، كلا من هذه الفكر في كتابه « منازل السائرين » .

٦ - باب التذكر :

قال الله — تعالى — : « وما يذكر إلا من ينيب » التذكر فوق التفكير ، فإن التفكير طلب والتذكر وجود (٢) ، وأبنية التذكر ثلاثة أشياء : الانتفاع بالعظة ، والاستبصار بالعبرة ، والظفر بثمرة الفكرة ، وإنما ينتفع بالعظة بعد حصول ثلاثة أشياء : بشدة الافتقار ، وبالعمى عن عيب الواعظ . وبذكر الوعد والنوعيد ، وإنما يستبصر بالعبرة بثلاثة أشياء : بحياة العقل ، ومعرفة الأيام ، والسلامة من الأغراض ، وإنما تجتنى ثمرة الفكرة بثلاثة أشياء : بقصر الأمل ، والتأمل في القرآن ، وقلة الخلط والتمنى والتعلق والشبع والمنام .

٧ - باب الاعتصام :

قال الله — عز وجل — « واعتصموا بحبل الله جميعاً ، و« واعتصموا

(١) أي المطلوب والنفس بالقلب وهو التفتيش عن المطالب العقلية والشرعية .

(٢) أي التذكر هو التجسس فيما كان حاصلًا عنده ، ثم نسيه ، فيجده في ذهنه موجوداً .

بالله هو مولاكم، الاعتصام بحبل الله هو المحافظة على طاعته مراقباً لأمره، والاعتصام بالله هو الترفى عن كل موهوم والتخلص من كل تردد.

والاعتصام على ثلاث درجات : اعتصام العامة بالخبر استسلاماً ، واذعاناً بتصديق الوعد والوعيد، وتعظيم الأمر والنهي ، وتأسيس المعاملة على اليقين والانصاف ، وهو الاعتصام بحبل الله ، واعتصام الخاصة بالانقطاع وهو صون الإرادة قبضاً واسبأل الخلق على الخلق بسطاً ورفض العلاقات عزمًا ، وهو التمسك بالعروة الوثقى ، واعتصام الخاصة بالاتصال وهو شهود الحق تفريداً بعد الاستخذاء^(١) له تعظيماً والاشتغال به قرباً ، وهو الاعتصام بالله .

٨ - باب الفرار :

قال الله - عز وجل - : « ففرروا إلى الله ، الفرار هو الهرب مما لم يكن إلى مالم يزل وهو على ثلاث درجات : فرار العامة من الجهل إلى العلم عقداً وسعياً^(٢) ، ومن الكسل إلى التشمير جداً وعزمًا ومن الضيق إلى السعة ثقة ورجاء . »

وفرار الخاصة من الخبر إلى الشهود ، ومن الرسوم إلى الأصول ، ومن الحظوظ إلى التجريد .

وفرار خاصة الخاصة بما دون الحق إلى الحق ، ثم من شهود الفرار إلى الحق ، ثم الفرار من الفرار إلى الحق .

(١) الاستخذاء : الانكسار.

(٢) عقداً بقلبه ، وسعياً ببذنه .

٩ - باب الرياضة :

قال الله - عز وجل - : « والذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم
وجلة ، الرياضة تمرين النفس على قبول الصدق ، وهي على ثلاث
درجات : رياضة العامة وهي تهذيب الأخلاق بالعلم ، وتصفية الأعمال
بالإخلاص ، وتوفير الحقوق في المعاملة ، ورياضة الخاصة حسم^(١)
التفرق ، وقطع الالتفات إلى المقام الذي جاوزه^(٢) ، وإبقاء العلم
يجرى مجراه^(٣) ، ورياضة خاصة الخاصة تجريد الشهود^(٤) ، والصعود
إلى الجمع^(٥) ، ورفض المعارضات^(٦) ، وقطع المعاوضات^(٧) .

١٠ - باب السماع :

قال الله - عز وجل - : « ولو علم الله فيهم خيراً لاسمعهم »
فكثرة السماع حقيقة الانتباه ، وهو على ثلاث درجات : سماع العامة
بإجابة زجر الوعيد ، وإجابة دعوة الوعد ، وبلوغ مشاهدة المنة
(النعمة) ، وسماع الخاصة : شهود المقصود في كل رمز ، والوقوف
على الغاية في كل حس ، والإخلاص من التلذذ بالتفرق ، وسماع خاصة

(١) حسم التفرق : قطع المفارقة من الله - تعالى - .

(٢) لأنه يشغله .

(٣) لأن الاستفادة من علم الشريعة في كل مرتبة يحفظه من الإخلال .

(٤) من علائق الأسماء والصفات .

(٥) هو الفناء في الذات .

(٦) من البسط والقبض وغيرهما .

(٧) من الأجور والثواب بأن لا ينظر إليه .

الخاصة سماع يغسل العليل (١) عن الكشف ، ويصل الأبد بالأزل ، ويرد النهايات إلى الأول (٢) .

ثم ذكر « شيخ الإسلام » الأبواب في عشرة أبواب وهي : —
الحزن ، والخوف ، والإشفاق ، والخشوع ، والأخبات ، والزهد ،
والورع ، والتبتل ، والرجاء ، والرغبة .

١١ — باب الحزن:

قال الله — تعالى — : « تولو وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ، الحزن ،
توجع لفات أو تأسف على ممتنع ، وقد قسم « شيخ الإسلام » الحزن
على ثلاث درجات : حزن العامة ، وحزن أهل الإرادة ، وحزن على
ما منعه من الجمع ، فإذن الحزن في الحقيقة الحزن على ما فات منه
من الفرصة ، وحزن على تعلق القلب بالتفرقة ، والتأسف على ما يأت
بأن سد وامتنع أسباب حصوله .

١٢ — باب الخوف :

قال الله — عز وجل — : « يخافون ربهم من فوقهم » ، الخوف
هو الانخلاع من طمأنينة الأمن بمطالعة الخبر « من الوعد والوعيد » .

١٣ — باب الإشفاق :

قال الله — عز وجل — : « قالوا إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين ،

(١) هو الخواطر وفتور النفس .

(٢) أى لا يلتفت إلى المراتب بل يكون كل مطلوبه الحق .

الإشفاق دوام الحذر مقرونا بالترحم ، وهو على ثلاث درجات :
الدرجة الأولى : إشفاق على النفس أن تجمج إلى العناد ، وإشفاق على
العمل أن يصير إلى الضياع ، وإشفاق على الخليفة لمعرفة معاذيرها . والدرجة
الثانية : إشفاق على الوقت أن يشرب ، تفرق ، وعلى القلب أن يزاحمه
عارض ، وعلى اليقين أن يداخله سبب ، والدرجة الثالثة . إشفاق يصون
سعيه من العجب ، ويكف صاحبه عن مخاصمة الخلق ، ويحمل المرید على
حفظ الحدود .

١٤ - باب الخشوع :

قال الله - عز وجل - : « ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم
لذكر الله وما نزل من الحق ، الخشوع خمود النفس وهمود الطباع
لمتعاضم أو منزع . »

١٥ - باب الإخبات :

قال الله - عز وجل - : « وبشر المحبتين ، وهو ورود المأمن
من الرجوع ، والتردد ، وعند شيخ الإسلام ، الإخبات من أوائل
مقام الطمأنينة . »

١٦ - باب الزهد :

قال الله - عز وجل - : « بقية الله خير لكم ، الزهد اسقاط الرغبة
عن الشيء بالكلية ، وهو للعامة ، قربة ، وللمريد ضرورة ، وللخاصة
خسة (١) ، وهو على ثلاث درجات : الدرجة الأولى : الزهد في الشهوة

(١) أى نزول عن مقامه الشريف وفي بعض النسخ « حسنة » أى ليس زهده في
الدنيا من ضرورياته .

بعد ترك الحرام وهو يحصل بالحذر من المعتبة ، والأنفة من المنقصة ،
وكراهية مشاركة الفساق ، والدرجة الثانية : الزهد فى الفضول وما زاد
على المسكة (١) ، والبلاغ من القوت باغتنام التفرغ إلى عمارة الوقت ،
وحسم الجائش (٢) ، والتحلى بحلية الأنبياء والصديقين ، والدرجة الثالثة :
الزهد فى الزهد بثلاثة أشياء : باستحقاق ما زهدت فيه ، واستواء
الحالات عندك ، والذهاب عن شهود الاكتساب ناظرا إلى وادى الحقائق .
١٧ - باب الورع :

قال الله - عز وجل - « وثيابك فطمر ، الورع توق مستقص .
على حذر أو تخرج على تعظيم ، وهو آخر مقام الزهد للامة وأول
مقام الزهد للبريد ، وهو على ثلاث درجات : الدرجة الأولى : تجنب
القبائح لصون النفس ، وتوفير الحسنات ، وصيانة الإيمان ، والدرجة
الثانية : حفظ الحدود ، عند ما لا بأس به إبقاء على الصيانة والتقوى ، وصعوداً
عن الدناءة ، وتخلصاً عن اقتحام الحدود والدرجة الثالثة : التورع عن كل
داعية تدعو إلى شتات الوقت ، والتعلق بالتفرق ، وعارض يعارض
حال الجمع .

١٨ - باب التبتل :

قال - عز وجل - : « وتبتل إليه تبتيلا ، التبتل الانقطاع بالسكينة ،
وقوله - تعالى - إليه دعوة إلى التجريد المحض ، وهو على ثلاث درجات :
الدرجة الأولى : تجريد الانقطاع عن الحظوظ والاحوظ إلى العالم خوفاً أو
رجاءاً أو مبالاة بجال ، بحسم الرجاء بالرضى ، وقطع الخوف بالتسليم ، ورفض
المبالاة بشهود الحقيقة .

-
- (١) ما يمسك الأبدان من الغذاء والشراب أى لا يرغب إلى ما زاد عن الاحتياج .
(٢) يقال « جأشت نفسه للشيء » ، إذا تشوقت إليه وتعلقت به .

والدرجة الثانية : تجريد الانقطاع عن التعرّيج على النفس بمجانبة
الطوى ، وتنسم روح الأنس ، وشيم برق الكشف ،
والدرجة الثالثة : تجريد الانقطاع إلى السبق بتصحيح الاستقامة
والاستغراق في قصد الوصول ، والنظر إلى آوائل الجمع .

١٩ - باب الرجاء :

قال الله - عز وجل - : « لقد كان لكم في رسول الله أسوة
حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر ، الرجاء أضعف منازل المرید ؛
لأنه معارضة من وجه واعتراض من وجه ، وهو وقوع في الرعونة^(١)
في مذهب هذه الطائفة إلا ما فيه من فائدة واحدة ، ولها نطق باسمه
التنزيل والسنة ودخل في مسالك المحققين ، وتلك الفائدة أنه يفتر حرارة
الخوف حتى لا يعدو إلى الإيأس . »

٢٠ - باب الرغبة :

قال الله - عز وجل - : « ويدعوننا رغبا ورهبا ، الرغبة إلى
الحق بالحقيقة من الرجاء ، وهي فوق الرجاء لأن الرجاء طمع يحتاج
إلى تحقيق ، والرغبة سلوك على تحقيق ، والرغبة على ثلاث درجات :
الدرجة الأولى : رغبة أهل الخبر تتولد من العلم ، فتبعث على الاجتهاد
المنوط بالشهود ، وتصون السالك من وهن الفترة ، وتمنع صاحبها
من الرجوع إلى غثاثة الرخص^(٢) ، والدرجة الثانية : رغبة أرباب

(١) الرعونة الوقوف مع حظوظ النفس والوقوع فيها من حيث استحسان حاله
التي رجا عليها الثواب ، ومتى رضى المرید فترعن الجد وهي الرعونة ، والمراد بالمعارضة
المخالفة لما أراده الله - تعالى - وبالعراض الاعتراض على القدر .

(٢) غثاثة الرخص : أي ضعيفها ويقابل الغث بالسمين .

الحال ، وهي رغبة لا تبقى من المجهود إلا مبذولا ، ولا تدع للهمة ذبولا (١) ، ولا تترك غير المقصود مأمولا ، والدرجة الثالثة : رغبة أهل الشهود وهي تشرف تصحبه نقيّة (٢) وتحمله همّة نقيّة (٣) ولا تبقى معه من التفريق بقية (٤) .

ثم ذكر « شيخ الإسلام » المعاملات في عشرة أبواب ، وهي : -
الرعاية ، والمراقبة ، والحرمة ، والإخلاص ، والتهذيب ، والاستقامة ،
والتوكل ، والتفويض ، والثقة ، والتسليم .

٢١ - باب الرعاية :

قال الله - عز وجل - : « فارعوها حق رعايتهما ، الرعاية صون بالعناية ،
وهي على ثلاث درجات : رعاية الأعمال ، رعاية الأحوال ، ورعاية الأوقات .

٢٢ - باب المراقبة :

قال الله - عز وجل - : « لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة ، المراقبة
دوام ملاحظة المقصود ، وهي على ثلاث درجات : الدرجة الأولى :
مراقبة الحق في السير إليه على الدوام بين تعظيم مذهب ومدانة حامله
وسرور باعث ، والدرجة الثانية : مراقبة نظر الحق إليك برفض
المعارضة (٥) وبالأعراض عن الاعتراض (٦) ونقض رعونة التعرض ،

(١) الذبول : هو الإنكسار .

(٢) أي حذر وهيبة .

(٣) أي خالصة من طلب غيره .

(٤) من الآثار التي يغتر بها .

(٥) أي ما يعرض للقلب من الخواطر المشغلة .

(٦) أعراض عن الاعتراض أي عن التعرض على ما يرد على قلبه وفي بعض
النسخ عن الأعراض أي طلب الجزاء على أعماله الحسنة .

والدرجة الثالثة : مراقبة الأزل بمطالعة عين السبق استقبالا لعلم التوحيد ، ومراقبة ظهور إشارات الأزل على أحيين الأبد ، ومراقبة الخلاص من ربطة المراقبة .

٢٣ - باب الحرمة:

قال الله - عز وجل - : « ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه ، الحرمة هي التحرج عن المخالفات والمجاسرات .

٢٤ - باب الإخلاص :

قال الله - عز وجل - : « ألا لله الدين الخالص ، الإخلاص تصفية العمل من كل شوب (١) .

٢٥ - باب التهذيب:

قال الله - عز وجل - : « فلما أفل قال لا أحب الآفلين ، التهذيب محنة أهل البدايات ، وهو شريعة من شرائع الرياضة ، وهو على ثلاث درجات : الدرجة الأولى : تهذيب الخدمة : أن لا تخالجها جمالة ، ولا تشوبها عادة ، ولا تقف عندها همة ، والدرجة الثانية : تهذيب الحال : وهو أن لا ينجح الحال إلى علم ولا يخضع لرسم ، ولا يلتفت إلى حظ ، والدرجة الثالثة : تهذيب القصد : وهو تصفيته من ذل الإكراه ، وتحفظه من مرض الفتور ، ونصرتة على منازعات العلم .

(١) الشوب : الاختلال .

٢٦ - باب الاستقامة:

قال الله - عز وجل - : « فاستقيموا إليه ، قوله - عز وجل -
 « إليه ، إشارة إلى عين التفريد ، والاستقامة روح تحيا بها الأحوال ،
 كما تربو للعامة عليها الأعمال وهي برزخ بين أوهاد (١) التفرق
 وروابي (٢) الجمع .

٢٧ - باب التوكل :

قال الله - عز وجل - : « وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ،
 التوكل كلمة الأمر إلى ماله والتعويل على وكالته (٣) .

٢٨ - باب التفويض:

قال الله - عز وجل - : « فأفوض
 أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد » التفويض اللطف إشارة وأوسع
 معنى من التوكل ، فإن التوكل بعد وقوع السبب والتفويض قبل وقوعه
 وبعده ، وهو عين الاستسلام والتوكل شعبة منه .

٢٩ - باب الثقة:

قال الله - عز وجل - : « فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ، الثقة
 سواد عين التوكل ، ونقطة دائرة التفويض ، وسويداء قلب التسليم (٤) .

(١) الأوهاد : المواضع الوطيدة .

(٢) الروابي : العالية .

(٣) التوكل في العمل ؛ لأن التوكل إيجاب والإيجاب يقوم بالإيجاب وهو العمل
 ولا يقوم بالسلب أى عدم العمل ، وثمرة التوكل الاطمئنان في تفويض عاقبة الأمور إلى
 الله - تعالى - ، وعدم اليأس ، وعدم الإحباط .

(٤) التوكل والثقة مطلوبتان في العمل والجد والجهد .

٣٠ - باب التسليم :

قال الله - عز وجل - : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ، وهو على ثلاث درجات : الدرجة الأولى : تسليم ما يزاكم العقول مما يشق على الأوهام من الغيب ، والإذعان لما يغالب القياس من سير الدول (١) والقسم التي قسمها على خلقه ، والإجابة لما يفزع المرید من ركوب الأحوال ، والدرجة الثانية : تسليم العلم إلى الحال ، والقصد إلى الكشف ، والرسم إلى الحقيقة (٢) ، والدرجة الثالثة : تسليم ما دون الحق إلى الحق مع السلامة من رؤية التسليم بمعاينة تسليم الحق إليك إليه .

تم ذكر « شيخ الإسلام ، الأخلاق في عشرة أبواب وهي :
الصبر ، والرضى والشكر ، والحياء ، والصدق ، والإيثار ، والخلق ،
والتواضع ، والفتوة ، والانبساط .

٣١ - باب الصبر :

قال الله - عز وجل - : « واصبر وما صبرك إلا بالله ، الصبر حبس النفس على جزع كامن عن الشكوى ، وهو على ثلاث درجات :
الصبر عن المعصية ، الصبر على الطاعة ، والصبر في البلاء ، قال الله -

(١) أى تحول المجتمع بالقوة أو الضعف .

(٢) هذا من باب حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه أى يسلم صاحب العلم لصاحب الحال ، وصاحب النية والقصد لصاحب الكشف ، وصاحب الوقوف على الرسوم من الأعمال والأحوال لصاحب الحقيقة .

— ٢١٦ —

تعالى - : « اصبروا ، أى فى البلاء ، و « صابروا » أى عن المعصية ،
و « رابطوا » أى على الطاعة .

٣٢ - باب الرضى :

قال الله - عز وجل - : « ارجعى إلى ربك راضية مرضية ، الرضى
اسم للوقوف الصادق حيث ما وقف العبد لا يلتبس متقدماً ولا متأخراً ،
ولا يستزيد مزبداً ، ولا يستبدل حالاً .

٣٣ - باب الشكر :

قال الله - عز وجل - : « وقليل من عبادى الشكور ، الشكر اسم
لمعرفة النعمة ، لأنها السبيل إلى معرفة المنعم ، ولهذا المعنى سمي الله -
تعالى - الإسلام والإيمان فى القرآن الكريم شكراً ، ومعانى الشكر
ثلاثة أشياء : معرفة النعمة ، ثم قبول النعمة ، ثم الثناء بها .

٣٤ - باب الحياء :

قال الله - عز وجل - : « ألم يعلم بأن الله يرى ، الحياء يتولد
من تعظيم منوط بود^(١) »

٣٥ - باب الصدق :

قال الله - عز وجل - : « فإذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان
خييراً لهم ، قال « الشيخ سديد الدين ، : « الصدق حالة فى العبد حاملة

(١) المطلوب من الحياء الحياء من إتيان المنهيات والقبائح وخلاف الأدب ،
أما فى الحسنات فالحياء بأن يعمل ويقوم بها .

على إيقاع الفعل على وجهه مع الجذ وعدم الفتور^(١) ، وفي اللسان أخبار عما في القلب كما هو عليه .

٣٦ - باب الإيثار :

قال الله - عز وجل - : « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » الإيثار تخصيص واختيار^(٢) ، والأثرة تحس طوعا وتصح كرها .

٣٧ - باب الخلق :

قال الله - عز وجل - : « وإنك لعلى خالق عظيم ، الخلق ما يرجع إليه المتكاف (المجاهد) من نعمة ، واجتمعت كلمة الناطقين في هذا العلم أن التصوف هو الخلق ، وجماع الكلام فيه يدور على قطب واحد وهو : « بذل المعروف وكف الأذى » ، وإنما يدرك إمكان ذلك في ثلاثة أشياء : في العلم ، والجود ، والصبر .

٣٨ - باب التواضع :

قال الله - عز وجل - : « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا ، التواضع : أن يتواضع العبد لصولة الحق^(٣) .

٣٩ - باب الفتوة :

قال الله - عز وجل - : « إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى » فسكتة الفتوة أن لا تشهد لك فضلا ولا ترى لك حقا ، وهي على

(١) من كتاب شرح منازل السائرين ص (٨٩) مطبعة : المعهد الفرنسي بالقاهرة .

(٢) أى بقصد ونية حسنة .

(٣) أى لدعوته وقهره ، والحق ها هنا ضد الباطل .

ثلاث درجات : الدرجة الأولى : ترك الخصومة ، والتغافل عن الزلة ، ونسيان الأذية ، والدرجة الثانية : أن تقرب من يقصيك ، وتكرم من يؤذيك ، وتعتذر إلى من يحنى عليك سماحا لا كظما ، وتوددا وزأفا لامصاهرة ، والدرجة الثالثة : أن لا تتعلق في المسير بدليل ، ولا تشوب إجابتك بعرض ، ولا تقف في شهودك على رسم ، واعلم أن من أحوج عدوه إلى شفاعته ولم يخجل من المعذرة إليه لم يشم رائحة الفتوة .

٤٠ - باب الانبساط :

قال الله - عز وجل - : « حاكيا عن كلمه - عليه السلام - : « أهلكننا بما فعل السفهاء منا إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء » .

الانبساط إرسال السجية والتحاشى من وحشة الحشمة ، وهو السير مع الجبلية ، وهو على ثلاث درجات : مع الخلق ، مع الحق ، والانبساط في الانطواء عن الانبساط . وهو رجب الهمة لانطواء انبساط العبد في بسط الحق - جل جلاله - .

ثم ذكر « شيخ الإسلام » الأصول في عشرة أبواب وهي : -
القصود ، والعزم ، والإرادة ، والأدب ، واليقين ، والأنس ، والذكر ، والفقر ، والغنى ، ومقام المراد .

٤١ - باب القصد :

قال الله - عز وجل - : « ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله »

ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله ، القصد الإجماع (١) .
على التجرد للطاعات .

٤٢ - باب العزم :

قال الله - عز وجل - : « فإذا عزمتم فتوكل على الله ، العزم تحقيق
القصد طوعا أو كرها .

٤٣ - باب الإرادة :

قال الله - عز وجل - : « قل كل يعمل على شاكلته ، الإرادة
من قوانين هذا العلم وجوامع أبنيته وهي الإجابة لدواعي الحقيقة طوعا .

٤٤ - باب الأدب :

قال الله - عز وجل - : « والحافظون لحدود الله ، الأدب حفظ الحد
بين الغلو والجفاء ، بمعرفة ضرر العدوان .

٤٥ - باب اليقين :

قال الله - عز وجل - : « وفي الأرض آيات للموقنين ، اليقين مركب
الآخذ في هذا الطريق ، وهو غاية درجات العامة ، وقيل أول خطوة
الخاصة ، وهو على ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : علم اليقين . وهو قبول ما ظهر من الحق ، وقبول
ما غاب للحق ، والوقوف على مقام بالحق ، والدرجة الثانية : عين اليقين وهو
الغنى بالاستدراك عن الاستدلال وعن الخبر بالعيان ، وخرق الشهود حجاب .

(١) الإجماع : جمع الهمة على الشيء .

للعلم ، والدرجة الثالثة حق اليقين : وهو إسفار صبح الكشف (١) ، ثم الخلاص من كلفة اليقين ، ثم الفناء في حق اليقين .

٤٦ - باب الأنس :

قال الله - عز وجل - : « وإذا سألك عبادي عني فإني قريب ، الأنس عبارة عن روح القرب ، وذكر « شيخ الإسلام » له ثلاث درجات : الأنس بالشواهد ، الأنس بنور الكشف ، الأنس الذي هو اضمحلال في شهود الحضرة .

٤٧ - باب الذكر :

قال الله - عز وجل - : « واذكر ربك إذا نسيت » ، يعني إذا نسيت غيره ونسيت نفسك في ذكرك ، ثم نسيت ذكرك في ذكرك ، ثم نسيت في ذكر الحق إياك كل ذكر ، وهو على ثلاث درجات : الدرجة الأولى : الذكر الظاهر من ثناء أو دعاء ، والدرجة الثانية : الذكر الخفي : وهو الخلاص من الفتور ، والبقاء مع الشهود ، ولزوم المسامرة ، والدرجة الثالثة : الذكر الحقيقي : وهو شهود ذكر الحق إياك ، والتخلص من شهود ذكرك ، ومعرفة افتراء الذاكر في بقائه مع ذكره .

٤٨ - باب الفقر :

قال الله - عز وجل - : « يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله ، الفقر إسم للبراءة من رؤية الملكة . (هذا مبالغة لأن الفقير يتبرأ من الملك لامن رؤية الملكة) .

(١) أى كمال استنارة القلب بالكشف التام .

٤٩ - باب الغنى :

قال الله - عز وجل - : « ووجدك عائلاً فأغنى ، الغنى اسم للملك التام ، وهو على ثلاث درجات : الدرجة الأولى : غنى القلب . وهو سلامته من السبب ، ومسالمة تلحمه ، وخلاصه من الخصومة ، والدرجة الثانية : غنى النفس : وهو استقامتها على المرغوب ، وسلامتها من المسخوط . وبراءتها من المראה ، والدرجة الثالثة : الغنى بالحق : وهو على ثلاث مراتب : المرتبة الأولى : شهود ذكره إليك ، والثانية : دوام مطالعة أوليته ، والثالثة : الفوز بوجوده .

٥٠ - باب مقام المراد :

قال الله - عز وجل - : « وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب ، قال « ابن قيم الجوزية » : وجه استشهاد « شيخ الإسلام ، بالآية : أن الله - سبحانه - ألقى إلى رسوله كتابه ، وخصه بكرامته وأهله لرسالاته ونبوته من غير أن يكون ذلك منه على رجاء أو ناله بكسب أو توسل إليه بعمل ، بل هو أمر أريد به فهو المراد حقيقة (١) الفرق بين المراد والمريد هو أن « المراد ، هو المجنوب و « المريد ، هو السالك على طريق الجادة .

ذكر « شيخ الإسلام ، الأدوية في عشرة أبواب وهي : الإحسان ، والعلم ، والحكمة ، والبصيرة ، والفراصة ، والتعظيم ، والإلهام ، والسكينة ، والطمأنينة ، والهمة .

(١) من كتاب « مدارج السالكين ، لـ « ابن قيم الجوزية ، ص (٤٥٣ - ٤٥٤) .

٥١ - باب الإحسان :

قال الله - عز وجل - : « هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ، قد ذكرنا في صدر الكتاب أن الإحسان اسم جامع نبوى يجمع أبواب الحقائق وهو (أن تعبد الله كأنك تراه) .

٥٢ - باب العلم :

قال الله - عز وجل : وعلمناه من لدنا علماً ، العلم ما قام بدليل ودفع الجهل ، وهو على ثلاث درجات : علم جلى ، وعلم خفى ، وعلم لدنى .

٥٣ - باب الحكمة :

قال الله - عز وجل : « يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً ، الحكمة اسم لإحكام وضع الشئ . موضعه (١) ، وهو على ثلاث درجات ، الدرجة الأولى : أن تعطى كل شئ حقه ، ولا تعديه حده ، ولا تعجله وقته ، والدرجة الثانية : أن تشهد نظر الله فى وعيده ، وتعرف عدله فى حكمه ، وتلاحظ بره فى منعه . والدرجة الثالثة . أن تبلغ فى استدلالك البصيرة ، وفى إرشادك الحقيقية ، وفى إشارتك الغاية .

٥٤ - باب البصيرة :

قال الله - عز وجل - : « قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى ، البصيرة ما يخلصك من الخيرة .

(١) هذا حق لأن العالم بالمصالح والمفاسد هو الذى يضع الأشياء فى مواضعها على أحسن الوجه وأبلغ النفع وأوثق الوضع ؛ وهو الحكيم حقاً .

٥٥ - باب الفراسة :

قال الله - عز وجل - : « إن في ذلك لآيات للمتوسمين ، التوسم التفريس وهو استئناس حكم غيب من غير استدلال بشاهد ، ولا اعتبار بتجربة .

٥٦ - باب التعظيم :

قال الله - عز وجل - : « ما لكم لا ترجون لله وقارا ، التعظيم معرفة العظمة مع التذلل لها ، وهو على ثلاث درجات : تعظيم الأمر والنهي ، وتعظيم الحكم ، وتعظيم الحق .

٥٧ - باب الإلهام :

قال الله - عز وجل - : « قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك قبل أن يرتد إليك طرفك ، الإلهام مقام المحدثين (١) وهو فوق الفراسة ، لأن الفراسة ربما وقعت نادرة أو استصعبت على صاحبها وقتاً واستعصت عليه ، والإلهام لا يكون إلا في مقام عتيد ، (الإلهام : إلقاء الخير في قلب المؤمن) .

٥٨ - باب السكينة :

قال الله - عز وجل - : (وهو الذى أنزل السكينة (٢) في قلوب

(١) قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : « إنه كان في الأمم قبلكم محدثون ، فإن يكن في هذه الأمة فعمرو بن الخطاب ، المحدث : هو الذى يحدث في سره وقلبه بالشيء ، فيكون كما يحدث به . من كتاب مدارج السالكين ، ص ٣٩ .

(٢) السكينة الوقار من الله - تعالى - .

المؤمنين) السكينة اسم لثلاثة أشياء : أولها سكينة بنى إسرائيل التي أعطوها في التابوت ، قال أهل التفسير : « هي ريح هفافة » ، وذكروا صفتها ، وفيها ثلاثة أشياء : هي لأنبيائهم معجزة ، ولملوكهم كرامة ، وهي آية النصر تخلص قلوب العدو بصوتها ربعا ، والسكينة الثانية التي تنطق على ألسن المحدثين ليست هي شيئا يملك (بل) إنما هي شيء من لطائف صنع الحق تلقى على لسان المحدث الحكمة ، كما يلقي الملك الوحي على قلوب الأنبياء ، وتنطق المحدثين بنكت الحقائق مع ترويح الأسرار (أى يعطى روحا للأسرار) وكشف الشبه ، والسكينة الثالثة : هي التي أنزلت في قلب النبي - صلى الله عليه وسلم - وقلوب المؤمنين ، وهي شيء يجمع نورا ، وقوة ، وروحا ، يسكن إليه الخائف ، ويتسلى به الحزين والضجر ، ويستكين له العصي والجرى والأبي .

٥٩ - باب الطمأنينة :

قال الله - عز وجل - : « يا أيها النفس المطمئنة ، الطمأنينة سكون يقويه أمن صحيح شبيه بالعيان ، وبينه وبين السكينة فرقان : أحدهما : أن السكينة صولة تورث خمود الهيبة أحيانا ، والطمأنينة سكون أمن فيه استراحة أنس ، والثاني : أن السكينة تكون نعتا ، وتكون حيناً بعد حين ، والطمأنينة نعت لا يزال صاحبه .

٦٠ - باب الهمة .

قال الله - عز وجل - : « ما زاغ البصر وما طغى ، الهمة ما يملك الانبعاث للمقصود صرفا لا يتمالك صاحبها ولا يلتفت عنها ، وهي على ثلاث درجات : الدرجة الأولى : همة تصون القلب من خسة الرغبة في الفاني ،

وتحملة على الرغبة في الباقي ، وتصفيه من كدر التواني (١) ، والدرجة الثانية : همة تورث أنفة من المبالاة بالعلل ، والنزول عن العمل ، والثقة بالأمل ، والدرجة الثالثة : همة تصاعد عن الأحوال والمقامات ، وتزرى (٢) بالأعواض والدرجات ، وتنحو عن النعوت نحو الذات .

ثم ذكر شيخ الإسلام ، الأحوال في عشرة أبواب ، وهي : -
المحبة ، والغيرة ، والشوق ، والقلق ، والعطش ، والوجد ، والدهش ،
والهيمان ، والبرق ، والذوق .

٦١ - باب المحبة :

قال الله - عز وجل - : « من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه » المحبة تعلق القلب بين الهمة والأنس في البذل . والمنع (٣) على الأفراد (٤) ، والمحبة أول أودية الفناء (٥) والعقبة التي ينحدر منها على منازل المحو (٦) ، وهي آخر منزل تلقى فيه مقدمة

(١) التواني : الكسل .

(٢) تزرى : تعيب أو تهاون .

(٣) أى تعلق القلب بالمحجوب تعلقاً مقروناً بهمة المحب وأنسه بالمحجوب في حالتي بذله ومنعه ، وإفراده بذلك التعلق بحيث لا يكون لغيره فيه نصيب ، والمراد بالبذل والمنع إما بذل الروح والنفس لمحجوبه ومنعها عن غيره فيسكون البذل والمنع صفة المحب ، وإما بذل الحبيب ومنعه للنعم .

(٤) المقصود أفراد المحب لمحجوبه بالتوحيد والمحبة .

(٥) فناء خواطر المحب عن التعلق بالغير .

(٦) أول منازل المحو هو محو الأفعال في فعل الحق - تعالى - فلا يرى لنفسه ولا لغيره فعلاً ، والثاني محو الصفات فلا يرى الصفات إلا وهبة وهبها .

- ٢٧٦ -

العامّة وساقّة الخاصّة ، وما دونها أغراض لأعراض ، والمحبة هي سمة الطائفة (١) ، وعنوان الطريقة (٢) ، ومعقد النسبة (٣) .

٦٢ - باب الغيرة :

قال الله - عز وجل - حاكيا عن سليمان - عليه السلام - : «ردوها على فططق مسحا بالسوق والأعناق ، الغيرة سقوط الاحتمال ضنا (بخلا) والضيق عن الصبر نفساسة (منافسة لا جزعا)» .

٦٣ - باب الشوق :

قال الله - عز وجل - : «من كان يرجوا لقاء الله فإن أجل الله لآت ، الشوق هبوب القلب إلى غائب ، ثم هو على ثلاث درجات : شوق العابد إلى الجنة . وشوق إلى الله - عز وجل - ، ونار أضرهما صفو المحبة .

٦٤ - باب القلق :

قال الله - عز وجل - حاكيا عن موسى - عليه السلام - : «وعجلت إليك رب لترضى ، القلق تحريك الشوق بإسقاط الصبر ،

٦٥ - باب العطش :

قال الله - عز وجل - حاكيا عن خليله - عليه السلام - فلما جن

(١) المسافرين إلى ربهم .

(٢) أى دليلها .

(٣) أى النسبة بين الرب وبين العبد .

— ٢٧٧ —

عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربى . العطش كناية عن غلبة ولوع (١)
بأمول .

٦٦ — باب الوجد :

قال الله - عز وجل - : « وربطنا على قلوبهم إذ قاموا ، الوجد لذب
يتأجج من شهود عارض مقلق .

٦٧ — باب الدهش :

قال الله - عز وجل - : « فلما رأيته أكبرنه ، الدهش بهتة تأخذ
العبد إذا فاجأه ما يغلب عقله أو صبره أو علمه .

٦٨ — باب الهيمان :

قال الله - عز وجل - : « وخر موسى صعقا ، الهيمان ذهاب عن
التماسك تعجبا أو حيرة ، وهو أثبت دواما وأملك بالنعمة من الدهش .

٦٩ — باب البرق :

قال الله - عز وجل - : « إذ رأى نارا ، البرق باكورة تلمع للعبد
فتدعوه إلى الدخول في هذا الطريق ، والفرق بينه وبين الوجد ، أن
الوجد يقع بعد الدخول فيه ، فالوجد زاد (٢) ، والبرق إذن (٣) .

(١) اشتعال وتعلق .

(٢) يعنى أنه يصحب السالك كما يصحبه زاده .

(٣) يعنى إذن في السلوك .

٧٠ - باب الذوق :

قال الله - عز وجل - : هذا ذكر ، الذوق أبقى من الوجد وأجلى من البرق ، كتب ابن قيم الجوزية ، أن الذوق مقدمة الشرب ، كما أن التذكر مقدمة المعرفة ، ومنه يدخل إلى مقام الإيمان والإحسان ، فإنه إذا تذكر أبصر الحقيقة (١) .

ثم ذكر شيخ الإسلام ، الولايات في عشرة أبواب ، وهي : اللحظ ، والوقت ، والصفاء ، والسرور ، والسر ، والنفس ، والغربة ، والغرق ، والغيبة ، والتمسك .

٧١ - باب اللحظ :

قال الله - عز وجل - : أنظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني . اللحظ لمح مسترق (٢) ، وهو في هذا الباب على ثلاث درجات : ملاحظة الفضل سابقا ، وملاحظة نور الكشف ، وملاحظة عين الجمع .

٧٢ - باب الوقت :

قال الله - عز وجل - : ثم جئت على قدر يا موسى ، الوقت اسم لظرف

(١) من كتاب « مدارج السالكين » ، ص ٨٩ .

(٢) مسترق أما بالتخفيف أى لمح بسرقة وخفية بحيث لا يشعر به الملبوح لتعظمه وإجلاله أو خوفه رسطونه ، أو محبته ، أو الحياء من الملبوح ، أو بتشديد القاف أى لمح يجعل قلب اللامع رقيقا بجمال الملبوح وكماله .

— ٢٧٩ —

الكون وهو اسم في هذا الباب لثلاث معان : حين وجد صادق ، واسم ، لطريق سالك والوقت الحق .

٧٣ — باب الصفاء :

قال الله - عز وجل - : « وانهم عندنا لمن المصطفين الأخيار » الصفاء اسم للبراءة من الكدر ، وهو في هذا الباب سقوط التلوين .

٧٤ — باب السرور :

قال الله - عز وجل - : « قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا ، وهو أصفى من الفرح ؛ لأن الأفراح ربما شابتها الأحزان ، ولذلك نزل القرآن باسمه في أفراح الدنيا في مواضع ، وورود اسم السرور في موضعين من القرآن في حال الآخرة .

٧٥ — باب السر :

قال الله - عز وجل - : « الله أعلم بما في أنفسهم ، أصحاب السر هم الأخفياء الذين ورد فيهم الخبر (١) .

٧٦ — باب النفس :

قال الله - عز وجل - : « فلما أفاق قال سبحانك ، يسمي النفس

(١) الخبر : هو قوله — عليه السلام — : « الذين إذا حضروا لم يعرفوا ، وإذا غابوا لم يفقدوا ، وإذا شهدوا لم يستشاروا ، وفي رواية : وإذا خطبوا لم ينكحوا » .

نفساً لترويح المتنفس به ، والأنفاس ثلاثة : نفس في حين استتار ،
نفس في حين التجلي ، ونفس مطهر بماء القدس .

٧٧ - باب الغربية :

قال الله - عز وجل - : « فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلاً ممن أنجينا منهم ،
« الاغتراب اسم يشار به إلى الانفراد عن الأكفاء ، ، كتب
« ابن قيم الجوزية ، : « يريد أن كل من انفرد بوصف شريف دون
أبناء جنسه ، فإنه غريب بينهم لعدم مشاركته أو لقلته ، (١) .

٧٨ - باب الغرق :

قال الله - عز وجل - : « فلما أسلما وتله للجبين ، هذا اسم
يشار به في هذا الباب إلى من توسط المقام (٢) وجاوز حد التفرق .
وجه الاستدال بأشارة الآية هو : « أن ابراهيم صلى الله على نبينا
وعليه السلام - لما بلغ ما بلغ هو وولده في المبادرة إلى الامتثال
ألقاه الوالد على جبينه في الحال وأخذ الشفرة وأهوى إلى حلقه ،
فأعرض في تلك الحال عن نفسه وولده وفنى بأمر الله عنهما ، فتوسط
في المقام ووصل بحر جمع السر والقلب والمهم على الله ، وجاوز حد
التفرقة المانعة من امتثال هذا الأمر ، .

(١) من كتاب « مدارج السالكين » ، ج (٣) ص (٢٠١) .

(٢) المقام عند السالكين يختلف باختلاف مراتبه وله بداية وتوسط ونهاية ،
والفرق في وسط المقام .

٧٩ - باب الغيبة :

قال الله - عز وجل - : « وتولى عنهم وقال يا أسفى على يوسف والغيبة التى يشار بها فى هذا الباب على ثلاث درجات : الدرجة الأولى : غيبة المريد فى تخلص القصد عن أيدي العلائق ودرك العوائق لالتماس الحقائق ، والدرجة الثانية : غيبة السالك عن رسوم العلم ، وعلل السعى ، ورخص الفتور ، والدرجة الثالثة : غيبة العارف : عن عيون الأحوال والشواهد والدرجات فى حصن الجمع .

٨٠ - باب التمكن :

قال الله - عز وجل - : « ولا يستخفنك الذين لا يوقنون ، التمكن فوق الطمأنينة وهو إشارة إلى غاية الاستقرار ، وهو على ثلاث درجات : تمكّن المريد ، وتمكّن السالك ، وتمكّن العارف . ثم ذكر « شيخ الإسلام ، الحقائق فى عشرة أبواب وهى : - المكاشفة ، والمشاهدة ، والمعانية ، والحياة ، والقبض ، والبسط والسكر ، والصحو ، والاتصال ، والانفصال .

٨١ - باب المكاشفة :

قال الله - عز وجل - : « فأوحى إلى عبده ما أوحى ، المكاشفة مهادة السر بين متباطنين^(١) ، وهى فى هذا الباب بلوغ ما وراء

(١) مهادة السر : أى تردد السر على وجه الألفاف والمودة بين متباطنين : أى باطن المكاشف بكسر الشين والمكاشف بفتح الشين ، فيريد بمهادة السر بين متباطنين . اطلاع أحد المتحابين المتصافيين صاحبه على باطن أمره وسره .

الحجاب وجوداً^(١) ، كتب د حسن بن محمد الفركاوى ، قيل :
المكاشفة هى علم يخلقه الله فى قلب العبد يطلعه به على عجائب
ما شاهد^(٢) ، وكتب د الإمام سديد الدين ، : المقصود بها فى هذا
المحل بلوغ العبد بعون الحق إلى مطالعة ما انصف به الحق من كمال
الصفات ، والتفضل بأنواع المواهب والكرامات عن وجود
وتحقيق^(٣) .

٨٢ - باب المشاهدة :

قال الله - عز وجل - : « إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى
السمع وهو شهيد ، المشاهدة : سقوط الحجاب بتا ، وهى فوق المكاشفة
لأن المكاشفة ولاية النعت^(٤) وفيه شئ من بقاء الرسم ، والمشاهدة ولاية
العين والذات ، وهى على ثلاث درجات : مشاهدة معرفة ، ومشاهدة
معاينة ، ومشاهدة جمع .

٨٣ - باب المعاينة :

قال الله - عز وجل - : « ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ،
المعاينات ثلاث : أحداها معاينة الأبصار ، والثانية : معاينة عين القلب ،
والمعاينة الثالثة : معاينة عين الروح .

(١) وجودا احتراز من بلوغه سماعا وعلميا .

(٢) من كتاب د شرح منازل السائرين ، ص (١٢١) .

(٣) من كتاب شرح د سديد الدين ، ص (١٩٠) .

(٤) يريد أن المكاشفة تتعلق بالصفات الإلهية .

٨٤ - باب الحياة :

قال الله - عز وجل - : « أو من كان ميتاً فأحييناه ، اسم الحياة في هذا الباب يشار به إلى ثلاثة أشياء : الحياة الأولى : حياة العلم من موت الجهل لها ثلاثة أنفاس : نفس الخوف ، ونفس الرجاء ، ونفس المحبة . والحياة الثانية : حياة الجمع من موت التفرقة : لها ثلاثة أنفاس : نفس الاضطراب ، ونفس الافتقار ، ونفس الافتخار . والحياة الثالثة : حياة الوجود : وهي حياة بالحق لها ثلاثة أنفاس : نفس الهيبة وهو يمت الاعتلال ، ونفس الوجود وهو يمنع الانفصال ، ونفس الانفراد وهو يورث الاتصال ، وليس وراء ذلك ملاحظ للنظارة ولا طاقة للإشارة .

٨٥ - باب القبض :

قال الله - عز وجل - : « ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً ، القبض في هذا الباب اسم يشار به إلى مقام الضنائن الذين ادخرهم الحق اصطفاً لنفسه (١) .

٨٦ - باب البسط .

قال الله - عز وجل - : « يذروكم فيه ، البسط أن ترسل شواهد العبد في مدارج العلم ، ويسبل على باطنه رداء الاختصاص وهم أهل التلبس (٢) .

(١) الضنائن : جمع ضنينة وهي الخاصة ، يضن بها صاحبها أى يدخل بينها ويصطفها لنفسه ، والادخار من الذخر وهو ما يعده المرء لخواتمه ومصالحه ، والاصطفاء بمعنى الاصطفاء .

(٢) هم مع الناس مخالطون ، والناس يرون ظواهرهم ، وقد ستر الله حقائهم =

(٨٧) باب السكر :

قال الله - عز وجل - حاكيا عن كلمه - عليه السلام - : « قال رب أرني أنظر إليك ، السكر في هذا الباب اسم يشار به إلى سقوط التمالك في الطرب ، وهذا من مقامات المحبين خاصة ، فإن عيون الفناء لا تقبله ومنازل العلم لا تبلغه ، وللسكر ثلاث علامات : الضيق عن الاشتغال بالخبر والتعظيم قائم ، واقتحام لجة الشوق والتمكن دائم ، والغرق في بحر السرور والصبر هائم (ذاهب عنه) ، ونعم ما قال « شيخ الإسلام » بعده : « وما سوى ذلك فكله نقائص البصائر كسكر الحرص ، وسكر الجهل ، وسكر الشهوة » .

٨٨ - باب الصحو :

قال الله - عز وجل - : « حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق ، الصحو فوق السكر وهو يناسب مقام البسط ، والصحو مقام صاعد عن الانتظار مغن عن الطلب طاهر من الحرج فإن السكر إنما هو في الحق ، والصحو إنما هو بالحق .

= وأحوالهم وكراماتهم عن رؤية الخلق لها ؛ لئلا يفتنوا بهم ، فخالهم ملتبس على الناس لا يعرفونه ، فإذا رأوا منهم ما يرون من أبناء الدنيا من الأكل والشرب وسائر المعاملات الدنيوية قالوا : هؤلاء من أهل الدنيا ، وإذا رأوا منهم الجدة ، والهمم ، والصبر ، والصدق ، وحلاوة المعرفة ، والإيمان ، والذكر ، وسائر الأخلاق السامية قالوا : هؤلاء من أبناء الآخرة .

٨٩ - باب الاتصال :

قال الله - عز وجل - : « ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى ، والاتصال ثلاث درجات الدرجة الأولى : اتصال الاعتصام ، ثم اتصال الشهود ، ثم اتصال الوجود ، فاتصال الاعتصام تصحيح المقصد ، ثم تصفية الإرادة ، ثم تحقيق الحال ، والدرجة الثانية : اتصال الشهود ، وهو الخلاص من الاعتلال ، والغنى عن الاستدلال ، وسقوط شتات الأسرار ، والدرجة الثالثة : اتصال الوجود ، وهذا الاتصال لا يدرك منه نعت ولا مقدار إلا لاسم معار ولمح إليه مشار .

٩٠ - باب الانفصال :

قال الله - عز وجل - : « ويحذركم الله نفسه » .
ثم ذكر « شيخ الإسلام » النهايات في عشرة أبواب ، وهي :
المعرفة ، والفناء ، والبقاء ، والتحقيق ، والتلبس ، والوجود ، والتجريد ، والتفريد ، والجمع ، والتوحيد .

٩١ - باب المعرفة :

قال الله - عز وجل - : « وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق » المعرفة إحاطة بعين الشيء كما هو (١) ، وهي على ثلاث درجات ، والخلق فيها ثلاث فرق : معرفة الصفات

(١) الإحاطة بمرئ الشيء . كما هو تكون في معرفة العامة باعتبار الصفات والنعموت . وفي معرفة الخاصة بالتقرب إلى الذات ، وفي معرفة خاصة الخاصة بالاستغراق في حب الله بحيث لا يضع دقة من حياته بدون مشاهدة الله هي مرتبة علم لدني لا دخل فيها الاستدلال ولا للوسائل الصورية ، ولا يمكن التعبير عنها كما هو .

والنعوت ، وهي معرفة العامة ، ومعرفة الذات ، وهي معرفة الخاصة ، ومعرفة مستغرقة في محض التعريف لا يوصل إليها الاستدلال ولا يدل عليها شاهد ولا تستحقها وسيلة ، وهي معرفة خاصة الخاصة .

٩٢ - باب الفناء :

قال الله - عز وجل - : « كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ، الفناء في هذا الباب اضمحلال ما دون الحق علماً ، ثم جحداً ، ثم حقاً (١) .

٩٣ - باب البقاء :

قال الله - عز وجل - : « والله خير وأبقى ، البقاء اسم لما بقي قائماً بعد فناء الشواهد وسقوطها ، وهو على ثلاث درجات : بقاء المعلوم بعد سقوط العلم عيناً (٢) لا علماً ، وبقاء المشهود بعد سقوط الشهود وجوداً لا نعتاً ، وبقاء ما لم يزل حقاً بإسقاط ما لم يكن محوياً (٣) .

٩٤ - باب التحقيق :

قال الله - عز وجل - : « أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي

(١) هذه الثلاثة هي مراتب الاضمحلال ، فإن الرب - سبحانه - إذا رقى نور باطن عبده وعقله بالعلم تدريجاً فهو في المرتبة الأولى يرى أنه لا خالق سواه ، ولا رب غيره ، ولا يملك الضر والنفع غيره ، ولا يستحق أن يعبد سواه ، فهذا توحيد العلم ، وفي الثانية يشهد أن أفعال العباد تعود إلى أفعاله - سبحانه - فيجحد أن يكون لسواه من نفسه شيء البتة ، ثم إذا رقاها إلى المرتبة الثالثة يشهد قيام العوالم كلها به - تعالى - أي بإقامته لها وإمساكها لها فهو الموجود الحقيقي المستغن عن كل ما سواه ، وكل ما سواه فقير إليه بالذات لا قيام له بنفسه طرفة عين .

(٢) عيناً حال من البقاء : أي باق عيناً لا علماً مجرداً .

(٣) وبقاء تعظيم من لم يزل يذكره ، وحيه ، والاشتغال به لا بغيره .

«التحقيق تلخيص مصحوبك من الحق»^(١)، ثم بالحق، ثم في الحق، .

٩٥ - باب التلبيس :

قال الله - عز وجل - : «وللبسنا عليهم ما يلبسون» التلبيس تورية بشاهد معار عن موجود قائم^(٢) . (المراد بشاهد معار الظاهر الذي أعاره وبموجود قائم ما ستر على الغير) .

٩٦ - باب الوجود :

أطلق الله - عز وجل - في القرآن اسم الوجود صريحاً في مواضع، فقال : «يجد الله غفوراً رحيماً»، «لوجدوا الله تواباً رحيماً»، «وجد الله عنده»، الوجود اسم للظفر بحقيقة الشيء .

٩٧ - باب التجريد :

قال الله - عز وجل - : «فاخلع نعليك»، التجريد انخلاع عن شهود الشواهد، (والمراد بالشواهد ما سوى الحق - سبحانه -) .

٩٨ - باب التفريد :

قال الله - عز وجل - : «ويعلمون أن الله هو الحق المبين» التفريد اسم لتخليص الإشارة إلى الحق، ثم بالحق، ثم عن الحق^(٣) . (الفرق بين التجريد والتفريد : أن «التجريد» إنقطاع عن الأغيار و «التفريد» أفراد الحق بالإيثار فإذاً الأول متعلق بالعبودية، والثاني بالمعبود) .

(١) المصحوب المعلوم والحق هو الله - سبحانه - ، فمصحوب العبد من الحق هو معرفته ومحبه، وتلخيصه هو تلخيصه من المفسدات القاطعة عنه .

(٢) خوفاً من الفتنة، أو للامتحان .

(٣) كتب «ابن قيم الجوزية» الإشارة إليه غاية، والإشارة به وجود =

٩٩ - باب الجمع :

قال الله - عز وجل - : « وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ،
الجمع ما أسقط التفرقة (١) ، وقطع الإشارة ، وشخص عن الماء والطين (٢)
بعد صحة التمكن والبراءة من التلويح ، والخلاص من شهود الثنوية ، والتنافي
من إحساس الاعتلال ، والتنافي من شهود شهودها . »

١٠٠ - باب التوحيد :

التوحيد عند شيخ الإسلام ، كما ذكرناه سابقاً هو أن ينزه العبد
الله - جل شأنه - عن كل ما يعرض للحوادث ، ولما كان علم العبد ومعرفة
لا يمكن أن يصل إلى كنهه الوحدانية القائمة به - تعالى - فتنزيهه له
ناقص ، فإذن الوحدانية التي اتصف بها الله - تعالى - حقيقة خارجة
عن حمد تعبيرات العباد ، فلذلك أنشد عبد الله الأنصاري ، في حق
توحيد الصوفي ، وقال :

== والإشارة عنه لإخبار وتبليغ ، فمن خلاصت إشارته إلى الحق كان من المخلصين ، ومن كانت
إشارته به فهو من الصادقين ، ومن كانت إشارته عنه فهو من المبلغين ، ومن اجتمعت
له الثلاثة فهو من الأئمة العارفين ، ص (٤٢١) « مدارج السالكين » .
(١) المراد بالجمع : الجمع بين الإرادة وبين الطلب على مراد المطلوب وحده ،
وبالتفرقة تفرقة الهممة والإرادة ، أو يراد بالجمع جمع الشهود ، وبالتفرقة
ما يتنافى ذلك .

(٢) شخص عن الماء والطين : أي عن عوارض المادية وهذا إنما يصح بعد
الاستقرار في معرفة الله - تعالى - وبعد الاحتراز من التلويحات المادية ومشاهدات
الشرك وما يعتل الخواص بحيث ينقي مواهبه عن كل ما يشغله غير الله - سبحانه -
وتعالى - .

ما وجد الواحد من واحد إذ كل من وحده جاحد
توحيد من ينطق عن نفعه عارية أبطلها الواحد
توحيد إياه توحيده ونعت من ينعت لاجد^(١)

يظهر من المطالعة العميقة لما جاء به «شيخ الإسلام» من مائة مقام أنه بقوة ذكائه، واستمرار مطالعته، وكفاحه العملي وصل إلى درجة أن رسم خطة إصلاحاته الروحية والأخلاقية في مائة مقام، فرتب المقامات وما فيها على نهج يسهل على السالكين معرفتها.

لا أنكر أن «شيخ الإسلام» استفاد في معرفة أكثر هذه المقامات من أقوال المتصوفين العظام، ولكن أقوالهم ليس بهذا الترتيب والتحليل الدقيق، والسر الأصلي هو أنه لطول دقته في الآيات القرآنية والعمل المستمر منه في السلوك على الصراط المستقيم أمكنه أن يقدم المبادئ الروحية الجديدة في أحسن وأدق صورة.

نعم: هو اتجه أولاً إلى الأمراض الروحية والاجتماعية والخلقية، ثم حاول أن يعرف العلاج الناجح حتى استطاع أن يملئ نسخة صحيحة لمعالجة هذه الأمراض.

لا شك أن «شيخ الإسلام» أدرج في مقاماته من القيم الروحية التي تزداد قيمتها وأهميتها على مر الدهور، وأن من يقرأها يجد فيها روح الحياة، والصلاح، والفلاح، والسعادة.

فلهذا حاول كثير من العلماء العظام فهم مقامات كتاب «منازل السائرين»

(١) من كتاب «منازل السائرين»، لـ «عبد الله الأنصاري».

— ٢٩٠ —

فكتبوا عليه ثمانية عشر شرحاً ، واتفق العلماء بأن هذا الكتاب أحسن الكتب التي كتبت في التصوف لمعرفة المنازل والمقامات التي يسير عليها السالك في الوصول إلى الحق .

ثم بعد التجارب الكثيرة التي مرت على «شيخ الإسلام» ، عبد الله الأنصاري ، عرف العلل التي تدخل في تلك المقامات وتخفي على المريد المبتدئ ، فأمل «شيخ الإسلام» ، على تلميذه «صالح أبي الفتح» ، في جواب ما سأل عنه الرسالة الصغيرة التي سميت بـ «علل المقامات» ، ولما كان في هذه الرسالة من أهم القيم العلمية وأن العثور عليها لا يحصل إلا بالمشقة ، فهأنذا أقدم نصوصها فيما يأتي :

نصوص رمزية « علل المقامات » لـ « عبد الله الأنصارى » التي تتعلق بالآداب الباطنية

أخبرنا الشيخ الإمام « برهان الدين أبو الفتح يوسف بن محمد ابن مقلد التنوخي الدمشقي ، - رحمه الله - قال : « قرأت على الشيخ الإمام الصالح « أبي الفتح عبد الملك أبي القاسم الكروخي ، من كتابه الذي منه نقلت فأقر به ، قال « شيخ الإسلام ، « أبو اسماعيل عبد الله ابن محمد الأنصارى ، في حق شيء من العلل التي تدخل المقامات وتخفى على المريد المبتدى ما يأتي : -

باب الإرادة :

أما الإرادة فإنها للعوام ، وهي صحة القصد وعزم النية والإزماع (١) على طلب ، وهي في طريق الخاصة تفرق ورجوع إلى النفس ، فإن إرادة العبد عين حظه وهو رأس الدعوى ، وإنما الجمع والوجود والفناء فهمي حيثما يراد بالعبد ، ويراد له ، ويريد مولاه « وإن يردك بخير فلا راد لفضله .

باب الزهد :

وأما الزهد فإنه للعوام ، وهو حبس النفس عن الملذات ، وإمساكها عن الفضول ، وحسم الجأش (٢) ، وقطع الهوى ، وذكر ما لا يغني عن

(١) الإزماع : عبارة عن دهشة ورعدة تعترى الإنسان إذا هم بالأمر الأهم .

(٢) جأش : اضطراب .

كل شيء، وهذا في طريق الخاص تعظيم الدنيا والاحتباس عن انتفادها وأصله تعذيب الظاهر بتركها مع تعلق الباطن بياها فان المبالاة بالدني عين الرجوع إلى ذاتك وإلا ساءت في منازعة نفسك وافناء وقتك في شهود حسك وبقاءك معك (فامنن أو أمسك بغير حساب) (١).

باب التوكل :

وأما التوكل فانه للعوام، وهو أن تسلك الأمر إلى مولاك والتجاؤك إلى علمه ورأفته ليدبره لك ويكفيك، وهذا في طريق الخاص عمى عن الكفاية لأن الله - تعالى - لم يترك أمراً مهماً إلى مكيفيا على قدر وإن اختلف في العقول، وتشوش الأعين، أو اضطرب في المعهود، أو تراجع في التجاذب، وهو الأول المدبر، والتدبير أقدم (٢).

باب الصبر :

وأما الصبر فهو كف الشكوى على مرارة البلوى، وعقد اللسان عن الحكاية عن كف الأذى، وتوطين النفس على المكروه، وهذا في طريق الخاص حجاب؛ لأنه منازعة فإن أصل هذا كتمان الشكوى، والحقيقة الخروج عن الشكوى في التلذذ باختيار المولى والذهاب به عن كل حال وارد بمر أو حلو (لكنيلا تأسوا على ما فاتكم).

(١) الحاصل أن الزهد عند العامة هو حبس النفس وإمساكها عن الملذذات والفضول، وقطع الاضطرابات والهوى، وعند الخواص قطع العلائق عن كل ما يشغلك حتى عن الزهد أيضاً.

(٢) التوكل عند العوام: التجاء وانسكال إلى المولى، وعند الخواص لا حاجة إلى هذه المشقة، بل يلزم الاعتماد بأنه لم يترك أمراً مهماً إلا مكيفيا على قدر.

باب الحزن :

وأما الحزن فهو الانخلاع عن البطر والملذات ، وملازمة الكتابة ، وهو للعوام ، فإنه نسيان المنّة والبقاء في رق الطمع ، وهذا في طريق الخاص حجاب ؛ لأن معرفة الله تعالى - جلى نورها كل ظلمة وكشف سرورها كل غمة (فبذلك فليفرحوا) .

باب الخوف :

وأما الخوف فهو التيقظ لنداء الوعيد ، والحذر مما تثمره الغفلات وتوجيه الجنائيات ، وهو للعوام ، وفي طريق الخاص هو أصل رضى العبد بفعله لأنه يرضى بعض أفعاله ويخاف بعضها وهو يؤدي إلى طلب الأمان من مولاه الذى يستحق محبته ، والخائف باق فى مشاهدة ذاته والنضح (١) عن نفسه ، ولا يؤمن أن يعبد مولاه على وحشة من نظره ونفرة من الأنس به عن فكره (ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع به) .

باب الرجاء :

وأما الرجاء فهو انتظار غائب وطلب مفقود ، وهو للعوام ، وفي طريق الحق شكوى وعنى ، ومن هو على سبيل البرطاف وفي بحر الجود غريق وتحت وابل الإحسان مغمور لم يدع له ما شاهد من مولاه مستزاداً ، ولا كشف له عما طالعه به فى الدارين مراداً . والرجاء وهن وعقال ، وفي طريق الفطرة علة وعلى العبودية اتجار (مادون الله تريدون) .

(١) النضح : الدفاع . من المنجد .

باب الشكر :

وأما الشكر فهو رؤية النعمة ، والثناء على معطيها ، والقيام بحقها ، والإقرار بوجودها ، وهو للعوام لأنه معارضة طوله بحولك ، وفي طريق الخاص هو القيام بمكافأة المعطي ، والحرب من رق المنة ، والاستراحة من حق الجود ، والظهور في معرض المقاومة والالحوظ إلى قوة النفس ، وهو عين البقاء (لا تحصوها) .

باب المحبة :

وأما المحبة أى محبة العبد ربه فهو طلوع العبد بين يدي عزة مولاه ، وهى فى طريق العوام عمدة الإيمان ، وفى طريق الخاص علة الفناء ، لأن العوام بها يحتلبون الخدمة ويتحملون المحنة ، وفى طريق الخاص كل ما كان نتيجة من العبد فهو عذر يليق بعجز العبد وفاقته ، وأما عين الحقيقة عند الخاص أن يكون للعبد إقامة الحق بقيامه له ووده له ونظرة له من غير أن يبق من العبد بقية له تتوقف على رسم أو تنوط باسم أو تتعلق بأثر أو توصف بنعت أو تنسب إلى وقت (لدينا محضرون) .

باب الشوق :

وأما الشوق فهو غلبة ذكر متمن ، واضطرار الصبر عن فقده ، وشدة طلبه ، وهو للعوام ، وفى طريق الخاص علة ؛ لأن الشوق يكون إلى غائب والمشتاق إليه حاضر ، وطريق الخاص أن يكون غائبا والحق حاضر ، ولم ينطق بالشوق كتاب ولا سنة صحيحة ؛ لأن الشوق مخبر عن بعد ، ومشير إلى غيبة ، ومتطلع إلى إدراك (وهو معكم أينما كنتم) .

طريق الخاصة :

واعلم أن التآني للتعلم والمسترشد ، والتعاسر على المنيع للسائل ،
 وخرق سفينة المساكين ، وقتل الغلام غير البالغ ليس من قدرة الخلق
 في شيء بالابدال عنها لكن إرادة أهل الخصوص التجرد عن المرات
 كلها بمشاهدة مراد الحق فيه وله وإياه (أو أرادني برحمة هل هن
 مسكات رحمته) ، فزهدهم جمع الهمة عن تفرقات الكون لأن الحق
 عافهم بنور الكشف عن التعلق بالأحوال (إنا أخلصناهم بخالصة
 ذكرى الدار) وتوكلهم رضاهم بتدبير الحق وتخلصهم من تدبيرهم ،
 والضيق الداعي إلى تفويض أمورهم إلى استصلاح شأنهم ، لوقوعهم على
 فراغ المدبر عن كفايتهم ، ومرها على عليه مصالحهم ، وتخلصهم من
 منازعته فيها (راضية مرضية) وصبرهم تهيو قلوبهم هو من ظن السوء
 فإن الله — تعالى — قضى قضاء عاريا من الرأفة خارجا عن الحدة (وليلى
 المؤمنين منه بلاء حسنا) ، وحزنهم إياسهم من أنفسهم الأمانة بالسوء
 (إن الإنسان لربه لكنود) ، وخوفهم هيبة الجلال لاخوف العذاب ،
 فإن خوف العذاب مناضلة عن النفس وضن بها وهيبة الجلال تعظيم
 الحق ونسيان النفس (يخافون ربهم من فوقهم) ، ورجاءهم ظمؤهم إلى
 الشراب الذى هم فيه غرق وبه سكرى (ألم ترى إلى ربك) ، وشكرهم
 سرورهم بموجودهم « فاستبشروا ببيعكم » ومحبنتهم فناؤهم فى محبة الحق لهم
 فإن المحبات كلها ضلت فى محبة الحق لأحبابه « فإذا بعد الحق إلا
 الضلال » ، وشوقهم هربهم من رسمهم ، وسماتهم (وعجلت إليك
 رب لترضى) .

نتيجة :

فالإرادة، والزهد، والتوكل، والصبر، والحزن، والخوف، والرجاء،
والشكر، والمحبة، والشوق منازل أهل الشرع السائرين إلى عين الحقيقة
فإذا شهدوا عين الحقيقة اضمحلت فيها أحوال السائرين حتى يفنى مالم
يكن ويبقى مالم يزل (ويبقى وجه ربك). (١).

يتضح من مطالعة رسالة علل المقامات، لـ «شيخ الإسلام»، أنه
بعد التجربة عرف العلل الخفية التي تعرض تلك المقامات، فقام بشرحها
وبيانها على نحو يثبت منه دقة فكره وتعمقه في كشف الحقائق،
ويتضح علو مقامه في التصوف، فعلى السالك التعرف بهذه العلل؛ لكي
لا يخطئ في سلوكه.

(١) من كتاب «خواجہ عبد اللہ الانصاری متصوف جنیل»، بقلم بورگوی؛

التعليق الخاص على الآداب الظاهرية والباطنية

لـ «عبد الله الأنصارى»

ومما يلزم أن أذكره هو أن بعض هذه المقامات والآداب التي جاء بها «شيخ الإسلام» «عبد الله الأنصارى» مذكورة في كتب الصوفية القدماء مثل كتاب «قوت القلوب» لـ «أبي طالب مكي» المتوفى سنة (٥٣٨٦هـ)، وكتاب «التعرف لمذهب أهل التصوف» لـ «أبي بكر محمد الكللاباذي» المتوفى سنة (٥٣٨٠هـ)، وكتاب «اللمع» لـ «أبي نصر السراج الطوسي» المتوفى سنة (٥٣٧٨هـ)، وكتاب «حلية الأولياء» لـ «أبي نعيم الأصفهاني» المتوفى سنة (٥٤٣٠هـ)، ومثل الرسالة «القشيرية» للإمام «عبد الكريم القشيري» المتوفى سنة (٥٤٦٥هـ)، وآثار «عبد الرحمن السلمي» المتوفى سنة (٥٤١٢هـ)، لكن «شيخ الإسلام» هو العالم العامل، الصوفي المحقق الوحيد الذي أدرج مقامات الصوفية في مائة مقام، وضبط كل مقام في مراتب، واستدل في كل منها بالآيات القرآنية، فمن أنعم النظر فيما شرح «شيخ الإسلام» من المقامات، والمراتب يتحقق عنده أن «شيخ الإسلام» حاول أن يعالج المسلمين من الأمراض الروحية ويغرس في أفكارهم المبادئ الثلاثة الآتية :-

- ١ - المعرفة الحقة . ٢ - تطهير الفسکر . ٣ - حسن السلوك .
- لاشك أن تلك المبادئ لها قيمة في حد ذاتها : لأن بواسطة معرفة الحق ، وتطهير الفسکر ، وحسن السلوك يستطيع الإنسان أن يؤدي فرائضه وواجباته في الحياة فيحى حياة طيبة ويفوز بالسعادة الأبدية .
- وهما أنذا أشرح تلك المبادئ الثلاثة ببركة الانتباه الذي حصل

عندى من مطالعة كتب «شيخ الإسلام» مثل «آداب الصوفية» ،
و «منازل السائرين» ، و «رسالته : علل المقامات» .

المعرفة الحقة :

قد وجه «عبد الله الأنصارى» الناس بمقالاته وتلفيناته إلى المعرفة الحقة التى جاءت فى الكتاب والسنة ، واستخرج تعليلاته من هذين المنبعين ، ولاشك أن معرفة الحق أساس المعرفة ، لأن الفرق بين الإنسان والحيوان بالادراك ، والادراك هو ما يعبر عنه بالمعرفة ، وقيمة صحة المعرفة تحصل بمطابقتها للواقع ، وتلك المطابقة إنما تكون بمعرفة حقائق الأشياء ، فعلى هذا يلزم على كل من يدعى الإنسانية أن يبدأ أولاً بعملية المعرفة بنهج يصل به إلى الحق ، وهو نهج التفكير والتعقل الصحيحين ، وفى استطاعة الإنسان أن يبدأ نشاطه فى هذا المنهج بمعرفة نفسه بما لها وما عليها حتى يصل الانسان من معرفة نفسه إلى العلم بمبدئها وإلى العلم بالكائنات وأسرارها ، وموجدتها ، فينتج من تلك العملية نتائج الخير والسعادة . قال الله - تعالى - : « وفى أنفسكم أفلا تبصرون (١) » ، وأيضاً قال : « إن فى خلق السموات والأرض ، واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ، وبث فيها من كل دابة ، وتصريف الرياح ، والسحاب المسخر بين السماء والأرض آيات لقوم يعقلون » (٢) ، وقال الله - تعالى - : « ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما (٣) » .

(١) الذاريات ، الآية (٢١) . ، (٢) البقرة ، الآية (١٦٤) . ،

(٣) المؤمنون ، الآية (١٢) . ،

نعم : مسألة معرفة النفس لها قدر عظيم ، لأن من يعرف نفسه حق المعرفة يستطيع أن يعرف خالقه وأن يعرف فرائضه وواجباته في الحياة ، ولا شك أن من يعرف نفسه ، واستعداد نفسه فإنه يهوى معرفة الكائنات وأسرارها ، ثم يأخذ في معرفة الحق ، فيستفيد مما في اختياره بنور المعرفة ، ويمشى على طريق الحق والصرط المستقيم ، هذا هو الهدف الأصلي والغاية العظمى للتصوف الحقيقي ، والطريق الموصل إلى هذه المعرفة الحقة أن يستمر السالك بالإحساس الصحيح والتعقل الصافي والبرهان النقي ، ومداومة تصفية القلب والعقل والحواس بالأذكار والرياضة والزهد والعبادة والتقوى . والحقيقة أن هذا هو ما يطلبه منا الصوفيون العظماء من أمثال « عبد الله الأنصاري » ، رحمهم الله - تعالى - .

تطهير الفكر :

حاول « عبد الله الأنصاري » أن يطهر الأفكار من الأدران السيئة المادية والنفسية ، وثبت عنده أن أساس بناء المدينة الصالحة تطهير الفكر .

نعم : أساس جميع الإصلاحات تطهير الفكر وحسن النية ، ثم قوة العزم والإرادة ؛ لأن الأعمال مظاهر الفكر ، فإن كان الفكر على الخير برزت منه الأعمال على صورة الخير ، وإن كان الفكر على الشر ظهرت منه الأعمال المضرة الشريرة ، فعلى هذا يحتاج الناس إلى تطهير الفكر وحسن النية أشد الإحتياج .

ولأجل ذلك رتب على النيات ثوابها ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى . .

— ٣٠٠ —

نعم : إذا طهر الفكر وصحت النية يسهل تعمير ما في الفكر وما نوى ، وإن من أشد الموانع في السير على الطريق المستقيم اختلال الأفكار والنيات ، فمن أراد أن يوفق على ما يرام يلزمه تطهير الفكر ، والوسيلة الموصلة إلى تطهير الفكر وحسن النية النظر في عواقب الأمور ، والتصميم للوصول إلى الأهداف السامية والمثل العليا مثل اتباع الحق ، وأداء الفرائض والواجبات ، وخدمة الخلق .

ولو أنعمنا النظر في المقامات التي شرحها شيخ الإسلام ، نجد أنه حاول أن يطهر الأفكار بتعليقات الصوفية من الأدناس المادية الحيوانية الشريرة ؛ لكي يسهل السير إلى الأهداف السامية والسعادة الأبدية .

حسن السلوك :

قد ثبت أن حسن السلوك هو أن يستعمل الإنسان جميع ما في اختياره لما خلق لأجله ، أي أن يتصرف الإنسان فيما أعطاه الله - تعالى - من الجوارح ، والآلات ، والقوى ، والاستعدادات ، والأسباب ، والمعدات تصرفاً حسناً بأن يستعمل إحساسه ومشاهدته ، وجميع أفكاره وأقواله وأعماله وقراراته بمقاييس القوانين الحقة للحق والخير ، فإذاً يلزم علينا أن نفكر في الوسائل المؤدية إلى حسن السلوك ، ولا شك أن الوسيلة المؤدية إليه المعرفة التي تبلغ مرتبة الاعتدال بين الإفراط والتفريط في الأمور كلها ، ثم العزم والإرادة المتينة الثابتة لا حقائق الحق .

ولو أنعمنا النظر في حسن السلوك لوجدنا أن حسن السلوك أساس التمدن والمدنية ، وبه تبنى مبادئ الحياة السليمة ، وأن الأقوام والملل يحتاجون إليه أشد الاحتياج ؛ لأن الاستفادة المثمرة من الماديات وما في الكون لا تتحقق من غير حسن السلوك والمعاشرة الطيبة ، ومن

ثم نرى الأنبياء والرسل والمصلحين يحاولون تعليم الأخلاق وحسن السلوك محاولة جادة ، حتى أن محمداً - صلى الله عليه وسلم - قال :
 • إن الله بعثنى لأتمم مكارم الأخلاق ، ، وقال الله - تعالى - في شأن محمد صلى الله عليه وسلم - • فيها رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ،^(١) ، وقال الله - تعالى - في حقه : • بالمؤمنين رءوف رحيم ،^(٢) ، ووصف الله - تعالى - أصحاب السلوك الحسن بقوله : • وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ،^(٣) ، وقال الله - تعالى - لتعليم حسن السلوك : • إُدْفِعْ بِالْيَمِينِ هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ،^(٤) ، وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : • وعاف عمن ظلمك ، ، وفي الحديث : • صل من قطعك ، وقول الله - تعالى : • إن جاءكم فاسق بلبا فتيبنوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ،^(٥) أيضا إشارة لتعليم حسن السلوك والمعاشرة الطيبة ، وقال أيضا : • وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله ، فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأفسطوا إن الله يحب المقسطين إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم ، وانقوا الله لعنكم ترهقن . يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ، ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ، ولا تلبسوا أنفسكم ولا تنابزوا

(١) آل عمران (١٥٩) .

(٢) التوبة (١٢٨) .

(٣) الفرقان (٦٣) .

(٤) فصلت (٣٤) .

(٥) الحجرات (٦) .

بالألقاب بأسماء الفسوق بعد الإيمان ، ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون .
يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ، ولا تجسسوا
ولا يغتب بعضكم بعضا ، أوجب أحكم أن يأكل لحم أخيه ميتا
فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم . يا أيها الناس إنا خلقناكم
من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله
أتقاكم إن الله عليم خير ، (١) ، وقال الله - تعالى - : « إن الله يأمر
بالعدل ، والإحسان ، وإيتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء ، والمنكر
والبغى يعظكم لعلكم تذكرون » ، (٢) .

وقال الله - تعالى - والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا
وعملوا الصالحات ، وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر ، (٣) ، وقال :
« وأوفوا الكيل إذا كتمتم ، وزنوا بالقسطاس المستقيم » ، وقال :
« ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك
كان عنه مسئولا » ، (٤) .

وأمثال هذه الآيات لو بحثنا عنها في تعليمات الإسلام ، لوجدنا
فيها سبل حسن السلوك ، والمعاشرة الطيبة ، وما يكفل السعادة ،
وما يرتقى بها الإنسان إلى أعلى مراتب السكالات الإنسانية ، وهذا هو
المطلوب الأسمى للصوفيين العظماء من أمثال « شيخ الإسلام عبد الله
الأنصارى » ، في إصلاحات القلوب والنفوس والأفكار ، فتصوفهم في
الحقيقة نوع من التجارب والتمرينات التي يرتقى بها الإنسان إلى أعلى
مراتب السكالات الإنسانية .

(١) الحجرات (من ٩ - ١٣) .

(٢) النحل (٩٠) .

(٣) العصر (١ - ٣) .

(٤) الإسراء (٣٥ - ٣٦) .

النظرة الإجمالية على كتاب «طبقات الصوفية»

لـ «عبد الله الأنصارى»

هذا الكتاب عبارة عن مجموعة من القصص والحكايات لأهل التصوف، وفيها كثير من الآداب الظاهرية والباطنية. ولما كان في ذكر هذه القصص والحكايات عن أحوال الرجال الصالحين وحدها ما يكون درساً وعبرة للمسلمين إلى الحق المبين، فلم يذأ أمله «شيخ الإسلام أحوال الصوفيين العظماء في مجالس تذكيره وتلقيه على تلاميذه ومريديه من كتاب «طبقات الصوفية» للسلي، (١)، وزاد عليه من تعليقاته ومناجاته وأقوال الآخرين. ومما يناسب ذكره أن «السلي» كتب كتاب «طبقات الصوفية» بالعربية في أواخر القرن الرابع الهجري بعد سنة (٣٨٧ هـ) ويشتمل هذا الكتاب على أحوال خمس طبقات من طبقات أهل التصوف، ففي كل الأربعة الطبقات الأولى منها قد ذكر أحوال عشرين من الصوفيين، وفي الطبقة الخامسة ذكر أحوال ثلاثة وعشرين من الصوفيين أى أنه ذكر (١٠٣) من الصوفيين العظماء، كما أنه ذكر في كتابه هذا

(١) السلي: هو المفسر، المحدث الصوفي، الزاهد المعروف في «خراسان»، واسمه بالكامل: أبو عبد الرحمن محمد بن حسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم الأزدي، ولد في العاشر من جمادى الآخرة سنة (٣٢٥ هـ) في مدينة «نيسابور»، وتوفي في يوم الأحد الثالث من شهر شعبان سنة (٤١٢ هـ) في مدينة «نيسابور»، وكان في جملة أساتذته «أبو الحسن الدارقطني»؛ ومن تلاميذه «عبد الكريم القشيري»، صاحب الرسالة «القشيرية»، المتوفى سنة (٤٦٨ هـ)؛ و«فضل الله أبو سعيد بن أبي الخير»، المتوفى سنة (٤٤٠ هـ)؛ والإمام «أبو محمد عبد الله الجويني»، المتوفى سنة (٤٣١ هـ)، و«أبو بكر البيهقي»، المتوفى سنة (٤٥٨ هـ).

لكل واحد من الصوفية عشرين حكاية ، فبدأ من « الفضيل بن عياض » ،
وختم بـ « محمد بن عبد الخالق الدينوري » ، (١) ، وقد طبع كتاب
« طبقات الصوفية » للسلي في القاهرة سنة (١٩٥٣ م) باهتمام « نور
الدين شرييه » من أساتذة الأزهر الشريف .

وقد ألف « السلي » مؤلفات كثيرة حتى أنه ألف في مدة تسع
وخمسين سنة ثلاثين كتاباً ، وكان له في مدينة « نيسابور » مدرسة ،
ومكتبة ، و خانقاه (تكية) وله شهرة وشعبية كبيرة ، ولذا أخذ
« شيخ الإسلام » يدرس كتاب « طبقات الصوفية » للسلي ، لكنه غير
الترتيب فبدأ في كتابه « طبقات الصوفية » بأحوال « أبي هاشم الصوفي » ،
وذلك لأن « ذا النون المصري » قال : « أول من قيل له صوفي
هو : « أبو هاشم الصوفي » ، ولما جاء « الجنيد » رتب علم الصوفية وألف
فيه كتباً ، ثم أعلن « الشبلي » علم التصوف على المنابر ، كما قال « الجنيد » :
« ونحن نلقن هذا العلم في الأماكن الخفية » ، جاء « الشبلي » وأعلنه ،
على المنابر ، وقد ذكر « شيخ الإسلام » في أوائل كتابه « طبقات الصوفية »
في سبب اهتمامه بذكر أحوال الصوفية ، فقال ما حاصله الآتي :

« إنه في يوم من الأيام قد حكى « أبو القاسم الجنيد بن محمد الصوفي »
رحمه الله - تعالى - حكايات المشايخ ، وقال : « هم جند من جنود الله
- عز وجل - ، فسأله واحد : ماذا تفيد هذه الحكايات للمريدين ؟ ،
فأجاب « أبو القاسم » : قال الله - عز وجل - : « وكلا نقص عليك من أنباء
الرسل ما ثبت به فؤادك » ، وقال الله - تعالى - : « فاصبر كما صبر أولوا

(١) من مقدمة كتاب : « طبقات الصوفية » بالفارسية المطبوع في كابل سنة ،

العزم من الرسل . . . ، ولا تسكن كصاحب الحوت . . . الآية ، وأيضا قال الله - تعالى - : « ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا » ، وقال الرسول - صلى الله عليه وسلم : « المرء مع من أحب » ، كما قيل :

اخوان صدق لو يفارق بينهم في المشرقين فإنهما تتألف
وقال شاعر آخر :

لعمرك ما القرب قرب الديار ولكنك القرب قرب القلوب
فلأجل هذا أوصى «شيخ الإسلام» المريدين أن يحفظوا من المشائخ توجيهااتهم الحسنة وسلوك حياتهم الطيبة (١) .
ومما أدهشني أن «شيخ الإسلام» ذكر في كتاب «طبقات الصوفية» (٢) عن «الشيخ السيرواني» أنه قال «آخر ما يخرج من قلوب الصديقين حب الرياسة» ، وذكر عن محمد بن جنيد أنه قال : «الشهرة فتنة وكل يتمناها ، والخول راحة وقل من يرضاه ، وهذا لأن حب الرياسة مما يفتن به عامة الناس ، وحب الشهرة جعل الناس مثل المجانين ، وأن رأس كل المؤمرات هو حب الرياسة والحصول على الشهرة والسمعة حتى أن من يدعى العلم ، والفضل ، والصالح ، والتقوى لا يستطيع أن يخلص من حب الرياسة والشهرة إلا من يهديه الله - تعالى - ويوفقه لما يحب ويرضى ، فيارب اهدنا ووفقنا لما تحب وترضى آمين يارب العالمين .

(١) من كتاب «طبقات الصوفية» بالفارسية المطبوع في كابل (١٣٤١ هـ ش)

ص (٢ - ٥) .

(٢) من كتاب «طبقات الصوفية» ص (٩) .

نبذة من مناجاة « شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى

قد روى عن « عبد الله الأنصارى » كثير من مناجاته باللغة الفارسية
وها أنا أذكر فيما يأتى حاصل ترجمة بعض منها :

إلهى : أنت واحد لا مثل لك ، وأنت قيوم لك القدرة ، وعالم
بكل شىء ، وبصير فى جميع الأحوال ، ومنزه عن العيب ، ومبرء عن
الشريك ، أنت أصل كل دواء . وقلب دواء القلوب ، أنت مالك
الملك ، فعال لما تريد ، معزز بتاج الكبرياء ، مستو على العرش العلى ،
وقائم على مقام الاستغناء ، يليق بك خطاب الألوهية ، ويستحسن بشأنك
ملك الألوهية .

إلهى : أنت فى الجلال رحمان ، وفى الكمال سبحانه لا تحتاج إلى
مكان ولا إلى زمان ، لا يشبهك أحد ولا أنت تشابه أحدا ، قد ثبت
أنك فى قلبى ، بل القلب يعيش بالشىء الذى هو أنت .

إلهى : أنت قائم بفضلك ، وبشكرك مشكور ، وقريب إلى علم العارف ،
وبعيد عن أوهامنا .

إلهى : تحميدك بعظمتك وسيلة السرور ، وإظهار شكر نعمتك
باللسان هو مرتبة الغرور .

إلهى : إذا وضعت على أحد مشقتك فقد بادت محاصيل وجوده
(أى أهلكته) .

إلهى : من عرفك ترك كل ما هو غيرك .

- ٣٠٧ -

إلهي : إذا نظرت فيك أحس بأني ملك الملوك وتاج العزة على رأسي ،
وإذا نظرت في نفسي أشعر بأني من المنكوبين وتراب المذلة على رأسي .
إلهي : أتلفت عمري ، وظلمت نفسي ، وجعلت الشيطان اللعين
راضياً عني .

إلهي : في رأسي عشقك وهواك ، وفي قلبي أسرارك ، وفي لساني
نشيدك .

إلهي : إذا تكلمت (فالمناسب) أن أتكلم بحمدك ، وإذا طلبت
(فالمناسب) أن أطلب رضاك .

إلهي : اخترت من الدارين محبتك ، ولبست لباس المشقة ، وخرقت
ستار العافية .

إلهي . كل الناس محتاجون بسبب عدم ما يملكون وأنا محتاج
لأجل ما أملكه .

إلهي . إن لم يكن لي طاعات كثيرة (لا تؤاخذني ، لأنه)
ليس لي في الدارين غيرك .

إلهي . لا تقل ماذا جئت به ؟ لكيلا يكشف أمري ، ولا تسأل
ماذا فعلت ؟ لئلا يفضح حالي .

إلهي . إن ظاهر صورتي مضطرب كثيرا وباطني مخلوط بالنوم
والغفلة ، ولي صدر مملوء . بالنار وعيني مملوءة بالماء ، فأحترق حينما
ينار صدري وأغرق مرة أخرى في ماء العين .

إلهي : إذا كنت حاضرا فأني شيء أطلب ؟ وإذا كنت ناظرا فماذا
أقول ؟ (أي لا حاجة إلى الطلب والقول) .

إلهى: إذا كنت تفعل كل ما تريده ، فلماذا تطلب من هذا العاجز المفلس ؟
إلهى: لو أن بحر رحمتك يوج (فاذن) من يتحقق العصيان منه ؟
ولو تنظر بعين الرحمة ، فمن يعصى ؟ .
إلهى: إذا أردت أن تسقط أحدا جعلته مخالفا للفقراء (أهل
الله - تعالى -) .

إلهى: كل الجمال لك وكل شيء غيرك قبيح (بالنسبة إليك) وإن
الزهاد (فى الحقيقة) عبيد الجنة .
إلهى: إذا كنت تعلم أن العبد محتاج ، فاذن الدعاء والطلب منك لجاج .
إلهى: ياليت لو كان عبد الله ، ترابا ، لتكون سجلات الوجود
خالية من اسمه .

إلهى: كل الناس يخاف منك وعبد الله يخاف من نفسه ؛ لأن كل
ما يأتى منك فهو صواب ، وأن ما يصدر منى فهو سوء .
إلهى: إن الأغنياء يباهون بالدراهم والدنانير ، وإن الفقراء (أهل
الله) يقنعون به ونحن قسمنا بينهم .
إلهى: كل الناس سكارى بالشراب ، وأما أنا فسكران بالساق ،
فسكرهم يفنى ، وسكرى دائم .
إلهى: كنت كثيرا من الأيام أطلبك ، فأجد نفسى ، وأنا الآن أطلب
نفسى فأجدك .

إلهى: أنا أعرف عجز نفسى ، وأشهد بعدم قدرتى ، وأن الطلب
الحقيق ، هو طلبك ، فأنا إذن ماذا أطلب ؟

— ٣٠٩ —

إلهي : إذا كان لك نار الفراق ، فلماذا خلقت نار الجحيم ؟
إلهي : لو أردت أن تحرق « عبد الله » ، لاستحق أن يكون لإحراقه
جحيم آخر ، ولو أردت أن ترأف بحاله لاستحق أن يكون لراحته
جنة أخرى .

إلهي : إن صحبة أحبائك ماء الحياة ، وصحبة غيرهم عذاب النفوس .
إلهي : إن ورد الجنة في عين العارفين شك ، وإن من يطلبك
لا حاجة له بالجنة .

إلهي : إن ليل الفراق ، وإن كان مظلمًا إلا أن قلبي فرحان بأن
صبح الوصال قريب .

إلهي : طلبتنا فتأخرنا ، وأمرتنا فقصرنا ، فهيات لأن كل ما عملناه
عملناه من غير تدبر .

إلهي : أنت غفار ، وأنا مليء بالمعصية (ومع هذا) تقبل مني ؛
لأنني وإن لم أكن صادقًا ، إلا أنني كنت رفيقًا للصادقين .

إلهي : لو كنت مجرمًا (لا تؤاخذني ؛ لأنني) مسلم ، ولو كنت
عاصيًا فإنني نادم ، ولو عاقبتني فأنا مطيع لأمرك ، ولو رحمتني فأنا
مستحق لعطائك .

إلهي : حينما أنت كنت في غيب كنت أنا في عيب ، ولما ظهرت
من الغيب فارقت العيب .

إلهي : لو تؤاخذني بمعصيتي فأنا أؤاخذك بكرمك ؛ لأن كرمك
أكثر من معصيتي .

— ٣١٠ —

إلهى : ليس من غير آلامك مكان للفرح ، وليس من غير عبوديتك وجه الحرية .

إلهى : إن كل الناس يخاف من يوم الجزاء لكن عبد الله يخاف من الأزل ؛ لأن ما ثبت في الأزل لا يبدل .

إلهى : أى الوجع يكون أشد من أن يكون المعشوق مقتدرا والعاشق محتاجا .

إلهى : لو كان العمل بالقول ، فأنا تاج على رؤس كل الناس ، ولو كان الأمر موقوفا على العمل ، فأنا محتاج إلى البعوضة والنملة .

إلهى : أنت إذا قلت أنا كريم ، فالرجاء والأمل قد تم به ، وإذا قلت أنا رحيم ، فاليأس علينا حرام .

إلهى : (لا أعرف) أشتكى من الوجود أم أشتكى من العدم (والحال) أن الشكاية من الوجود محال ومن العدم ليس بمعقول .

إلهى : إن الذى أردت منى ، طلبته .

إلهى : أنت قائم برحمتك وأنا قائم باحتياجي ، وأنت مقتدر وأنا فقير .

إلهى : إن الجنة من غير رؤيتك سجن ، وسوق المسجون إلى السجن ليس خلق الكريم .

إلهى : لو كانت التوبة عبارة عن عدم المعصية ، فمن التائب فى هذه الدنيا ؟ ولو كانت التوبة عبارة عن الندم ، فلا يوجد عاص فى هذه الدنيا .

إلهي : إن على رأسي غبارا من الكسوف ، وفي قلبي وجع من الحسرة ، وقد أصفر وجهي من حياء العصيان .

إلهي : لو لم أقم بالصدقة فإنى لم أقم بالعداوة ، وإذا كنت مصرا على المعصية ، فأنا مقر بالتوحيد ، وإذا قاطعتى فإنى لا أنقطع عنك .

إلهي : إن الذى اخترت لى اشتريته ، فأخترت من الدارين صداقتك .

إلهي : فقدت صبرى ووهنت طاقتى ، ومن بذرة زراعة استقرارى قد نبت عدم الاستقرار .

إلهي : النار فى محبتك باردة ، والنعمة من غير لطفك وجع .

إلهي : إن الأجير راض منك ، وإن العارف ينفر من الماضى والمستقبل .

إلهي : قد غرق القلب فى بحر العصيان وصار الجسد محجوبا ، فغربت القلوب وصارت الأبصار عشواء .

إلهي : إذا تموج بحر عنايتك كيف تظهر معصية العصاة ؟

إلهي : لست مسرورا ، ولا بائسا ، ولا صحيحا ، ولا مريضا ، ولا قريبا ، ولا مهجورا .

إلهي : لو لم أقل لك شيئا لتعبت ، ولو ناجيتك يخف ثقل ما حملت .

إلهي : كل الدنيا تلبس وأن من يحبها أقبح من ابليس .

إلهي : تستطيع أن تجعل من العدم كل شيء ، وتقضى كل الأشياء ، لا يستطيع أحد أن يقول لك لم هذا ؟ لأنك خالق لهذا وذاك ، يا من رقاب المخلوقات تحت قدرتك ، ورقاب العالمين فى تديرك ، وكل المغرورين فى اعتقالك ، وكل المتكبرين منكسرون بقدرتك : وإن الجحيم محبسك .

وإن الجنة حديقتك ، وإن في السماء سلطانك ، وفي الأرض أحكامك ،
أنت في القلوب مخفي وفي الآخرة ظاهر ، وإن العزة والكبرياء تليق
بك ، وزاد المطيعين يوم القيامة إحسانك ، (وثبت بتوقيع كل السعداء
عنوانك) (١) يا خالق من غير معونة ، ويا واحد بدون عدد ، يا أول
من غير بداية ، ويا آخر بدون نهاية ، يا ظاهر من غير صورة ، ويا باطن
بدون سيرة ، يا حي من غير حيلة ، ويا عزيز بدون ذلة ، يا غني من غير
قلة ، يا معط بدون فكرة ، يا غفور من غير منة ، يا كريم بدون ضنة ،
يا مبدع من غير آلة ، يا علام بدون تفكر ، يا قاسم من غير تغير ، يا من
ذاتك بدون كيف ، يا من صفاتك من غير نقص ، يا عالم الأسرار ،
يا سميع الأصوات ، يا بصيرا بالصلوات ، يا من تقبل الأدعية ، يا من
تعرف الأسماء ، يا من تصل الحاجات ، يا منزها عن العوائق ، يا مطلعاً
على الحقائق ، يا رحيمًا بالخلائق تقبل معاذيرنا ؛ لأنك الغني ونحن الفقراء
ولا تؤاخذنا بعيوبنا ، لأنك القوى ونحن الضعفاء ، ولو آخذتنا فلاحجة
لنا عليك ، ولو أحرقتنا فلا طاقة لنا ، (وقد ثبت) أنه يصدر من
العباد الخطأ والزلة (لكن) السلطان يعطي ويرحم .

يا ملجأ الآمال ، ويا من قلوب الأصدقاء في كنفك الوحيد ، يا حلال
المشكلات الذي قلوب العباد في مكنون تقديرك ، يا من أنت المفضل
الذي لا تحتاج لافضال أحد ، يا من أنت المنعم الذي لا انتهاء لنعمتك ،
يا من أنت القهار الذي لا يستطيع أحد قهرك ، يا من أنت الجبار الذي
لا يمكن أن يقاومك الظالمون ، يا من أنت الحكيم الذي لا قدرة لأحد
أن يهرب ويخلص من بلائك ، يا كريم فلا غناء لعبادك من عطاءك ،

(١) رمز إلى أن السعداء يهتمون برضاء الله - دائماً .

— ٣١٣ —

فاحفظنا : لكي لا نضطرب ، وأقننا على الصراط ؛ لكي لا نقع في المشكلات (نعم) نحن غافلون لكن لسنا بكافرين .

يا عالم ليس كمثلك شيء ، يا قادر من غير ظهير ، يا سلطان بدون وزير ، يا قادر من غير مثال ، يا قاهر بدون مشير ، يا قهار من غير بديل ، يا جبار بدون عديل ، يا مفضل من غير فضول ، يا عادل بدون عدول ، يا قاضي من غير عزل ، يا حاكم بدون هزل ، أصلحنا ، لأننا في التشتت غارقون ، واجمعنا ؛ لأننا في نهاية الاضطراب .

يا كريم يا من يعطي العطاء ، يا حكيم يا من تستر الأخطاء ، يا صمد يا من أنت منزّه عن إدراكنا ، يا أحد يا من لا مثل لك في ذاتك وصفاتك يا خالق يا من تهدي من ضل ، يا قادر يا من تتصف بالالوهية ، فببركة ذاتك الأزلية ، وبصفاتك السكالية ، وبعزتك وجلالك وب عظمتك ، وجمالك أعطنا من أنوارك وهب لقلوبنا من عشقك ، ولبصرنا من أضوائك ، وبرحمتك أعطنا ما هو الأفضل .

إلهي : لا يستطيع لسان أحد أن يؤدي حق شكرك ، ولا نهاية لبحر فضلك ، ولا يعرف أحد سر حقيقتك (كنك) اهدنا طريقاً لا أفضل منه .

إلهي : إن أمانى خطراً ، ولا يوجد طريق من وراء ، نخذ بيدي ؛ لأنه لا ملجأ لي من غير فضلك .

إلهي : سواء على أن أكون موجوداً أو معدوماً (إشارة إلى مرتبة الإمكان والضعف) (مع هذا) فأخرجني من تلاطم الغم إلى ساحل السرور .

— ٣١٤ —

إلهى : أعطنا (إيمان) القلب الذى نفدى به أنفسنا فى عملك ، واعطنا الوجود الذى نعمل به للآخرة .

إلهى : أعطنى علماً لئلا أسقط فى الطريق ، وأعطنى بصيرة لئلا أقع فى البئر .

إلهى : لا تطلب منا (حق) طاعتك ؛ لأننا لا نستطيعه ، ولا تقل لنا عما يليق بك ؛ لأننا لا نستطيع أن نقيم به .

إلهى : خذ يدي ؛ لأنه لا وسيلة لى (غيرك) ، وتقلبنى ؛ لأنه لا مفر عندى إلى (غيرك) .

إلهى : أعطنا الآخرة ؛ لكى ننفر (بها) من الدنيا ، وأعطنا التوفيق ؛ لكى نستقيم فى ديننا .

إلهى : أصلح أمرى ، ولا تنظر إلى عملى .

إلهى : أعطنى قلباً يشواق إلى كثرة طاعتك ، وأعطنى توفيق طاعتك الذى يهدينى إلى الجنة .

إلهى : أعطنى العلم الذى لا يكون فيه نار الهوا ، وأعطنى العمل الذى لا يكون فيه الغل ، والريا .

إلهى : أعطنى بصرأ يشاهد ربوبيتك ، وأعطنى قلباً لا يختار غير عبوديتك .

إلهى : أعطنى الشفاء ؛ لأنه لا يحصل الشفاء من هؤلاء المعلومين ، واحلل مشكلاتنا ؛ لأنه لا يستطيع أن يحل المشكلات هؤلاء المحزونون .

إلهى : علمنا ؛ لكى نعرف بالعلم ، وأوقد المصباح ؛ لكى لا نبقى فى الظلمة .

- ٣١٥ -

إلهي : احفظ كل الناس من مكر الشيطان ، وجنهم من كيد النفس (الأمارة بالسوء) .

إلهي : أعطنا لقاءك ؛ لكيلا نلتفت إلى غيرك ، وافتح لنا الباب ؛ لكيلا نمر بباب أحد غيرك .

إلهي : ليست الحياة (الحقيقة) هي هذه ؛ بل هذه عذاب ، وليس العمر هو هذا ، بل هو بناء على الماء ، فلو لم يكن نظر عنايتك لخربت الأمور .

إلهي : إننا نعمل في الدنيا المعصية ، فيغتم بها حبيبك محمد - صلى الله عليه وسلم - ، ويفرح بها عدوك إبليس (عليه اللعنة) ، ولو كنت تعذبنا يوم القيامة يغتم حبيبك محمد - صلى الله عليه وسلم - ، ويفرح عدوك (إبليس) ، فيا إلهي لا تعطى لعدوك فرحتين ، ولا تضع على قلب حبيبك مشقتين .

إلهي : كل (من أهل الله) يطلب أن ينظر إليك ، ويطلب « عبد الله » أن تنظر أنت إليه .

إلهي : أعطني بصرأ إذا نظرت به إلى العدو يجرحه ، وإذا نظرت به إلى الصديق يجعل الواحد ألفا .

إلهي : لست ظالماً لأقول احترز ، ولا حق لي عليك لأقول اعطني (حق) ، لكن لأجل أنك رفعتني في البدن ، فلا تسقطني في النهاية ، أنا ضيفك فراغني حسبما تعلم .

إلهي : احفظ « عبد الله » من ثلاث آفات : من وساوس الشيطان ، ومن الهواجس النفسانية ، ومن غرور الجهالة .

— ٣١٦ —

إلهى : خلقتنى بدون مقابل ، ورزقتنى بدون عوض ، فاغفر لى (أيضاً)
من غير مقابل ؛ لأنك إله ، ولست بتاجر .

إلهى : لو سقتنى إلى الجحيم فليس عندى حجة ضدك ، ولو سقتنى
إلى الجنة فلا اشتريها بدون جمالك .

إلهى : أطلب منك أن تجيبنى إلى مطلوبى ، وإنى لا أطلب غير
وصالك .

إلهى : لا تطفىء هذا المصباح الضعيف ، ولا تحرق هذا القلب المحروق ،
ولا تخرق هذا الستار المخيط ، ولا تطرد هذا العبد الذى بدأ بالتعلم جديداً .

إلهى : أخاف من جرمى ومعصيتى ، ومضطرب من غفلتى وجنونى .

إلهى : إذا كنت من أحبائك فارفع المنّة بيننا ، وإذا كنت من
الضيوف ، فاحفظنى حفظاً حسناً ، وارحم قلبى المحزون ، ولا تبقنى فى
هذه الحيرة .

إلهى : بحق الذى ليس لك شىء من الحاجة ارحم على حال من
ليس له حجة .

إلهى : أعطنى يقيناً لا شك فيه ولا رياء ، واعطنى علماً لا يكون
من غير النور والضياء .

إلهى : اعط لعبد الله من فضلك شراً باحتى لا يجرى إلى وجهه من عقله حجاب
إلهى : كنا فى الحجاب وأنت فى ستار الغيب ، فلما طلعت أنت
(من ستار الغيب) أخرجنا من العيب .

إلهى : لا بأس أن تهلكنى ، لكن لا تهجرنى ، ولو ترسلنى إلى الجحيم
أنا راض ، لكن لا تفارقنى بحبك .

إلهي : لو تريد أن تطلبني ، فاطلمني من نفسي ، ولو تريد ذاتك ففهمني بك . (١)

إلهي : أنت تحاسب الأغنياء ، وأنا فقير ، ولو كان حسابك للبغلسين ، فأنا مفلس من الجميع ، لا تبعث الاضطراب في نفس هذا المفلس واحفظه في جوارك .

إلهي : كل من يهواك يقولون إنه مجنون ، وكل من يهوى نفسه ، فهو بعيد عنك ، أنت تعرف أن كل هذا نوع من النشيد ، فتفضل بالهداية ؛ لأن تقديم المعاذير (في الحقيقة) تعادل .

إلهي : إن الآلام بذكرك سرور ، وإن الفرح من غير ذكرك غرور ، فاعطني السعادة في الدنيا ؛ لأن القيامة بعيدة .

إلهي : إن المطلوب الذي يحصل من غير الطلب ، طلبه منك باطل ، ولكن القلب يميل إلى طلبه منك ، فتفضل بمراعاهه ؛ لأن المعاملة مع القلب .

إلهي : ماذا أفعل بالجنة ؟ ، ولماذا ألعب مع الحور ؟ (أى لا أريد الجنة ، والحور بل أريد أن) تعطيني البصيرة التي أجعل بواسطتها من كل نظرة جنة .

إلهي : لو أنظر إليك أفخر . ولو أنظر في ذاتي أخسر ، ولو أنظر إلى نفسي أذوب ، فألق على نظرة ؛ لكي ألقى لباس الشرك في الماء .

(١) رمز إلى أن معرفة الله - تعالى - إجمالاً هي من قدرة لإنسان بقدر نظره في النفس وما في الكون وأما معرفته تفصيلاً فتحتاج إلى توجيه الله - تعالى - وتفهمه

— ٣١٨ —

إلهى : بلطفك ، وكرمك ساعدنى ، وبرحمتك أبقينى ؛ لأن القلب بيباب الكرم منتظر ، والنفوس فى الانتظار .

إلهى : ارفع الحجاب من الطريق ، ولا تسكننا إلى أنفسنا .

إلهى : أتمم هذه المسرة التى أعطيتنى ، وداوم هذا البرق الذى نورته ، واقرن بداية هذه السعادة بالختام .

إلهى : بحرمة الاسم الذى أنت تعلمه ، وبعزة الصفات التى توصف بها تقبل استغاثتنا ؛ لأنك تقدر .

يا من هو البصير الذى لا يغفل ولا ينام ، ويا مقتدر بغير مساعد تبعد عنا أربعة أمور : الفضيحة يوم الحساب ، والحجاب فى وقت التكلم ، والحرمان فى ساعة الشدة . والحجاب فى أوان الرؤية .

إلهى : إن قبلة العارفين (فى الحقيقة) هى شمس وجهك ، وإن محراب القلوب هو جمال عينك ، وأن المسجد الأقصى للقلوب هو حرم طريقك ، انظر إلينا ؛ لأننا بانتظارك . (١)

(١) ترجمت مناجاة «شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى» من الكتاب المسمى بـ «مناجاة ومقالات خواجه عبد الله الأنصارى» بالفارسية المطبوع فى طهران ص (٧ - ٣١) .

التعليق على مناجاة «عبد الله الأنصاري»

هذه نبذة من مناجاة «شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري» التي جاءت في كتبه مثل «طبقات الصوفية»، وفيما روى وحكى عنه في الكتاب الفارسي المسمى بـ «مناجاة»، ومقالات خواجه عبد الله الأنصاري «بالفارسية».

يثبت منها علو مقام تصوفه وأدبه، ويظهر منها أنه وصل إلى المراتب العالية من الحب والوجد، ولو أنعمنا النظر في كل نداءاته لعرفنا أن «شيخ الإسلام»، في عصره لم يكن من الصوفين السطحيين؛ بل كان وحيد عصره في مقام التصوف والأدب

نعم : قد أثرت نداءات حبه، وحرارة جسده أترأ عميقاً في القلوب، وقد جذبت لطافة بيانه، وحسن ما أدى من اللآلئ في أحلى كلامه كثيراً من الناس، حتى أقر علماء المسيحيين والهنود، وفي جملتهم «غاندي»، الزعيم الشهير للهنود بعلو مقامه الروحاني والأدبي، ووصلوه إلى الحقائق الثابتة.

ولذا ترجم المستشرق «الآب س»، دي لوجيه دي بوركي الدومنيكي «كثيراً من آثار «شيخ الإسلام»، باللغة الفرنسية.

نبذة من المواعظ، والنصائح التي نسبت إلى

« شيخ الإسلام عبدالله الأنصارى »

قد ثبت أنه وصلت شهرة مواعظ « شيخ الإسلام » ونصائحه في حياته إلى كل الآفاق الإسلامية حتى ارتحل كثير من الفضلاء من المناطق البعيدة إلى مدينة « هراة » للاستفادة من مواعظه ، ونصائحه ، كما ذكرنا سابقاً أن : « الأديب الشهير أبا الحسن باخرزى » قال في وصف دروسه ، وهواعظه ، ونصائحه ما يأتي : « كان مجلسه تذكيراً بالدرجة العليا ، وكان في علم التفسير وحيد عصره ، ولو أن « قس بن ساعدة » سمع آداء كلامه لم يخطب بعده في سوق « عكاظ » ، واعترف أيضاً الشاعر والأديب الشهير « أبو القاسم الزوزنى » المشهور بلقب « بارع » بعلو مقام « شيخ الإسلام » وقال : « إنه لم ير مثل « عبدالله الأنصارى » إماماً في مجلس من مجالس الدرس » ، فلذلك أقدم إلى السادة القارئین الكرام فيما يأتي حاصل ترجمة نبذة من المواعظ ، والنصائح التي نسبت إلى « شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى » من الفارسية ؛ لكي يعرفوا مقامه في الوصول إلى الحقائق ، ويستفيدوا من نصائحه .

١ - حاصل موعظة « عبدالله الأنصارى » التي تتعلق بالعبادة والمعرفة

والنظر في العواقب :

قد قال « شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى » في موعظته التي تتعلق بالعبادة والمعرفة والنظر في عواقب الأمور ما يأتي : « إن العبادة حق ، و (قد ثبت أيضاً أن) العبادة من غير المعرفة عبث مطلقاً ، فيلزم عليك أن تحصل أولاً معرفته ، ثم تطيعه طاعة تامة . كن درویشاً

وقانعاً ، ومعتقداً ومقرأً بوحدايته ، واقطع النظر من كل الأشياء غير رضاه ، فإذا أردت أن تطلب فاطلب منه ، ولو أردت أن تطلب نفسك فيلزم عليك أن تتجه إلى عاقبة الأمر ؛ لأن أصل الأمر النظر إلى العاقبة واعرف أن مرتبة الفقر دولة لا تزول .

خف من الذى لا يخاف (من الله) ، ومن الذى يقوم بالعمل من غير أن يستشير أحداً .

كن سائراً للعبوب ولا تكن باحثاً عن العيوب .

إذا لم تكن تذكر حسنات الناس ، فلا تروى عيوبهم (أيضاً) .

ثم ذكر عبد الله الأنصارى ، فى هذه الموعظة الكلمات الرمزية العالية التالية : « كن عطشان ، ولا تشرب ، (أى كن عطشان فى حب الله ، ولا تشرب ما يجعلك غافلاً) .

« كن غارياً ، ولا تلبس ، (أى كن غارياً من السكر ، والرياء ولا تلبس لباس الزور ، والرياء) .

« لا تتبع الدقيق فى السوق ، (أى لا تكن كتاجر يبيع الناس ما يحتاجون إليه فى حياتهم ، ويستفيد منهم أثمان حياتهم ، بل كن مخلصاً فى أعمالك لله) .

لو كنت من الدراويش (الصوفية) فلم تتجبر ؟ ، ولو كنت تعرف مقدار نفسك فلم تتكبر ؟ .

لو كنت سكران خالص نفسك من السكر ، ولو أنت تعرف نفسك فاح نفسك ، وكن مستيقظاً ؛ لئلا تؤثر عليك صحبة أهل الدنيا ، وكن مع الدراويش رفيقاً .

إن الفقر خاصة أهل التجريد والتفريد ، وأن التجريد هو وظيفة أرباب التوحيد ، ولن يكون فوق التوحيد مقام ، ولا يصح التوحيد بدون المعرفة ، وأهل المعرفة هم الدراويش (الصوفية) ، وهم عرفوا هذا المعنى ؛ لأنهم لما عرفوا الحق قطعوا النظر عن غيره ، فمن وجد الحق قطع علائق قلبه عن غيره ، ولا يميل إلى صحبة الناس .

ثم حاول « عبد الله الأنصارى » ، فى آخر هذه الموعظة أن يقوى روابط الناس مع الحق ، ويوجههم إلى صحبة الصالحين ، وأهل الله .

٢ - حاصل موعظة « شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى » فى الوصول إلى السعادة والمراتب العالية ، وفى الصحبة مع الأهل والنفرة من غير الأهل : -

« أيها العزيز : إن مصباح السعادة الأبدية ، ومفتاح الدولة السرمدية فى الحصول على الطريق الحق ، فمن لم يعرفه فهو جاهل مطلقاً ، فإن كنت طالبه نظف هذا الطريق ، وول ظمرك لهذه الموانع المادية من الماء والتراب ؛ لأنك إذا رفعت الموانع ، فقد قطعت المسافة ، وإذا قطعت عن نفسك (الموانع المادية) ، فقد وصلت إلى محبوبك ، وسترى ما لم ترى ، فبعده لا طريق للإشارة هناك ، ولا يعرف اللسان هذا السر .

ثم أشار « شيخ الإسلام » ، بكلماته الغالية إلى المطالب العالية التالية :
« كن مخموراً ولا تصرخ . كن حاراً ولا تغلى . كن مكسوراً وساكتاً ؛ لأن من يصرخ عن الخمار يأخذ الناس بيديه ، ويحملون المكسور على عواتقهم . قد أراد « عبد الله الأنصارى » ، بهذا أنه يلزم السالك أن

تكون عنده جذبة وحرارة العشق بحيث لا يفهمه أحد ، وأن يكون عنده وجع العشق مع السكوت لئلا تعثره العوارض والموانع .

ثم قال : ولو تطلب النجاة فاصبر على الابتلاء ، ولو تطلب البقاء فاقصد الفناء ، ولو حصل عندك من هذه المراتب فلتفرح ، وإن لم تكن حاصلة عندك فلتطلب .

كن رفيقاً ولا تكن عدواً (واعلم) أن بيع الرفيق من أخلاق الإسلام ، وبيع النفس كفر خالص .

قد أراد شيخ الإسلام ، بهذا الرمز الأخير هو أن من أخلاق الإسلام أن تقدم إلى رفيقك كل الإخلاص والإحسان بحيث يعتمد عليك كل الاعتماد ، حتى لو تبعه لا يقول لك شيئاً ، ومراده بكفر بيع النفس هو إذا لم تلاحظ سعادتها الأبدية ، بل تكون مغرقاً في لذاتها الآنية ، أو لعله أراد أن من يبيع نفسه في حب الله - تعالى - فهو كافر بما سوى الله - تعالى - .

ثم قال : وإن كمال الإنسان أن يكون قلبه باختياره في تصرفاته ، وأما سائر الجوارح فهي مثالها مثل الماء والطين (يعنى إذا كان القلب باختيارك تستطيع أن تبني بجوارحك ما تريد) .

ثم قال : إذا كان صديقك صالحاً فالأمر يكون سهلاً ، والصحبة مع الأهل تساعد القلب والجسد ، والصحبة مع غير الأهل تفرق الأصدقاء وتشتت الأهل والأسرة ، لأن الصديق الأهل هو الذى يزيد القلب قوة ، وغير الأهل هو الصديق الذى يصاحبك ليختلس منك الأكل ، فعبر عن الصديق الأهل بشقيق القلب ، وعن صديق

غير الامل برفيق الاكل ، فعلى هذا افطع علائقك مع السكل إلا مع
السلالة :

- ١ — العالم الذى ينهاك عن العيب ، وبوجهك إلى التقوى .
- ٢ — الفقير الذى تكون بصحبته متواضعاً ، وتصل ببركته إلى
الاعمال الخيرة .
- ٣ — صاحب القلب الذى نزل غمام الرحمة على رأسه ووجهه لعله
ينزل منه شيء على رأسك ووجهك .

ثم قال : « لو كان كلا يدي ، ورجلي ، عبد الله الأنصارى ، مشدودين
بعدم التجربة أولى من أن يكون جالساً فى عدم التجربة ، أراد به
أنه يلزم أن لا يكون عدم التجربة سبباً للجمود بأن يقول شخص
لا أعمل ؛ لأنه لا يمكن أن يصدر منه الخطأ فتدسب هذه الخلقة فى جموده ،
بل يلزم على كل واحد أن يعمل بدقة وإن كان يخطئ لعدم التجربة ،
لأن الخطأ مع النشاط ، والدقة تصل بالإنسان فى آخر الأمر إلى
الصواب والتجربة .

٣ — حاصل موعظة « شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى ، التى تتعلق
بالاحترار والاجتناب عن تضييع الاوقات الغالية :

« أيها العزيز : إن أعلى النعم وأحسن اللذات هو الحياة ، وأن الحياة
التي تذهب من غير ذكر الله - تعالى - فهي (فى الحقيقة) ممت . من
صرف أوقات حياته بفكره ، وشكره فهو (فى الحقيقة) السعيد الذى
استفاد من ثمرة حياته .

اغتنم مدة حياتك وقدرها ، واحترم فرصة حياتك ولا تعش

- ٣٢٥ -

في ظلمات الهواجس النفسانية ، واخرج من كدر الوسوس الشيطانية ،
فإلى متى تكون مثل الذين لا أهلية لهم غارقين في الالهواء والهوس ،
غافلين عن المسجد (أى العبادة) ويكفون ليلاً ونهاراً في المعاصي ،
وقد هلك أحوالك من المعاصي ، وصارت صورتك من وساخة
الحجل سوداء .

ما كان عندك حياء في أوان الشباب ولا ندامة في أيام الشيخوخة
قد مضت حياتك لكن ما طلبت المَعذرة .

ياحسرتنا ! على حال (الإنسان) الذى يكون بسبب الهواء والهوس
في النهار مخموراً في السرور ، وفي الليل نائماً في الغرور ، وهو غافل
عن أنه بعيد من ربه ، وأنه غداً سيكون من أهل القبور .

هيات هيات ! من ضياع الاوقات (بهذه الفضائح) : بأن يكون
في زمان الطفولة الدناءة ، وفي أوان الشباب السكر ، وفي وقت
الشيخوخة الفتور ، فذكر أيها المسكين في أنك متى تعبد الله ؟ وإلى متى
ترتكب المعاصي على الدوام ؟ ، وإلى متى لاتندم ولا تستحي من المعاصي
قد فانت الفرصة ولن تعود ، ولا يناسب الاعتماد على غد ، اغتتم فرصة
الحياة ؛ لأن كثيراً من الأمور يعود إلا الحياة ، فتل سعادة التوبة ؛
لأن الفرصة مغتتمة ، واخرج من جنون الغفلة ؛ لأن زمن الحياة قليل .

٤ — حاصل موعظة « عبد الله الانصارى » التى تتعلق بالترهيب

والترغيب :

« أيها العزيز ، : إن الدنيا مكان العبور ، وليست مدينة السرور ، هى
رباط عدم الإقامة ، وبساط عدم الاستقرار ، لا مرهم ولا علاج للجراحة

— ٣٢٩ —

لدغها ، وإنما مطلقة ، إبراهيم ابن آدم ، - رحمة الله عليه - ، هي بيت المحنة والظلم ، ومطرودة ، للجنيد البغدادي ، - رحمة الله عليه - ، هي الجرعة التي تحرق القلب من مرارتها ، ومنفورة لـ « شقيق البلخي » ، - رحمة الله عليه - هي نعمة الغفلة والفضاحة ، وملعونة في نظر « أبا يزيد البسطامي » - رحمة الله عليه - ، هي دير لأهل الهمة الدنية ولعبيد النفوس ، ومردودة من همة « السلطان أبي سعيد أب الخير » ، - رحمة الله عليه - ، هي منبع المسكر والفساد الجبلي ، وزجرها « الشيخ الحقاني الشبلي » ، - رحمة الله عليه - هي دلالة لقافلة الغرور ، ومكروهة عند « الشيخ أبي الحسن الثوري » ، - رحمة الله عليه - ، هي مسببة في التأثير الرديء ، ومطرودة لـ « معروف الكرخي » ، - رحمة الله عليه - ، هي ضجة (صوت) الظلم والاختلال ، ومنفورة لـ « سفيان الثوري » ، - رحمة الله عليه - ، هي سوق حار لمتاع الكاسد ، ومخجولة لـ « منصور الحلاج » ، - رحمة الله عليه - .

ثم قال « شيخ الإسلام » : « الدنيا أساس الشقاوة ، ومنفورة لعارف الحق » ذى النون ، - رحمة الله عليه - ، هي غير مقبولة عند طبائع أهل القبول ، ونفر منها « البهلول » ، - رحمة الله عليه - مراراً ، أسقطها الأتقياء وأخذها الأشقياء ، فن طلبها فقد ذل وصار لسان اعتذاره كليبلا ، ولأهل العبرة في هذه الآية دليل « قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير وأبقى » .

يثبت بما ذكر في هذه الموعظة أن « عبد الله الأنصاري » ، كان ينفر من الدنيا نفوراً شديداً ، وحاول أن ينفر الناس من أضرارها ، لكن هذا لا يمنع من أن تستغل الدنيا في المصلحة الخاصة والعامة ؛ لأن الغرض الأساسي لـ « عبد الله الأنصاري » ، من مذمة الدنيا هو أن لا تكون

الدنيا عند الناس الهدف الاسمى ، حتى لا يختل نظام الكون ، ولا أن تجعل من وسائل فساد القيم الروحية حتى لا تضطرب الحياة ، وتضر بالاطمئنان والسلام الإنسانى .

هـ - حاصل موعظة : عبد الله الانصارى ، التى تتعلق بمعرفة
الأخلاق والفضائل المحموده :

« أيها العزيز ، : كل من واطب على عشر صفات فقد أصلح أمره
فى الدنيا والآخرة وهى :

- (أ) أن يكون مع الحق بالصدق .
- (ب) ومع النفس بالقهر .
- (ج) ومع الخلق بالإنصاف .
- (د) ومع الأكابر بالخدمة .
- (هـ) ومع الصغار بالشفقة .
- (و) ومع الفقراء بالسخاوة .
- (ز) ومع الأصدقاء بالنصيحة :
- (ح) ومع الأعداء بالحلم .
- (ط) ومع الجهلاء بالسكوت .
- (ى) ومع العلماء بالتواضع .

ثم قال « شيخ الإسلام » : « يصل المؤمن إلى الله - تعالى - بثلاثة
أمور : بالأدب ، وبالكرم ، وبأن لا يضر المخلوق ، .

وقال « شيخ الإسلام » : « أصل الإيمان عبارة عن أربعة أمور :
« خوف ، ورجاء ، وحب ، ويقين ؛ إذ لو لم يكن الخوف لكان

الآمن ، والأمن من الله - تعالى - كفر ، ولو لم يكن الرجاء لكان اليأس ، واليأس من رحمة الله - تعالى - كفر ، ولو لم يكن الحب لكان البغض ، والعداوة مع الله - تعالى - كفر ، ولو لم يكن اليقين لكان الشك ، والشك في الله - تعالى - كفر .

ثم قال «شيخ الإسلام» : «من خالص من ثلاثة أمور فقد خالص من جميع المصائب : من غم الحسد ، ومن عذاب الحرص ، وخوف الفقر» .

قال «عبد الله الأنصارى» : «يلزم كل مؤمن ستة أمور : اثنان على القلب ، واثنان على اللسان ، واثنان على سائر الأعضاء ، أما اللذان على القلب فهما : أن تكبر أمر الله - تعالى - ، وتشفق على الخلق ، وأما اللذان على اللسان فهما : ذكر الله - تعالى - ، وحسن الكلام ، وأما اللذان على سائر الأعضاء فهما : طاعة الله - تعالى - ، ورفع المحنة عن الخلق ، وقال أيضا : «أربعة أمور علامة الشقاوة : كفران النعمة ، وعدم الرضاء على القسمة ، والكسالة في الخدمة ، وعدم الاحترام في الصحبة ، وقال : «لا تعتمد على ثلاثة أشياء : على القلب ، وعلى الحياة ، وعلى الوقت ؛ لأن القلب يتلون ، والحياة في نقصان ، والوقت في التغير» .

قال «شيخ الإسلام» : «قد أعطى الله - تعالى - للعبد ثلاثة أمور : هي لسان ، وقلب ، وسائر الأعضاء ؛ لكي تذكروه باللسان ، وتحبوه بالقلب ، وتخدموه بسائر الأعضاء ، لكن (على العكس) أنت تقول باللسان العيب ، وبالقلب تنسى ، وبالجوارح لم تكن تعمل الخير ، فلو أنت مؤمن فاستغفر باللسان ، واعتبر بالقلب ، وكن مفتقراً (إلى الله - تعالى -) ، قل باللسان الحكمة ، واعمل بالقلب الندامة ، واحفظ

بالأعضاء الامانة ، كن باللسان ذاكرآ ، وبالقلب شاكرآ وبالنفس صابرآ . كن باللسان ناطقآ ، وبالقلب صادقآ ، وبالأعضاء سابقآ (إلى رضا الله - تعالى -) . كن باللسان لطيفآ ، وبالقلب خفيفآ ، وبالأعضاء عفيفآ ، كن باللسان حامدآ ، وبالقلب خاطرآ ، وبالأعضاء عابرآ . واعمل باللسان الحمد والصفة ، وبالقلب الخوف والرجاء ، ودافع بالأعضاء عن البلاء ، كن باللسان قارئ القرآن ، وبالقلب مؤمنآ ، وبالأعضاء مطيعآ .

قال شيخ الإسلام ، يلزم السالك أربعة أمور ؛ ليكون لائقا لسلوك هذا الطريق : الأول العلم ، والثاني : الورع ، والثالث : التفكير في الله - تعالى - ، والرابع : الوجد ؛ لأن من لم يكن عالما يكن الجمل سما له ، ومن لم يكن ورعا يكن في عاقبة أمره العقاب ، ومن لم يفكر في الله - تعالى - يكن كافراً في القلب ، ومن لم يكن بالوجد يكن قلبه مردوداً ، وقال رضا الحق في ثلاث أمور : -

١ - في مخالفة الهوى .

٢ - في ترك الدنيا .

٣ - في فقد النفس في طريق الله - تعالى - .

وقال أيضا : د اعط الدنيا لمن يساعدك أو للكلب لئلا يعض رجلك و (اعلم) لو كان الطريق نظيفاً لاخوف من العدو ، ولا ينجس البحر بلسان الكلب ، ولا يطهر الكلب بسبعة أبحار .

علامة الزهد ثلاثة أمور : قصر الأمل ، وعدم الاعتماد على عمله ، واليقين بأن الأجل قريب ، ثم قال : د لا تجعل عقيدتك بأن الله كريم موجبة للغفلة ، ولا صبره موجبا للجرأة على المعاصي . قم الليل (لذكر الله - تعالى -)

— ٣٣٠ —

لكي يساعدك يوم القيامة . فلو كنت غافلاً بالأمس كن مستيقظاً في هذا الليل جداً ، وخذ معك الزاد ؛ لأن السفر قريب جداً ، وأوقد المصباح بالندم لأن الطريق مظلم جداً . لا تأمن ؛ لئلا تهلك ، والأمن إنما يحصل عندما تستريح في القبر مع الإيمان ، كن مستيقظاً ؛ لأن وقت الطاعة ينقضي ، فكن في أولئك عاقلاً لئلا تهلك في آخرك .

٦ — حاصل موعظة عبد الله الأنصاري ، في الأمر بالأوصاف الجميلة والنهي عن الأوصاف السيئة :

و أيها العزيز : و اعلم أن أحسن الأعمال معرفة الحق — تعالى جل جلاله — ، فيلزم أولاً معرفة الله تعالى — ؛ لأنه أول الأول وهو يعطي وإن لم يعط أحد ، ولو أعطى شيئاً لا يستطيع أحد أن يأخذه منك ، وإن لم يعط لا يستطيع أحد أن يعطى ، لاحظه ؛ ليحفظك ، واصرف حياتك في عبادته ؛ فلعله يطلب حساب صرف حياتك ، واعلم أن دليل الطريق هو العلم ، وصاحب الطريق هو الله — سبحانه — ، واحسب أن العقل بصير ، واعلم أن الرسل أحياء ، وآمن بأن القرآن إمام ، وأد الصلاة ، والصوم ، والحج ، والزكاة ، كن مجاهداً ولا تنس الله - تعالى - كن صبوراً لتصل إلى المطلوب ، واطلب الاستعانة في كل الأمور من الله - تعالى - ، واعرف أن رأس مال الحياة هو التوحيد ، واعلم أن أساس التقوى هو التوحيد ، واعلم بأن الاعتقاد الحسن ككثرة زوال له ، واحمل المنة ولا تحمها على أحد . لا تأكل طعام كل الناس ولا تمنع طعامك من أحد . نظف قلبك ولباسك . لا تعتمد على النساء العجائز ، ولا تدخل الخنثى في بيتك ، واطلب الوفاء ممن له الأصل ؛ لأن الأصل لا يخطئ ، واعلم أن توفيق الهداية يحصل من الله - تعالى -

لا تجلس مع الأراذل ، وافرح أقاربك الفقراء ، واعلم أن أقبح العيوب كثرة الكلام . لا تنه حياتك بالجمالة . قل قليلا وكل القليل ، كن قليل النوم ، واصبر في المشكلات . لا تغتم بما فات وبما كسر وبما سقط . لا تغتر بما في يدك ولا تغتم بما زال عن يدك ، واعرف أن الحياة (الحقيقية هي) في عاقبة الأمر ، واغتنم فرصة صحتك ، واعلم بأن الذكاء كله هو معرفة عاقبة الأمور . لا تخف من الموت ، ولا تعتمد على الحياة ، لا تبع الدين بالدرهم والدينار . خف إذا كنت في أمن . افتخر بالفقر . أصلح باطنك أكثر من الظاهر ، وخذ لصداقتك الشخص المجرب . لا تكلم بالشدة ، واختر السكوت^(١) ، ولا توعدها أحداً بالحرب والعداوة ، واحذر من قبول أوامر نفسك ، واجعل مالك فداء لنفسك ، وعاقب على قدر المعصية ، واعمل مع الصديق بالتواضع . لا تعتقد بزهد الجاهل ، واطلب في الكلام الصواب ، لا تصف أحداً بالإفراط ، ولا تحتز من الصدق وإن أضررك ، لا تذهب إلى الضيافة من غير الدعوة ، ولا تبع إذا لم تجد المشتري ، واعف لتعفى ، لا تأخذ ما لم تكن وضعته . لا تنسب لأعمالك ما لم تكن عملته . لا تتعرض للامتحان (أى لا تقدم نفسك من غير الضرورة إلى الامتحان) ، ولا تكن عبداً حريصاً ، ولا تكن نائماً وغافلاً ، لا تفتخر بالمعاصي ، ولا تخف من الفقر . يجب أن تكون أخلاقك في السفر أحسن عما كنت في الحضر . إذا لم تنجح في الصلح يلزم أن تكون مهيئاً للحرب ، لأن العمل الذي لم يتم بالصلح يلزم

(١) إلا عند الضرورة إذ قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « أكثر

أهل النار حصائد الستمهم » .

أن يتم بالجنون ، (١) ، عدوك وإن كان حقيراً لا تأمن منه ، خف كثيراً من العدو الذى فى يديك ، لا تسافر مع الذى لم تكن تعرفه ، كن قانعاً بقلبك ، واحفظ الأمانة ، لا تكن فى مهام الأمور ضعيف الرأى والهمة ، لاحظ عهدك فى حالة سخطك وغيظك ، إذا وصلت إلى المال والجاه لا تمنعه من أقرائك ، اعلم أن صداقة القلوب تحصل من السكوت وقلة الضرر . لا تعمل العمل الذى لا يليق . لا تقل شيئاً تعتذر عنه . واعلم أن غنيمة الدارين هى السكوت . واعتقد بأن الاحترام أولى من المال . فكر أولاً ، ثم قل . إُدفع البلاء بالصدقة . ولتستطيع تشاور مع العقلاء كلها استطعت . احترم المشايخ المجريين . لا تقذف الناس بالجرم والبهتان ؛ لئلا يرجع إليك عكس عملك . لا تقل للناس الشئ الذى لا تستطيع أن تسمعه ، اعلم أن الرضاء بالفساد أساس العصيان . اعلم أن من يجرأ وليس عنده السلاح فهو أحمق . لا تنظر إلى الناس بالحقارة . لاتعبد الدنيا ؛ لأن عبادة الدنيا (هى فى الحقيقة) عبادة عدو الله . واجعل من التقوى زاداً للآخرة . كن حريصاً على الطاعة ولا تعتمد عليها . لا تغرق نفسك فى بحر الآمال . لا تظهر احتياجك إلى الناس (لو تستطيع إخفاءه) لاتعود لسانك الشتم . لانفرح بمصائب الناس . إهرب من لا يخاف من اللوم . لانقل شرك للنساء . واطلع أصدقاءك على عيوبهم . جرب الناس أولاً بالمعاملة ، ثم وطد الصداقة معهم ، فليتنقوا الملك بالوزير الصالح .

(١) هذا فى مهام الأمور الدينية والمدافعة عن منفعة عامة بحيث لم يبق طريق آخر غير الحرب فإذن لم يكن الحرب جنوباً . لكن سمي جنوباً باعتبار أنه يصد الجنون .

اعلم أن الشريعة مثل الجسد ، والطريقة مثل القلب ، والحقيقة مثل الروح . كن بصيراً لعيوبك . لا تشاور عدوك وإن فعلته فلتحذر ، ولا تسمع كل ما قال (عدوك) . هيء نفسك للاعتماد ؛ لكي يعتمد عليك الجميع . زر الأحياء ، والأموات . اطلب الراحة من المشقة . اعتقد بأن الرزق من الله - جل جلاله - حتى لا تكفر . صاحب العقلاء . لا تخرج رجلك من فرشك . لا تغتر بظاهر الناس . اعمل الأخوة مع الصالحين . اهرب من العصيان . لو كانت عندك (من المواجهين) فلا تبعها ، ولو لم تكن عندك كن ساكناً ، إذا جلست عند الأكاثر (من العقلاء) كن سماعاً لك . وإذا كلموك كن ساكناً ، واعتنم الحياة ، واطلب نجاة النفس في العبادة ، واطلب المعاونة في كل الأمور من الله - تعالى - . لا تحسب الجاهل حياً . واحذر من العدو المنافق ، واجتنب من الجاهل المغرور . لا تقل ما لم تكن سمعت أو رأيت . كن بصيراً إلى عيوبك ، ولا تقل عيب الناس . لا ترجع عن قول الصدق ، ولا تستعجل في الجواب . لا تغنم من غير الفائدة ، واعلم أن سعادة الدنيا والآخرة في صحة العقل . لا تفتخر بالثراء ، واحذر من التعصب . لا تساعد الناس على المعاصي كن نظيفاً وبشوشاً ؛ لكي يحببك الناس . من يعف عنك في وقت الغضب يلبق للصدقة . حاول رعاية القلوب ، واستر العيوب . اعلم أن أفضل الحياة حسن الذكر ، فحاول أن تشتره بكل قدرتك . جرب القريب في وقت الغضب وجرب الصديق في وقت عدم القدرة .

اعلم بأن الله - تعالى - خاضع أينما كنت ، فقم بوفاء العهد واغتنم الوقت . كن دائماً على العبادة ؛ لأن كمال الإنسان في عبودية الله - تعالى - والعزة في التواضع والإنكسار (إلى الله - تعالى -) (١) .

(١) من كتاب «مناجاة ومقالات» ، عبد الله الأنصاري بالفارسية (ص ٩٢-٩١)

حل مشكلة اختلافات الصوفية عند شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى
قد ثبت عند شيخ الإسلام أن الانحرافات الكثيرة التي دخلت
في ممالك الصوفية الإسلامية الأصلية كانت أكثرها من الأسباب الآتية :-

- (أ) الاتصال بآراء المسيحيين .
- (ب) الاتصال بآراء البوذيين وآراء الزردشتية .
- (ج) الاختلاط بآراء الفلاسفة في الميتافيزيقا .
- (د) ترويح الخرافات من الذين اشتبهوا بأهل الله - تعالى - .
- (هـ) الدسائس والمؤامرات الاستغلالية باسم الدين .
- (و) الضعف ، والكسل ، والميل إلى الراحة .
- (ز) الانبعاث للتقاليد والحكايات والروايات الغير الموثوق بها ،
وعدم الاهتمام بما جاء في الكتاب والسنة :

فصمم شيخ الإسلام ، على أن يؤيد الحركات التي بدأ بها ،
والجنيد ، و أبو نصر السراج ، صاحب كتاب اللمع ، وتليذه
السلي ، وغيرهم من الصوفيين الكرام العظماء ضد الخرافات التي اشتهرت
باسم التصوف ، فجدد ممالك الصوفية الإسلامية من المنابع الأصلية ،
ورتب مقاماته ومنازله وأذواقه ومواجده على أحسن نهج ، وعلم الناس
أن ممالك التصوف إسلامي يؤيد الحق والمبادئ الأخلاقية السامية
الروحية والاجتماعية ، وأثبت أن الناس يحتاجون في نيل السعادة
الأبدية إلى التصوف الإسلامي الخالص الأصيل ، وليس كما فهمه بعض من
لا خبرة له ، وتأثر بالماديات تأثيراً سيئاً ، فوصفه بأنه ممالك الجود
والخود والعطالة ، فالتصوف الإسلامي عند شيخ الإسلام عبد الله

— ٣٣٧ —

الأنصارى ، أساسه الشريعة ، ويصل السالك منها ببركة الطريقة إلى الحقيقة ،
لحاول أن يوجه الناس إلى الشريعة الحقة ، ولقنهم الطريقة المنتجة ،
وصمم على الوصول إلى الحقائق الثابتة .

فإذن تصوف «شيخ الإسلام عبدالله الأنصارى» ليس إلا ما جاء
في الكتاب والسنة الممزوج بالتجارب لأهل الله - تعالى - في السلوك ،
وبتجاربه الشخصية التي حصلت عنده في تطبيق الشريعة ، وفي العمل
بالطريقة ، وفي الوصول إلى الحقيقة .

أثر كفاح

«شيخ الإسلام عبدالله الأنصارى» في المجتمع

لا شك أن من يقرأ ما كتبناه سابقاً بدقة يظهر له مدى تأثير كفاحه في المجتمع، لكنني مع هذا أذكر نبذة من التراجم التي كتبت عنه؛ لكي يتضح تأثير كفاحه في المجتمع.

ذكر الإمام أبو الحسين عبيد الغافر بن إسماعيل الفارسي «خطيب نيسابور» في تاريخ «نيسابور» اسمه ونسبه، وقال: «أبو إسماعيل الإمام شيخ الإسلام بـ» هراة «صاحب القبول في عصره، والمشهور بالفضل وحسن الوعظ والتذكير في دهره».

لم ير أحد من الأئمة في فنه حلماً ما رآه عياناً من الحشمة الوافرة القاهرة، والرواق الدائم، والاستيلاء على الخاص والعام في تلك الناحية، واتساق أمور المريدين والأتباع والمغالين في حقه، والثناء المدارس والأصحاب والخانقاه ونواب المجالس إلى غير ذلك مما هو أشهر من أن يحتاج إلى الشرح.

وكان على حظ تام من العربية ومعرفة الأحاديث والأنساب والتواريخ إماماً كاملاً في التفسير والتذكير وحسن السيرة والطريقة في التصوف ومعاشرة الأصحاب الصوفية، مظهر السنة داعياً إليها محرضاً عليها، غير مشغول بكسب الأسباب والضيايع والعقار والتوغل في الدنيا، مكتفياً بما يبسط به المريدون والاتباع من أهل مجلسه في السنة مرة أو مرتين (من الهدايا) حاكماً عليها حكماً نافذاً بما كان يحتاج إليه هو وأصحابه من السنة إلى السنة على رأس الملاء، فيحصل على ألوف من الدنانير وإعداد جمّة من الثياب والحلى وغير ذلك، ويفرقها على الخباز والبقال

- ٣٤٠ -

والقصاب، وينفق منها، ولا يأخذ من السلاطين والظلمة وأركان الدولة شيئاً، وقلها يراعيهم، ولا يدخل عليهم، ولا يبالي بهم، فبقى عزيزاً مقبولاً مقبولاً أتم من الملك على الحقيقة مطاع الأمر قريباً من ستين سنة من غير مزاحمة ولا فتور في الحال (١).

وذكر «أبو النصر عبد الرحمن بن عبد الجبار الفامي» في تاريخ «هراة»، أحوال شيخ الإسلام، فقال: «كان بكر الزمان، وزناد الفلك، وواسطة عقد المعاني والمعالى، وصورة الإقبال في فنون الفضائل وأنواع المحاسن».

منها: نصرة الدين والسنة، والصلابة في قهر أعداء الملة والمتحايين بالبدعة - حتى على ذلك عمره من غير مداينة ومراقبة لسلطان ولا وزير، ولا ملائمة مع كبير ولا صغير. وقد قاسى بذلك السبب قصد الحساد في كل وقت وزمان، ومنى بكيد الأعداء في كل حين وأوان، وسعوا في روحه مراراً، وعمدوا إلى هلاكه أطوار، مقدرين بذلك الخلاص من يده ولسانه، وإظهار ما أضمرؤا في زمانه، فوقاه الله شرهم، وأحاط بهم مكرهم، وجعل قصدهم لارتفاع أمره وعلو شأنه أقوى سبب، وليس ذلك من فضل الله - تعالى - ببدع ولا عجب (٤٧: ٧)، إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم).

وأما قبوله عند الخاص والعام، واستحسان كلامه، وانتشاره في جميع بلاد الإسلام، فأظهر من أن يقام عليه حجة وبرهان، أو يختلف في سببه وتقدمه فيها من الأئمة اثنان. ولقد هذب أحوال هذه الناحية

(١) من كتاب الذيل على طبقات الخنابلة «المجلد الأول»، ص (٦٤).

عن البدع بأسرها ، ونقح أمورهم عما اعتادوه منها في أمرها ، وحملهم على الاعتقاد الذي لامطعن لمسلم بشيء عليه ولا سبيل لمبتدع إلى القدح إليه .
ومنها : تصانيفه التي حاز فيها قصب السبق بين الأضراب ، وذكرها في باب المصنفين من الكتاب ، (١) (أى فوق درجة المؤلفين) .

وجدير بالذكر أن أقول يثبت من جميع التراجم التي كتبت في التعرف لـ عبد الله الأنصارى ، أنه وصل في حياته إلى أقصى درجة في قبول العام والخاص ، وأن أفكاره ، وآراءه ، وأخلاقه ، وآدابه ، وجذباته ، ومناجاته ، ونصائحه ، وكفاحه ، وصراحته ، ومثاليته ، وتعبده ، واستقامته ، وشريعته ، وطريقته ، وحقيقته قد أثرت في المجتمع تأثيراً مغناطيسياً عميقاً ، حتى أفر المسلمون في جميع البلاد الإسلامية بأنه « شيخ الإسلام » ، و« شيخ الشيوخ والحكماء » في عصره .

(١) من كتاب الذيل على طبقات الخنابلة المجلد الأول ص (٦٣) .

من المخاوف والمخاطر والمهلك هي تزكية النفوس من الأوهام والانحرافات وتقويتها باتباع ما جاء في القرآن الكريم وما جاء في أحاديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - .

ولما وصلت درجة كفاحه، إلى الذروة أهدى له - كما ذكرنا - خليفة المسلمين ، القائم بأمر الله ، في سنة (١٤٦٢ هـ) الخلعة الرائعة ، ثم لقبه خليفة المسلمين ، المقتدى ، رسمياً في سنة (١٤٧٤ هـ) بـ «شيخ الإسلام وشيخ الشيوخ والحكام» ، وأهدى له ولابنه ، «عبد الهادي» ، الخلعتين الموقرتين .

الحق : أنه كان لانفا بكل هذا الإجلال ؛ لأنه لا يغيره اتجاه الناس إليه ، ولا إعطاء الألقاب والنياشين له ، بل مع ذلك كان ليلاً ونهاراً يفكر ، ويعبد ، ويلقن ، ويحب الله - تعالى - ، ويخدم خلائقه ، ويحب الصراط القويم ، ويحاول أن يتم رسالة حياته على أكمل وجه .

قد ثبت أن الصوفيين الذين جاءوا بعد «عبد الله الأنصاري» قد استفادوا كثيراً في تصرفهم من تصوفه ، وأخذوا نبذاً كثيرة من آرائه وتلقياته ، كما ألف كثير من المؤلفين العظماء مثل : العارف بالله «محمود ابن شيخ شيوخ العارفين حسن ابن محمد الفرقاوي القادري» ، والشيخ الإمام «سديد الدين أبي محمد عبد المعطي ابن أبي الثناء محمود بن عبد المعطي اللخمي الاسكندر» ، و «ابن قيم الجوزية» ، وغيرهم شروحاً على تأليفاته ، ونشرت صور مخطوطات آثاره في كثير من المكتبات ، وطُبعت ونشرت كتبه ورسائله في كل الأقطار الإسلامية ، كما توجد مخطوطات آثاره ومطبوعات كتبه ورسائله في أكثر البلاد خصوصاً في «أفغانستان» ، و «باكستان» ، و «إيران» ، و «الهند» ، و «روسيا» ، و «مصر» ،

— ٣٤٥ —

و دمشق ، و بغداد ، و تركيا ، و لندن ، و فرنسا ، و في بعض مكاتب أمريكا ، و ألمانيا .

و جدير بالذكر أنه يذكر اسم شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري ، الآن أيضاً في بلاد أفغانستان ، و إيران ، و باكستان ، و الهند ، بكل الاحترام عند عامة الناس ، ويفتخر المثقفون ويتلذذ الصالحون بذكر مناجاته ونصائحه وتلقياته في المجالس العامة والخاصة .

هذا هو شيخ الإسلام ، والخبر الإمام ، شيخ الشيوخ والحكماء أبو اسماعيل عبد الله الأنصاري الهروي ، رحمه الله - تعالى - رحمة واسعة ، وأدخله في جنات النعيم مع أصدقائه ومحبيه ، ويهدينا الله - القوي - لما يحبه ويرضى ، وينجحنا نجاحاً فائقاً في الدنيا والآخرة بئنه وكرمه .

آمين يارب العالمين .

المراجع

- ١ - «تفسير الهروي ، بالفارسية المشهور بـ « كشف الأسرار ، لـ (عبد الله الأنصاري) طبع في طهران ، باهتمام جناب علي أصغر حكمت» .
- ٢ - من مشتملات رسالة مناقب الإمام أحمد بن حنبل ، لـ عبد الله الأنصاري .
- ٣ - رسالة «الأربعين في دلائل التوحيد» لـ عبد الله الأنصاري . من صورة شريط رقم (٤٣) بجامعة الدول العربية .
- ٤ - كتاب «طبقات الصوفية ، بالفارسية» لـ عبد الله الأنصاري . المطبوع في كابل سنة (١٣٤١ هـ ش) .
- ٥ - كتاب «مناجاة ومقالات ، بالفارسية» لـ عبد الله الأنصاري المطبوع في طهران .
- ٦ - كتاب «كشف الظنون» لـ حاجي خليفة .
- ٧ - كتاب «ذم الكلام وأهله» لـ شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري ، من الشريط رقم (٩٧) في معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية .
- ٨ - كتاب «صون المنطق والكلام» لـ «سيوطي» .
- ٩ - كتاب «تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية ، للأستاذ مصطفى عبد الرازق باشا» .
- ١٠ - كتاب «نفحات الأنس ، بالفارسية» لـ عبد الرحمن جاني .
- ١١ - رسالة «علل المقامات» لـ عبد الله الأنصاري .

— ٣٤٨ —

- ١٢- رسالة د المختصر في آداب الصوفية والسالكين لطريق الحق
بالفارسية لـ عبد الله الأنصاري .
- ١٣- كتاب د صدميدان د بالفارسية لـ عبد الله الأنصاري ،
- ١٤- كتاب د منازل السائرین إلى الحق المبين لـ عبد الله الأنصاري .
- ١٥- كتاب د الذيل على طبقات الحنابلة لـ ابن رجب .
- ١٦- من مقدمة كتاب د طبقات الصوفية ، لـ عبد الحی حبیبی .
- ١٧- كتاب د نمصدمین سال وفات خواجه عبد الله الأنصاري ، بالفارسية
المطبوع في كابل سنة (١٣٤٢ هـ) .
- ١٨- كتاب د كنج نامه خواجه عبد الله الأنصاري د بالفارسية قرأت
هذا الكتاب وأشرت إلى ضعفه في الرسالة .
- ١٩- كتاب د شرح منازل السائرین ، للشيخ الإمام د سيد الدين .
- ٢٠- كتاب د مدارج السالكين لـ ابن قيم الجوزية .
- ٢١- كتاب د كازرگاه لـ فكري سلجوقي .
- ٢٢- كتاب د شرح منازل السائرین لـ العارف بالله - تعالى - محمد بن
حسن بن محمد الفرکاي .
- ٢٣- كتاب د زندکی خواجه عبد الله الأنصاري هروي د بالفارسية .
- ترجمة د روان فرمادی ،
- ٢٤- كتاب د المنجد ، في الأدب والعلوم .
- ٢٥- كتاب د مقامات شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري هروي
بالفارسية بتحقيق د فكري سلجوقي ، المطبوع في كابل سنة
(١٣٤٣ هـ) .
- ٢٦- كتاب د تذكرة الأولياء لـ شيخ فريد الدين عطار .
- ٢٧- كتاب د تاريخ ، لـ ابن الأثير .
- ٢٨- كتاب د سير الأعلام النبلاء ، لـ ذهبي .

- ٢٩ - كتاب «المنتقى من الضلال» طبع مكتبة : «الأنجلو» .
- ٣٠ - كتاب «تهافت الفلاسفة» لـ «غزالي» طبع : دار المعارف بمصر بتحقيق الدكتور سليمان دنيا .
- ٣١ - كتاب «اللمع» لـ «أبي نصر السراج الطوسي» بتحقيق الدكتور عبد الحليم محمود .
- ٣٢ - كتاب «شرح» «نصير الدين الطوسي» «على» «الإشارات والتنبيهات» لـ «أبي علي بن سينا» .
- ٣٣ - كتاب «المل والنحل» للإمام الشهرستاني تخرىج «محمد بن فتح الله بدران» .
- ٣٤ - كتاب «شرح العقائد النسفية» لـ «سعد الدين التفتازاني» .
- ٣٥ - كتاب «مقالات الإسلاميين» لـ «أبي الحسن علي بن اسماعيل الأشعري» .
- ٣٦ - كتاب «اللمعة في تحقيق مباحث الوجود والحدوث والقدر وأفعال العباد» لـ «الشيخ إبراهيم» .
- ٣٧ - كتاب «تاريخ المذاهب الإسلامية» لـ «محمد أبي زهرة» .
- ٣٨ - كتاب «الفرق بين الفرق» لصدر الإسلام «عبد القادر بن طاهر ابن محمد البغدادي الاسفرائيني» .
- ٣٩ - كتاب «التبيين» لـ «ابن العساكر» .
- ٤٠ - كتاب «طبقات الشافعية» لـ «السبكي» .
- ٤١ - كتاب مقدمة «كشف الأسرار» لـ «أبي الفضل رشيد الدين الميبدي» . على تفسير «شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري» .
- ٤٢ - كتاب «أسماء المصنفين» لـ «اسماعيل باشا» .
- ٤٣ - كتاب «زايغة الشرق السيد جمال الدين الأفغاني» .

— ٣٥٠ —

- ٤٤ - كتاب «قوت القلوب لـ» ، أبي طالب المكي ، .
- ٤٥ - كتاب «التعرف لمذهب أهل التصوف لـ» ، أبي بكر محمد الكلاباذي ، .
- ٤٦ - كتاب «حلية الأولياء لـ» ، أبي نعيم الأصفهاني ، .
- ٤٧ - الرسالة «القشيرية» ، للإمام «عبد الكريم القشيري» ، .
- ٤٨ - كتاب «خواجہ عبد الله الأنصاري متصوف وحنبلي» ، .
- ٤٩ - كتاب «رياض الصالحين» ، للإمام المحدث الحافظ محي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي ، .
- ٥٠ - كتاب «طبقات الصوفية لـ» ، السلمي ، .
- ٥١ - القرآن الكريم .

منهج الرسالة

١ - العصر الذى ولد ونشأ فيه الصوفى الكبير ، شيخ الإسلام ، عبد الله الأنصارى الهروى . .

٢ - حياته من أولها إلى نهايتها بالتفصيل . وهذا لأنى ما رأيت إلى الآن باللغة العربية كتاباً يشرح حياته الخصبة لخدمة الإسلام شرحاً وافياً .

٣ - مؤلفاته : ما ألفه وأمله على تلاميذه أو اشتهر باسمه . وهذا لأن مؤلفاته الكثيرة وما نسب إليه من الآثار تتطلب التحقيق .

٤ - مقارنة آرائه التى تتعلق بالعقيدة والكلام بآراء الذين خالفهم فى عصره من الشيعة والمعتزلة والأشاعرة والماتريدية وغيرهم مع التعليقات عليها .

وهذا لأن آراءه هذه تتطلب المقارنة بالآراء التى كانت فى عصره ، وتقتضى التحقيق .

٥ - تصوفه وحياته الروحية . وهذا لأن فى تصوفه وحياته الروحية يوجد كثير من المطالب والقيم الهامة :

(١) الآداب الظاهرية والباطنية للتصوف عنده .

(ب) نبذة من مناجاته ونداماته مع التعليق عليها .

(ج) نبذة من مواعظه ونصائحه مع التعليق عليها .

٦ - تأثيره فى المجتمع ، والنتيجة الأخيرة .

ملاحظة :

سند كل تحليل بعض ما جاء فى تصوفه من القيم الروحية فى مواضعه . .

فهرس

المرور	المرور
٣	تقدير
٧	المقدمة
١١	منهج الرسالة
	العصر الذي ولد ونشأ فيه الصوفي الكبير شيخ الإسلام ، عبد الله
١٣	الأنصاري ،
١٥	مدينة هراة ، التي ولد ونشأ فيها ، عبد الله الأنصاري ،
	بمجل المذاهب والاتجاهات الموجودة في مدينة هراة ، في عصر
١٧	عبد الله الأنصاري ،
١٨	أحوال والد عبد الله الأنصاري ، وأمه
٢٣	حياة عبد الله الأنصاري ،
٢٤	عصر طفولة عبد الله الأنصاري ،
٢٦	كيف بدأت دراسات عبد الله الأنصاري ،
٢٣	أوائل شباب عبد الله الأنصاري ،
	قائمة بأسماء أكثر أساتذة عبد الله الأنصاري ، في هذه المرحلة إلى
٣٥	سنة (٤١٧ هـ)
	سفر عبد الله الأنصاري ، إلى مدينة نيسابور ، سنة (٤١٧ هـ -
٣٧	١٠٢٦ م) وما حدث له هناك
٤١	حياة عبد الله الأنصاري ، بين سنة (٤١٨ هـ) وبين سنة (٤٢٨ هـ)
٤٢	أساتذة عبد الله الأنصاري ، في هذا العصر
	أول سفر عبد الله الأنصاري ، بقصد الحج ووصوله إلى مدينة

الموضوع	صفحة
« بغداد » ، ورجعته منها إلى مدينة « هراة » وما حدث له بين سنة (٤٢٣ هـ) وبين سنة (٤٢٤ هـ)	٤٤
السفر الثاني لـ « عبد الله الأنصارى » بقصد الحج وملاقاته مع الصوفي الشهير « خرخاني » في سنة (٤٢٤ هـ - ١٠٣٢ م) وعودته إلى مدينة « هراة » في هذه السنة نفسها	٤٧
حياة « عبد الله الأنصارى » في أيام « نباذان » في فصل الشتاء من سنة (٤٢٥ هـ)	٥٤
حياة « عبد الله الأنصارى » بين سنة (٤٢٥ هـ) وبين سنة (٤٣٦ هـ) وأهم ما حدث له في هذه المدة	٥٥
حياة « عبد الله الأنصارى » بين سنة (٤٣٧ هـ) وبين سنة (٤٤٥ هـ) وما حدث له فيها من المحن	٥٩
حياة « عبد الله الأنصارى » بين سنة (٤٤٥ هـ) وبين سنة (٤٥٦ هـ) ونجاحه	٦٣
حياة « عبد الله الأنصارى » بين سنة (٤٥٦ هـ) وبين سنة (٤٦٢ هـ) وخلافه مع أهل البدعة	٦٩
حياة « عبد الله الأنصارى » بين سنة (٤٦٣ هـ) وبين سنة (٤٧٣ هـ) وعلو شأنه	٧٣
بعض أصدقاء « عبد الله الأنصارى » وتلاميذه في هذه المدة	٨٠
معاملة « عبد الله الأنصارى » مع أهل الحكمة والفلسفة في هذه المدة	٨٣
أهم ما حدث في حياة « عبد الله الأنصارى » بين سنة (٤٧٣ هـ) حتى توفي في سنة (٤٨١ هـ)	٨٥

الموضوع	صفحة
بناء مقبرة « شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى »	٩٣
أهل بيت « عبد الله الأنصارى » وأولاده	٩٤
مذهب « شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى »	٩٦
مؤلفات « شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى » ، وآثاره	٩٩
(أ) آثاره التى ثبت أنه ألفها	١٠٠
(ب) آثاره التى كتب تلاميذه ومريدوه عنه	١٠٦
(ج) الآثار التى تنسب إليه ولكن فى إثبات انتسابها إليه اشتباه	١١٢
آثاره التى توجد فى اتحاد الجمهوريات الروسية	١١٨
التعليق على الآثار المنسوبة إلى « عبد الله الأنصارى »	١٢٠
المقارنة بين آراء « عبد الله الأنصارى » ، التى تتعلق بالمسائل الكلامية وبين آراء الذين خالفهم فى عصره	١٢١
العقيدة الإسلامية	١٢١
أركان الدين التى اتفق عليها جمهور أهل السنة والجماعة	١٢٢
أسباب الاختلاف عموماً	١٢٣
أسباب الاختلاف بين المسلمين	١٢٤
اختلاف المسلمين حول المسائل الاعتقادية والسياسية والفقهية بمحل الآراء والاختلافات التى دارت حول القضاء والقدر	١٢٤
ورأى « عبد الله الأنصارى » ، فى البحث عنهما	١٢٧
الشيعية و « عبد الله الأنصارى »	١٣١
المعتزلة و « عبد الله الأنصارى »	١٣٤
(أ) مذهب المعتزلة	١٣٥
(ب) أهم ما حدث من المعتزلة	١٣٩

الموضوع	صفحة
المسائل التي خالف فيها عبد الله الأنصارى ، المعتزلة	١٤١
الأشاعرة و عبد الله الأنصارى	١٤٣
أسباب الخلاف بين الأشاعرة و عبد الله الأنصارى ،	١٤٧
الماتريدية و عبد الله الأنصارى ،	١٤٩
(أ) منهاج و الماتريدى ،	١٥٠
(ب) المسائل الاختلافية بين الماتريدية ، و المعتزلة	
و الأشاعرة	١٥٠
الإمام و أحمد بن محمد بن حنبل ، و عبد الله الأنصارى ،	١٦٠
(أ) حياة الإمام و أحمد بن حنبل ،	١٦١
(ب) آراء أهل السنة و آراء الإمام و أحمد بن حنبل ،	١٦٣
(ج) آراء الإمام و أحمد بن حنبل ، التي تمسك بها عبد الله الأنصارى ،	١٦٩
آراء عبد الله الأنصارى ، التي تتعلق بالعقيدة و الكلام	١٧٣
عقيدة عبد الله الأنصارى ، بالله و صفاته	١٧٤
رأى عبد الله الأنصارى ، فيما يصح أن ينسب إلى الله - تعالى - و يطلق عليه	١٧٦
الأحاديث التي جاءت في رسالته المسماة بـ « الأربعين » في دلائل التوحيد في حق ما يصح أن ينسب إلى الله تعالى	١٧٧
أهم مطالب كتاب « ذم الكلام و أهله » ،	١٨٥
التعليق الخاص على الاختلافات و المناقشات التي تتعلق بالعقائد الإسلامية و علم الكلام	٢١٥
حل مشكلة البحث في الآراء الكلامية عندي	٢٢٣

الموضوع	صفحة
تصوف و عبد الله الأنصارى ، وحياته الروحية	٢٣٣
منهج تصوفه	٢٣٥
الآداب الظاهرية للتصوف عند عبد الله الأنصارى ،	٢٣٦
الآداب الباطنية للتصوف عند عبد الله الأنصارى ،	٢٤٧
أهم المطالب التي جاءت في كتاب و منازل السائرين ،	٢٤٩
نصوص رسالة و علل المقامات ، لـ عبد الله الأنصارى ،	
التعليق الخاص على الآداب الظاهرية والباطنية لـ عبد الله الأنصارى ،	٢٩١
النظرة الإجمالية على كتاب و طبقات الصوفية ، لـ عبد الله الأنصارى ،	
الأنصارى ،	٣٠٣
نبذة من مناجاة و شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى ،	٣٠٦
التعليق على مناجاة و عبد الله الأنصارى ،	٣١٩
نبذة من المواعظ والنصائح التي نسبت إلى عبد الله الأنصارى ،	٣٢٠
(١) حاصل موعظة و عبد الله الأنصارى ، التي تتعلق بالعبادة والمعرفة والنظر في العواقب	٣٢٠
(٢) حاصل موعظة و عبد الله الأنصارى ، في الوصول إلى السعادة	٣٢٢
(٣) حاصل موعظة و عبد الله الأنصارى ، التي تتعلق بالاجتناب عن تضييع الأوقات	٣٢٤
(٤) حاصل موعظة و عبد الله الأنصارى ، التي تتعلق بالترهيب والترغيب	٣٢٥
(٥) حاصل موعظة و عبد الله الأنصارى ، التي تتعلق بمعرفة الأخلاق والفضائل المحمودة	٣٢٧

الوضوع	صفحة
(٦) حاصل موعظة « عبد الله الأنصارى » فى الأمر بالأوصاف الحميدة	٣٣٠
التعليق الخاص على المواعظ والنصائح لـ « عبد الله الأنصارى »	٣٣٤
حل مشكلة اختلافات الصوفية عند « شيخ الإسلام »	٣٣٩
أثر كفاح « شيخ الإسلام » عبد الله الأنصارى « فى المجتمع	٣٣٩
النتيجة الأخيرة عن كل ما كتبته فى حق « شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى »	٣٤٣
المراجع	٣٤٧
شكر وتقدير	٣٥١

تصويبات

صحيحة	سطر	خطاً	صواب	بالمثل والحاشية
١	٦	مبادئه	حياته	بالمثل
١٣	٢	هندوكن	هندوكش	بالحاشية
٢١	٦	ظل هكذا	ظل الحال هكذا	بالمثل
٢٣	١٤	عبد الأنصاري	عبد الله الأنصاري	د
٢٦	٤	X X	زنى	د
٣٦	١٥	الجارودى	الجارودى	د
٤٤	١٥	بأنه	بأن	د
٨٠	١٦	إجماعاتهم	اجتماعاتهم	د
٨٢	١	عبد الرحمن بن	عبد الرحمن بن منده	بالحاشية
٩١	١٥	سنة ٤٨٣ هـ	سنة ٤٧٣ هـ	د
١٠١	١٢	الآخر	الآخيرة	د
١١٣	١٢	الحصول	الحصول	د
١٣٠	٤	الهدايا	الهداية	بالمثل
١٥٢	٣	التقبح	التقبح	د
١٥٦	٢	قرل	قول	بالحاشية
١٥٦	٣	الصفات	الصفات	بالمثل
١٧٢	١٤	نمار	نمار	د
١٨٦	١٧	غضا	غضبا	د
١٨٩	١١	الكلاه	الكلام	د

- ٣٦٠ -

صحيحة	سطر	خطأ	صواب	باتن والحاشية
١٩٥	١٥	جناحية	جناحية	د
٢٠١	١	يحيي	يحيي	د
٢٠٢	٥	الخريبي	الخريبي	د
٢٠٦	١٥	الكرايس	الكرايس	د
٢٢٦	١٦	المعول	المعول	د
٢٢٦	١٦	المعلوفة	المعلوفة	د
٢٦٠	٣	مسنكة	مسنكة	د
٢٧٦	٦	نفاسة	نفاسة	د
٢٨٨	٨	التليو	التلو	حاشية

Get more e-books from www.ketabton.com
Ketabton.com: The Digital Library